

مابح حرب البلقان

الأولى

والحرب البلقانية الثانية

فيه نحو ٤٠ رسماً وخرائطان

بقلم

يوسف البستاني





جلالة السلطان محمد الخامس



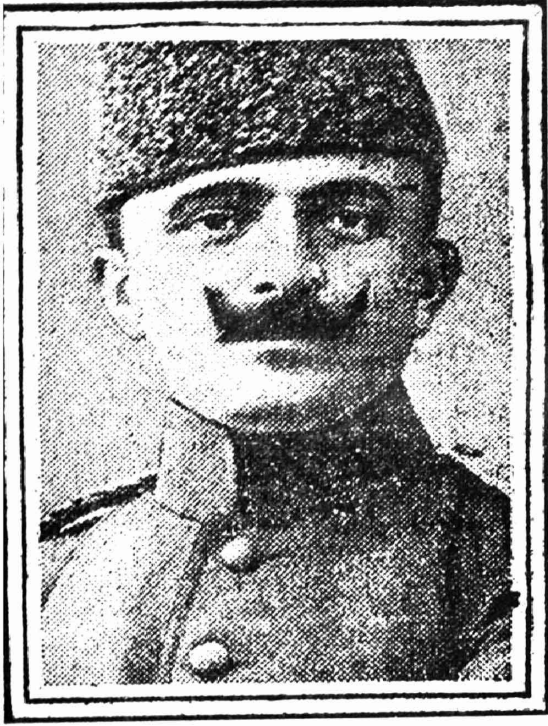
الامير يوسف عز الدين افندي
ولي عهد السلطنة العثمانية



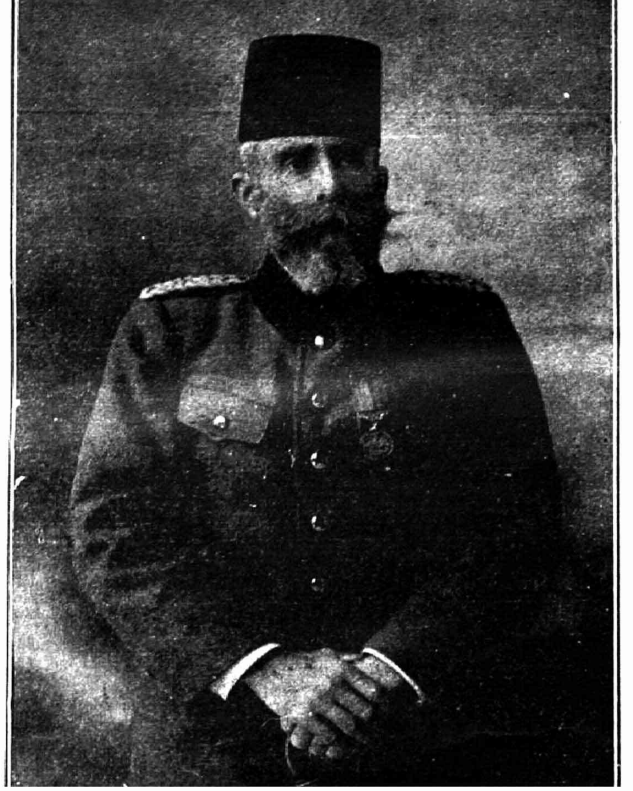
مختار باشا الغازي
الذي كان صدراً اعظم
يوم اعلان الحرب



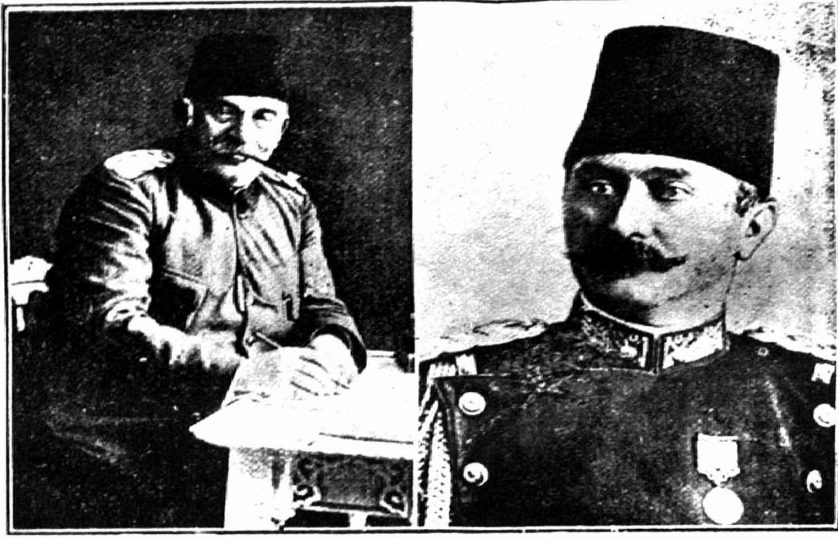
كامل باشا الذي
خلف مختار باشا بعد
كارثة قرق كليسا



أنور بك الذي
قلب وزارة كامل
باشا



محمود شوكت باشا
الاتحادي الذي خالف
كامل باشا بعد
حادثة الاستانة



ناظم باشا الذي
كان وزيراً للحربية
وقُتل يوم اسقاط
وزارة كامل باشا

عبد الله باشا قائد
الجيش العثماني
في تراقية





محمود مختار بلشما الذي اشتهر
بقيادة الفيلق الثالث وجرح
في جتالجا.



١٧٧
١٧٨
١٧٩
١٨٠
١٨١
١٨٢
١٨٣
١٨٤
١٨٥
١٨٦
١٨٧
١٨٨
١٨٩
١٩٠
١٩١
١٩٢
١٩٣
١٩٤
١٩٥
١٩٦
١٩٧
١٩٨
١٩٩
٢٠٠
٢٠١
٢٠٢
٢٠٣
٢٠٤
٢٠٥
٢٠٦
٢٠٧
٢٠٨
٢٠٩
٢١٠
٢١١
٢١٢
٢١٣
٢١٤
٢١٥
٢١٦
٢١٧
٢١٨
٢١٩
٢٢٠
٢٢١
٢٢٢
٢٢٣
٢٢٤
٢٢٥
٢٢٦
٢٢٧
٢٢٨
٢٢٩
٢٣٠
٢٣١
٢٣٢
٢٣٣
٢٣٤
٢٣٥
٢٣٦
٢٣٧
٢٣٨
٢٣٩
٢٤٠
٢٤١
٢٤٢
٢٤٣
٢٤٤
٢٤٥
٢٤٦
٢٤٧
٢٤٨
٢٤٩
٢٥٠
٢٥١
٢٥٢
٢٥٣
٢٥٤
٢٥٥
٢٥٦
٢٥٧
٢٥٨
٢٥٩
٢٦٠
٢٦١
٢٦٢
٢٦٣
٢٦٤
٢٦٥
٢٦٦
٢٦٧
٢٦٨
٢٦٩
٢٧٠
٢٧١
٢٧٢
٢٧٣
٢٧٤
٢٧٥
٢٧٦
٢٧٧
٢٧٨
٢٧٩
٢٨٠
٢٨١
٢٨٢
٢٨٣
٢٨٤
٢٨٥
٢٨٦
٢٨٧
٢٨٨
٢٨٩
٢٩٠
٢٩١
٢٩٢
٢٩٣
٢٩٤
٢٩٥
٢٩٦
٢٩٧
٢٩٨
٢٩٩
٣٠٠
٣٠١
٣٠٢
٣٠٣
٣٠٤
٣٠٥
٣٠٦
٣٠٧
٣٠٨
٣٠٩
٣١٠
٣١١
٣١٢
٣١٣
٣١٤
٣١٥
٣١٦
٣١٧
٣١٨
٣١٩
٣٢٠
٣٢١
٣٢٢
٣٢٣
٣٢٤
٣٢٥
٣٢٦
٣٢٧
٣٢٨
٣٢٩
٣٣٠
٣٣١
٣٣٢
٣٣٣
٣٣٤
٣٣٥
٣٣٦
٣٣٧
٣٣٨
٣٣٩
٣٤٠
٣٤١
٣٤٢
٣٤٣
٣٤٤
٣٤٥
٣٤٦
٣٤٧
٣٤٨
٣٤٩
٣٥٠
٣٥١
٣٥٢
٣٥٣
٣٥٤
٣٥٥
٣٥٦
٣٥٧
٣٥٨
٣٥٩
٣٦٠
٣٦١
٣٦٢
٣٦٣
٣٦٤
٣٦٥
٣٦٦
٣٦٧
٣٦٨
٣٦٩
٣٧٠
٣٧١
٣٧٢
٣٧٣
٣٧٤
٣٧٥
٣٧٦
٣٧٧
٣٧٨
٣٧٩
٣٨٠
٣٨١
٣٨٢
٣٨٣
٣٨٤
٣٨٥
٣٨٦
٣٨٧
٣٨٨
٣٨٩
٣٩٠
٣٩١
٣٩٢
٣٩٣
٣٩٤
٣٩٥
٣٩٦
٣٩٧
٣٩٨
٣٩٩
٤٠٠
٤٠١
٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤
٤٠٥
٤٠٦
٤٠٧
٤٠٨
٤٠٩
٤١٠
٤١١
٤١٢
٤١٣
٤١٤
٤١٥
٤١٦
٤١٧
٤١٨
٤١٩
٤٢٠
٤٢١
٤٢٢
٤٢٣
٤٢٤
٤٢٥
٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨
٤٢٩
٤٣٠
٤٣١
٤٣٢
٤٣٣
٤٣٤
٤٣٥
٤٣٦
٤٣٧
٤٣٨
٤٣٩
٤٤٠
٤٤١
٤٤٢
٤٤٣
٤٤٤
٤٤٥
٤٤٦
٤٤٧
٤٤٨
٤٤٩
٤٥٠
٤٥١
٤٥٢
٤٥٣
٤٥٤
٤٥٥
٤٥٦
٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦١
٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
٤٦٥
٤٦٦
٤٦٧
٤٦٨
٤٦٩
٤٧٠
٤٧١
٤٧٢
٤٧٣
٤٧٤
٤٧٥
٤٧٦
٤٧٧
٤٧٨
٤٧٩
٤٨٠
٤٨١
٤٨٢
٤٨٣
٤٨٤
٤٨٥
٤٨٦
٤٨٧
٤٨٨
٤٨٩
٤٩٠
٤٩١
٤٩٢
٤٩٣
٤٩٤
٤٩٥
٤٩٦
٤٩٧
٤٩٨
٤٩٩
٥٠٠
٥٠١
٥٠٢
٥٠٣
٥٠٤
٥٠٥
٥٠٦
٥٠٧
٥٠٨
٥٠٩
٥١٠
٥١١
٥١٢
٥١٣
٥١٤
٥١٥
٥١٦
٥١٧
٥١٨
٥١٩
٥٢٠
٥٢١
٥٢٢
٥٢٣
٥٢٤
٥٢٥
٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨
٥٢٩
٥٣٠
٥٣١
٥٣٢
٥٣٣
٥٣٤
٥٣٥
٥٣٦
٥٣٧
٥٣٨
٥٣٩
٥٤٠
٥٤١
٥٤٢
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٥
٥٤٦
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩
٥٥٠
٥٥١
٥٥٢
٥٥٣
٥٥٤
٥٥٥
٥٥٦
٥٥٧
٥٥٨
٥٥٩
٥٦٠
٥٦١
٥٦٢
٥٦٣
٥٦٤
٥٦٥
٥٦٦
٥٦٧
٥٦٨
٥٦٩
٥٧٠
٥٧١
٥٧٢
٥٧٣
٥٧٤
٥٧٥
٥٧٦
٥٧٧
٥٧٨
٥٧٩
٥٨٠
٥٨١
٥٨٢
٥٨٣
٥٨٤
٥٨٥
٥٨٦
٥٨٧
٥٨٨
٥٨٩
٥٩٠
٥٩١
٥٩٢
٥٩٣
٥٩٤
٥٩٥
٥٩٦
٥٩٧
٥٩٨
٥٩٩
٦٠٠
٦٠١
٦٠٢
٦٠٣
٦٠٤
٦٠٥
٦٠٦
٦٠٧
٦٠٨
٦٠٩
٦١٠
٦١١
٦١٢
٦١٣
٦١٤
٦١٥
٦١٦
٦١٧
٦١٨
٦١٩
٦٢٠
٦٢١
٦٢٢
٦٢٣
٦٢٤
٦٢٥
٦٢٦
٦٢٧
٦٢٨
٦٢٩
٦٣٠
٦٣١
٦٣٢
٦٣٣
٦٣٤
٦٣٥
٦٣٦
٦٣٧
٦٣٨
٦٣٩
٦٤٠
٦٤١
٦٤٢
٦٤٣
٦٤٤
٦٤٥
٦٤٦
٦٤٧
٦٤٨
٦٤٩
٦٥٠
٦٥١
٦٥٢
٦٥٣
٦٥٤
٦٥٥
٦٥٦
٦٥٧
٦٥٨
٦٥٩
٦٦٠
٦٦١
٦٦٢
٦٦٣
٦٦٤
٦٦٥
٦٦٦
٦٦٧
٦٦٨
٦٦٩
٦٧٠
٦٧١
٦٧٢
٦٧٣
٦٧٤
٦٧٥
٦٧٦
٦٧٧
٦٧٨
٦٧٩
٦٨٠
٦٨١
٦٨٢
٦٨٣
٦٨٤
٦٨٥
٦٨٦
٦٨٧
٦٨٨



فردينان ملک البلغار



ملك الجبل الاسود



الكونت برشتول
وزير خارجية النمسا الذي اصر على طالب استقلال
البانيا فوافقت الدول

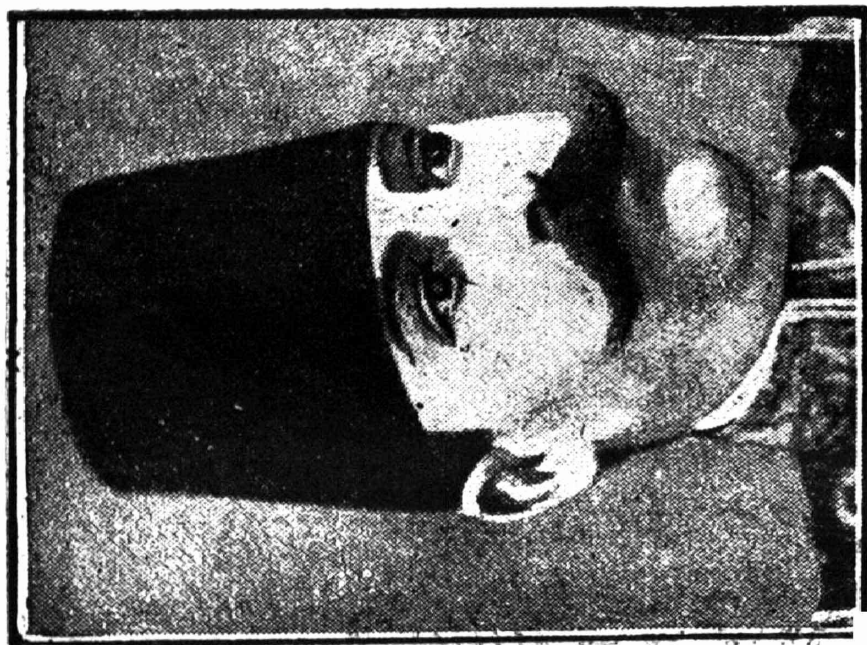


اسماعيل كمال بك
رئيس الحكومة الالبانية
الموقته





وهيب بك
الذي تولى قيادة حامية يانبا



اسعد باشا
قائد حامية اشقودره الذي نودي
به ملكا في بعض مدن البانيا



طلعت بك



احمد رضا بك



جاوید بك



حسین جاہد بك

وجميعهم من كبار الاتحاديين

تابع حسب البلقان الاولى

بين الدولة العلية والاحاد البلقاني

المؤلف من

البلغار والصرب واليونان والجل الاسود

فيه نحو ٤٠ رسما وخرائطان

بقلم

يوسف البستاني

المحرر في الجريدة بمصر

إن كان هذا الكتاب لا يُعدُّ تاريخاً بالمعنى الجامع لكلِّ أشرارِ التاريخ، فيبو على الأقلِّ معرضُ حوادثٍ صحيحةٍ غيّرت وجه الشرق، وراعت قلبَ الغرب، حاولتْ — ولا أدري هل أنا مفلحٌ — أن أوقف المطالع على أسبابها وتفاصيلها ونتائجها على نمطٍ يمثِّل به الاحوال التي دارت بِنلك الحوادث العظمى، فيتأثر بموتراتها، ويدهش بمدْهشاتها، ويعتبرُ بعبورها وتقلباتها، وكأني بالقارئ عند مطالعة هذا الكتاب يسمع من خلال سطره قصصات المدافع وصغير الرصاص وأنين الجرحى وعويل الالوف من الشيوخ والنسوة والاطفال الأبرياء الذين جنت عليهم همجية البشر في هذا القرن العشرين الملقَّب بقرن النور والمدنية، ثم يرى ما أتهُّ تلك الدول العظمى التي يجب أن تكون قدوةً جميلةً للعالم — من القلب والثلون والمخاتلة والمحادثة ونكت العهد، ونبذ الوعد

أما اخواني العثمانيون فلا أشاك أنهم يفرغون من مطالعة هذا الكتاب ونفوسهم ثائرة ودماءهم فائرة بما يقفون عليه من تفصيل المصائب التي نابت دولتنا العلية في الحرب الاولى، ثم يرون بعض العزاء في ابتسام الحظ للسياسة العثمانية ابان الحرب الثانية، ونجاح الوزارة السعيدية في استرجاع شطرينما خسرناه في الحرب الاولى

على أن ذاك النجاح الذي أعاد نور «اللال» الى أدرنه ومعظم تراقية،

لا يلاًم كل الصدع ولا يمحو جلّ الاسف على شطرٍ كبيرٍ من تركيا الأوربية ،
تلك البلاد التي كان ثمنها عظيماً من الدماء والدموع والمهج الغالية ، ولا مندوحة
معه للعثماني عن البحث في أسباب تلك المصائب ليعتبر بها . فما هي تلك الاسباب
هل ذهب الدهر بمزايا الجندي العثماني الذي وصل اجداده الى أبواب فينا وكتبوا
تاريخ مجدهم بالسيوف قبل الاقلام ولفوا من كبد السماء هلالاً ، ونشروه علماء
يتللاً ؟ كلا فان الذين حدثهم من كبار الضباط وموظفي الهلال الاحمر
الذين شهدوا بعيونهم ذلك الجندي ، وجميع المراسلين الحربيين الذين
شاطروه البرد القارس والشقاء المضي يقولون إنّ الجندي العثماني المنظم
هو هو ، يموت برداً في مركز الحراسة ، وتنطوي احشاؤه على الطوى فلا يشكو
ولا يثور ، ولو حصل كل يوم على قطعة من الخبز الجاف ما وهنت بجسمانه
قدمه ولا نكص أمام عدو . فما هو السبب اذاً ؟ قف بنا نوضحه بكلمة حرّة
ما الحرب التي تنكب احدى الامم نكبة فاتكة إلا السبب الطارئ ،
فواجب على من يريد الحقيقة أن يبحث فيما وراء ذلك السبب الطارئ عن
سبب أصلي عام كما قال مونتسكيو . والسبب العام الذي أدمى قلوب المسلمين
قبل المسيحيين والموسويين في السلطنة هو ظاهرٌ في الأقوال والاحاديث التي
نطق بها أقطاب الدولة أنفسهم ، وفي أقوال المراسلين السياسيين والحربيين على
اختلاف النزعات ، وفي حالة كل فرع من فروع الادارة عسكرية كانت أو ملكية ،
وأعني به الفساد المتفاقم : أصاب معظم أهل المناصب فقتل في نفوسهم روح
الواجب الوطني ، ونال سائر الموظفين فرماهم بالجشع والطمع ، وناب كبار الجيش
فانمى فيهم روح التحاسد والتنابد ، وأضعف روح التعاضد والتضامن ، حتى عمّ
الحلل وكثرت العلل ، وإنّ الامّة والحكومة لعلّ تلك الحال اذا بالاتحاد

البلقاني واقفٌ مستوفزٌ ويدهُ على مقبض السيف

على اني لست أرى برغم ما جرى أنه يقوم في سبيل الدولة العلية حائل
طبيعي يمنعها من النهوض ، فكما نهضت ألمانيا معفّرة الوجه من بين أقدام
القائم الكرسي العظيم وصعدت الى المقام الاسمى بين الدول العسكرية والتجارية
والصناعية ، وكما نهضت فرنسا مهشمة الاعضاء ملطخة الجبين بالدم والتراب من
بين سنايك ذوي الحوذات الالامعة منذ ثلاثٍ وأربعين سنة ، كذلك تنهض
الدولة العلية باذن الله على شرط أن تعتبر وتستفيد من المصائب التي حلت
بها كما استفادت تانك الامتان العظيمتان

اني لا أجهل الفروق التي بيننا وبين تيدك الامتين من حيث التنافر في
العناصر والتباين في الاديان والاختلاف في درجات المدنية بين الممالك العثمانية ،
على أن الاصلاح مستطاعٌ اذا جعل ولاية الامور ذاك الملك العظيم أقساماً
متحدة تحت « الهلال » العزيز وعدّلوا نظام كل قسم بما ينطبق على أخلاقه
وعاداته ودرجته من الحضارة فيرضى ابن اليمن وابن الحجاز وابن سوريا وابن
الاناضول ، وتبقى عاصمة الخلافة والسلطنة واسطة العقد وصاحبة الامر والنهي
في الجيش والسياسة الخارجية وسائر الشؤون العامة ، فلا يكون لكل قسم الا
جانبٌ معين من دخله وسلطة محدودة تكفيه للنهوض بالعالم والتربية وسائر
شؤونه الخاصة

وهناك أمرٌ راهنٌ لدينا وهو أن الامة العثمانية لم تفقد شجاعتها . وكل أمة
متمحلية بفضيلة الشجاعة يمكنها أن تنهض وتعملوا لان الشجاعة روح تنعش النفوس
وتنهض بالعزائم ، فحسبُ ولاية الامور أن يحولوا قوة تلك الروح الشريفة الى
المشروعات النافعة فتصبح مع ذكاء الامة ثروة أدبية عظيمة

وأما الثروة المادية وهي أحد الأركان العظمى ، فتمجدها في قلوب الممالك
الباقية للدولة العلية في آسيا وهي من أغنى بقاع الله . ومساحتها (ما عدا الولايات
المتنازعة) مليون و ١٥٦ الف ميل مربع ، أي نحو ضعف مساحة فرنسا التي
تبلغ ٢٠٤ ٠٩١ ميلاً ، مع مساحة ألمانيا وهي ٢٠٨ ٧٣٨ ، ميلاً ومساحة انكلترا
وهي ١٢١ ١١٥ ميلاً ، ومساحة إيطاليا ٢٠٩ ١١٤ أميال

وأما موارد الزراعة والمعادن فترك الكلام فيها لكبيرنا أستاذي سليمان
افندي البستاني وزير الزراعة في هذا الوقت ، فانه زار العراق منذ سنوات
وضربها مثلاً لثروة الأرض العثمانية . فقال (١)

« دونك الخطة العراقية فهي مع شمولها بلاد ما بين النهرين تمتد مما يلي
ديار بكر جنوباً الى خليج العجم شمالاً ومن حدود بلاد ايران شرقاً الى حدود
سوريا غرباً وتشمل ولايات الموصل وبغداد والبصرة وقسماً من ولاية ديار بكر
وهي بمساحتها تزيد عن مساحة فرنسا ويخصب تربتها لا يفوقها قطر في العالم
تخترقها مجاري أنهرٍ من أعظم الأنهار . ففيها دجلة والفرات وفيها الزاب الاعلى
والزاب الادنى وذباله وفيها شط العرب ملتقى الأنهر ، ذلك البحر الفيض المغني
بمده وجزره عن وسائل الارواء

« ذلك قطر قامت فيه بعواصمها أعظم دول العالم في العهد القديم من
البابليين الى الاشوريين الى السلوقيين خلفاء الاسكندر الى الفرس الى نخر
دول الاسلام دولة العباسيين

« ذلك هو القطر الذي رغب محمد علي أن يستبدله بمصر وما والاها مما
دخل في حيازته من بلاد الدولة العثمانية فلم يفلح

(١) رسالة وضعها بعد اعلان الدستور

« ذلك هو القطر الذي وقف هيرودوتس أبو التاريخ واجماً عن وصف تربيته وخصبها خوف أن تنسب اليه المغالاة والكذب مهما خفف من الاطراء ولا غرو فان جميع الدول التي احتلته كان لها من ورائه اثراء العظيم . وتلك بابل مع زيادة عدد سكانها في ابان عظمها على خمسة وعشرين مليوناً وامتلاء خزائنها بالمال من موارد ثروته كان حاصل زراعتها يكفي لمعيشة سكانها ويفيض عن الحاجة فيصدر مسحوناً الى سائر البلاد

« وتلك الدولة العباسية العظيمة مع بسط سلطتها على سلطنة لم تكن سلطنة اليونان والرومان بازاؤها شيئاً مذكوراً كان معظم دخلها من السواد وخراجه وليس السواد الاً قسماً من هذا القطر »

ثم تطرق الى المعادن فقال « ان الفحم الحجري وهو من أعظم أركان الثروة موجود في قسي أوروبا وآسيا مما بذات بعض الهمة في استخراجها كمعادن هركلي ، ومما لا يزال مهملاً كمناجم مندي في ولاية بغداد ، ومعادن الرصاص الفضي تستخرج قليلة من الاوربية ومثلها معادن الحمر في الاراضي السنية بسوريا والنحاس في ارغني بولاية ديار بكر . وفي مواضع كثيرة معادن ظاهرة تو شك ان تكون مهمة كل الاهمال ومنها الذهب والفضة والانتيمون والزرنيخ والسنباذج والزئبق والمنغنيس والحديد والقار الحجري والسائل والكبريت والبورق ومقالع الرخام على اختلاف أنواعه . وليس بعيد أن يكون فيها منابع بترول غزيرة فقد شرع منذ نحو خمس وعشرين سنة باستخراجه من ضواحي الاسكندرونة ثم أهمل لاسباب غامضة . وأما في ولاية بغداد فوجوده محقق إذ يستعمله أهالي مندي وجوارها بحالته الطبيعية بلا تصفية . وقد كان مهتت باشا اهتم باستخراجه على الطرق الحديثة فانفق مبالغ طائلة على بناء

معمل في بعقوبة استجلب له الآلات والمهندسين وحالما بدت بوارق النجاح غادر
مدحت الولاية فاقفل المعمل ولعبت به أيدي الدمار . وأما المياه المعدنية بجميع
أنواعها الحارة والباردة فهي متفجرة في مواضع كثيرة لا يكاد يلتفت إليها مع
ثبوت مضاهاتها لأحسن الأنواع من أمثالها في أوروبا . وهي كثيرة بعضها في
أوروبا كياه بورصة وبعضها في آسيا كياه وادي العمق بولاية حلب

« ومن الغريب أن مياه الحمة في فلسطين التي كان يقصدها عظماء أوروبا
الاستشفاء وأنشأ فيها قياصرة الرومان حمامات تدل آثارها على عظمة لا مثيل
لها في أشباهها بأوروبا باتت مهملة لا ينتابها إلا القليلون من أبناء الجوار ممن
لا يطبق الانتقال إلى أوروبا

« وأما الملاحات البرية والبحرية فكثيرة جداً وبعضها يستخرج منه الملح
بهمة وعناية فينتج دخلاً غير قليل ولا عجب بتلك الناية الخاصة فادارة الديون
العمومية هي الرقبة عليها الحافظة لدخلها » اهـ

فاذا عمرت تلك الاراضي الغنية بطبيعتها وكنوزها ، وعمرت معها العقول
بالتعليم ، والاخلاق بالتربية ، وعُدِّل النظام في كل جهة طبقاً لحوالها ،
وعرف ولاية الامور كيف يعالجون السياسة الدولية ريثما يتم الاصلاح ، فان
السلطنة تبلغ ما تشاء من العمران ، وتصبح باذن الله انسان عين الزمان
يوسف . ف . البستاني

كتاب

في تأليف هذا الكتاب

رأس الامور التي يجب على كل مؤلف أن يهتم بها في كل تأليف ، هو افراغ الجهد في الحصول على ثقة القارئ . وها أنا شارح لقراء هذا الكتاب ما فملته لاكتسب ثقتهم لانها افضل ما أرجوه من الارباح :

ما صفر الرصاص وغنت المدافع نغمات الشؤم على هضاب البلقان حتى أخذت أجمع كل مستند رسمي أو شبهه بالرسمي وأطلع على رسائل المكاتبين الحربيين وأرتبها حسب تواريخها . وكنت كلما سمعت أن مراسلا أو كاتباً شهيراً قديراً أصدر كتاباً في موضوع الحرب بادرت الى شرائه اذا كان موجوداً بمصر أو طلبته من أوروبا ، حتى اجتمع لدي عدة كتب منها كتاب الموسيو استفان لوزان رئيس تحرير الماتين الذي كان في الاستانة مدة الحرب الاولى . وكتاب الموسيو رينيه بيو مراسل الثان الحربي الذي كان مع الجيش البلغاري وزار صوفيا وبلغراد ونقب عن أسرارها السياسية . وكتاب الموسيو وجنر مراسل الريشبوخت النمساوية ، وكتاب الضابط الالماني هوشوختر (أو هوخوختر) الذي كان مع الجيش العثماني . ورسائل المكاتبين الحربيين لجرائد اللوستراسيون والجورنال والديبا . وكتاب الكولونل بوكاهيل الكاتب العسكري المعروف في فرنسا ، وهو لم يذهب الى إحدى ساحات القتال ، بل جمع كل ما كتب عن الحرب البلقانية الاولى وقابل بين الروايات المختلفة واستخلص الحقائق بما يدل على قدرته وطول باعه

وما تركت حديثاً لوزير أو سياسي أو قائد إلا جمعته . ولما صدر أخيراً
كتاب دولتلو محمود مختار باشا الذي كان قائداً للفيلق العثماني الثالث أضفته
إلى كل ما تقدم

بعد أن توفرت لديّ كل تلك المصادر درست موضوعي درساً وافياً
وقابلت بين الأقوال والروايات حتى آنست من نفسي المقدرة على تقديم مؤلف
جدير بالذكر . وما يراه القارئ في هذا الكتاب أني لم أروّ خبراً يقام له وزن
إلا بعد أن رأيت تأييده في أقوال كاتبين أو مؤلفين على الأقل

وكننت مع ذاك كله أراقب كل ما كتب أيام طبع هذا الكتاب
لعلني أرى ما يجب إصلاحه . ثم نشرت في آخره ما رأيت نشره مفيداً من
الملاحظات ، وبذات الجهد من جهة أخرى في مقابلة الذين عادوا من ساحات
القتال كدولة الأمير عزيز باشا حسن ومندوبي جمعية الهلال الأحمر المصري ،
وقلبت معهم الحديث على وجوه عديدة بقصد أن أعرف فائدة جديدة أو
أصلح هفوة من الهفوات

تلك هي المجهودات التي بذلتها وأضفتها إلى اختبار عشرين سنة قضيتها بين
المخابر والأقلام ودرست فيها المسألة الشرقية وطالعت جلّ ما كتب فيها يبراع
أكابر المؤلفين وبحث غير مرة في موضوعها . وكلّ ما أرجوه أن أكون موفقاً
في خدمة الحقيقة والتاريخ م. المؤلف ٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٣

وسأصدر ملحقاً أضمنه ما يتقرر في شأن جزر بحرايجه ، وتحديد البانيا ،
وما يعقد من الاتفاقات أو يقع من الحوادث الكبرى وعلى الله الاتكال

صفحة	صفحة
١٠٩ جتالجه	مقدمة الكتاب
١١١ معارك جتالجه	٣٣ أسباب الحرب السياسية
١١٤ معركة ١٧ نوفمبر	والتاريخية
١١٦ جرح محمود مختار باشا	٤٨ معاهدة برلين وعلاقتها بالحرب
١١٨ الضباط الالمانيون في الجيش	٥١ تحالف دول البلقان وكيف كان
العثماني	٦٠ مرمح السياسة قبل اعلان الحرب
١٢١ حصار أدرنه وسقوطها	٦٩ اعلان الحرب
١٣٧ معارك الجيش الصربي والجيش	٧٢ الجيش العثماني وقت اعلان
العثماني الغربي	الحرب
١٣٨ معركة كومانوفو وهي الفاصلة	٧٩ الجيش البلغاري وقت اعلان
١٤٤ نحو ألبانيا والادرياتيک	الحرب
١٤٧ الجيش اليوناني ومعاركه	٨١ جيوش الصرب واليونان وقت
١٤٩ معركة الاصونا	اعلان الحرب
١٥٠ تسليم سلانيک	٨٣ طريقة تقسيم الكلام على المعارك
١٥٣ نحو مناستر	٨٤ زحف العدوين في تراقية
١٥٥ حصار يانيه وسقوطها	٨٧ سقوط مصطفى باشا
١٦٢ معارك العثمانيين والجبلين	٩٠ خطب قرق کلیسا والمشهد الالم
١٦٦ حصار اشقودوه وسقوطها	٩٦ معركة لوله بورغاز وهي الفاصلة
١٧٠ المعارك البحرية	في تراقية
١٧٧ باب الفطائع	١٠٢ بعد لوله بورغاز

- ١٩٧ الصحافيون بين النار والحديد ٢٥٩ آراء محمود مختار باشا
- ٢٠٦ تأثير الفشل العثماني في العالم الاسلامي ، والمهلال الاحمر المصري
- ٢١٥ أسباب الفشل العثماني ٢٦٢ حديث مع الامير عزيز باشا احسن
- ٢٢٣ مرشح السياسة وقت الحرب ٢٦٧ أسبانيا
- وبعدها ٢٢٨ أسباب فشل البلغار ٢٧١ القتال بين البلغار بين والصربيين
- ٢٢٤ الهدنة الاولى ومؤتمر الصلح الاول ٢٧٤ القتال بين البلغار بين واليونان
- ٢٣٠ الجمعية الوطنية بالاستانة ٢٧٨ أسباب فشل البلغار
- ٢٣٤ فئنة الاستانة وقتل ناظم باشا ٢٧٩ فظائع البلغار بين
- ٢٣٨ الهدنة الثانية ومقدمات الصلح ٢٨٤ زحف الجيش الروماني الى بلغاريا
- والمؤتمر المالي في باريس ٢٨٦ معاهدة الصلح في بوخارست
- ٢٣٩ مقتل شوكت باشا الصدر الاعظم ٢٩٢ فوز العثمانيين باسترجاع أدرنة
- ٢٤٢ منازع الدول العظمى في مؤتمر ٣٠٠ معاهدة الاستانة
- السفراء ٣٠٩ قيمة البلدان التي خسرتها الدولة العلية
- ٢٥٠ نتائج الحرب من الوجهة السياسية ٣١٤ آراء العلماء والكتاب في أفضل
- وأحزاب الاصلاح العثماني وسيلة لانهاض السلطنة

أسباب الحرب البلقانية

من رام أن يقف على حقيقة تلك الحرب الهائلة ويدرك أثرها العظيم في الشرق والغرب يلزمه أن يعرف أسبابها وحوادثها ونتائجها . وانا بادئون بذكر تلك الاسباب واحداً فواحداً مع الإيجاز ، ومعتمدون على نخبة من أقطاب السياسة وصفوة المؤرخين والباحثين في المسألة الشرقية . فان الحرب البلقانية ليست الا مشهداً كبيراً فاجعاً من رواية تلك المسألة التي تعددت فيها الفصول وأدمت مشاهدها العيون

✽ السبب الاول ✽

يخلق بنا ان نحسب رأس الاسباب ما انطوت عليه الضلوع وغلّت به الصدور من الحقد القديم والضعيفة الكامنة بين الاتراك والامم الاربع المتحالفة . فان كل أمة منها جعلت تربية الحقد في صدور أبنائها على دولة آل عثمان فرضاً مقدساً وآية من آيات الوطنية . فاذا ورد ذكر التركي على أحد أساتذتها جعله عنواناً للظلم ، وثلاً للقسوة ، وعدواً أبدياً يجب على كل فرد ان يرضع بفضه مع حليب أمه

أنظر الى اليونانيين تجد الاساتذة والوالدين والوالدات وكل عجوز بالية يرددون ذكر مجدهم القديم ويعدون التركي مغتصباً لارضهم هداماً لدولتهم ، هضاماً لحقوقهم ، ويمزجون ما يحويه تاريخهم من الحقائق

الجارية بخرافات وحكايات نظمها لهم أساتذتهم وشعر أوهم ليربوا فيهم كراهة
التركي، ويحملوهم على التفكير المستمر في استرجاع ما وقع في قبضته من
ملكهم القديم، ويجعلوا طلب الثأر نصب أعينهم الى ان يأتي وقته. ثم تراهم
يتمنون اهتماماً خاصاً باخبار أبطالهم والمنظومات الحماسية لشمرائهم القدماء
وفي طليعتهم هو ميروس صاحب الاليلذة الخالدة، ويرددون على الاخص
من الحوادث الغابرة قصة يسمونها حكاية علي باشا في يانيا فيعززون اليه من
الفضائع والاهوال ما يشيب الطفل في مهده ويزعج الميت في لحده. وهم
يجعلون فيها القطرة بحراً والصفير سفراً ورتبونها كما يشاء الخيال، اذ لا
يهمهم منها الا ان تجيء في شكل يبكي النساء والأطفال ويشير قلوب
الرجال. قال كاتب فرانسوي كبير « يمكننا ان نقول ولا نخشى الخطأ ان
حكاية يانيا حضت الامة اليونانية على الجهد الذي بذلته في الحرب الاخيرة
حزناً كبيراً وأثرت فيها تأثيراً شديداً. فانك تجد كل قرية وكل دسكرة
في الجزر اليونانية تأخذها الرعدة من تذكار يانيا. وترى النساء ينقلن
تلك الحكاية الى أولادهن ويذكرن ما أته بعض اليونانيات من الاعمال
في مجال القتال. وما من أثر أبقى في النفوس وأقوى في القلوب من
حكايات وطنية تعيدها الام وهي جاثية أمام سرير ولدها »

وأضف الى حوادث التاريخ القديم والمتوسط حادث الفشل الكبير
الذي حل بهم في حرب سنة ١٨٩٧. فانهم لبثوا بعدها يتطلعون الى الثأر
واستقدموا جماعة من الضباط الفرنسيين فنظموا لهم جيشهم وجددوا
مدافعهم. وكان يزيدهم حقداً على حقد أن الحكومة العثمانية ظلت واقفة
لدى الحكومة اليونانية ويدها على مقبض السيف لتوقع الرعب في قلبها

وتتمعها من ضم جزيرة كريت الى أملاكها . وكانت جرائد الاستانة تنذر اليونان في كل يوم بالزحف على أثينا اذا قبلوا المندوبين الكريتيين في البرلمان اليوناني كما طلب أهل تلك الجزيرة . وانا لثري رأي كبير من العثمانيين في هذا الشأن وهو ان الحكومة العثمانية لم تتبع سياسة الحكمة باذلالها اليونان تكراراً بعد ان قهرتهم في ساحة القتال . فانها لو سارت معهم على منهج المجاملة منذ شعرت بالشر المضر في قلوب الصرب والبغار ، لكان في وسعها ان تحول دون انضمامهم الى التحالف البلقاني . واكن شاء سوء الطالع ان تكون جميع الظروف مفضية الى تفاقم ذاك الحقد القديم بدلا من تخفيفه وتلطيفه

واذا رجعنا الى تاريخ البلغاريين وجدنا ان الحقد ينمو في قلوبهم منذ سنة ١٣٩٣ أي السنة التي سقطت فيها الدولة البلغارية في قبضة تركيا . واذا أراد القاريء ان يعرف مبلغ بغضهم للتركي - وكل موظف عثماني هو تركي عندهم - فحسبه ان يقرأ شيئاً مما يلقونه على أولادهم أو يسمع ما يقوله الشيوخ والعجائز منهم . ذكر لي صديقي حقي بك العظيم انه زار صوفيا عاصمة البلغار منذ بضعة أعوام وذهب يوماً مع نسيب له (كان معتمداً عثمانياً سامياً) في مركبة الوكالة العثمانية الى بعض أحياء المدينة . وبينما كانا مارين أمام بيت إحدى العجائز ، خرجت ويدها قدر من الاقدار المختلفة وقذفت به على طربوشيهما وملابسهما العثمانية وليس يدلنا على اعتنائهم الشديد بتربية الحقد على الاثرak وزيادة

النفور منهم مثل أمر ماثور . وهو انهم تركوا محلة صغيرة في عاصمتهم على أسوأ حال لتكون غبرة لكل بلغاري فيتذكر على الدوام ما كانت عليه بلادهم في عهد الحكم التركي . والواقع ان تاريخ البلغار (منذ سقوط دولتهم سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٨٧٧) كان تاريخ ذل وهوان فانهم كانوا أرقاء تلعب الاكف التركية في رقابهم واذا شكوا حكمت السيوف في هاماتهم ولبثوا سنوات عديدة على أثر سقوط ملكهم يحسبون الاتراك من محند أشرف من محندهم حتى صحت فيهم حكمة القائل « ان الاستعباد يفقد الشعوب نصف فضيلة الرجولية »

على انهم كانوا مثل كل شعب مغلوب على أمره وله تاريخ قديم ، يذكرون استقلالهم الذي تغفل في طيات الزمان ويحنون اليه وهم في زوايا بيوتهم ، ويشكون بصوت خافت من حكامهم . ولبثوا على تلك الحال من الجبن والمسكنة حتى سنحت الفرصة لانفجار حقدهم الكامن قبيل معاهدة برلين . وكانت عوامل ايقاظهم ثلاثة أولها ان ولاية أمورها غلوا أشد غلو في الضغط عليهم فكانت نتيجة هذا الضغط انفجار ذاك الحقد والثاني ان روسيا العدو القديمة لتركيا كانت تحضهم وتعدهم بالقون والمدد . والثالث ان تحريرهم من قيد الكنيسة اليونانية أنشأ فيهم روح الاستقلال

بقيت تلك العوامل الثلاثة تعد نفوسهم للثورة وتزيد حقدهم المتأجج حتى هبوا ينفضون عنهم غبار الذل العتيق . ولما ثارت البوسنة والهرسك سنة ١٨٧٥ رأى ذوو الاقدام منهم ان الفرصة كانت موافقة للثورة وسقاء النفوس من الضعينة

على انهم لم يكتفوا بالخروج على الحكومة بل ارتكبوا اجنابة دُبح المسلمين في بعض القرى . ولم تكن ثورتهم وقتئذ عامة لان قسماً كبيراً منهم كان لا يزال خائفاً من سادته الاترك . وما ترمى خبر فتنهم الى الباب المالي حتى عقد العزيمة على تأديبهم وكان التأديب واجباً . الا انه اخطأ الطريقة المثلى فاطلق عليهم ألوفاً من الجنود غير المنظمة بدلاً من ان يُسير اليهم جنوداً نظامية تحت امره قائد عاقل يضع الدين في محله والشدة في موضعها . وروى قسلاً فرنسوا انكاراً في تقاريرها الرسمية « ان عدد الذين ذبحتهم تلك الجنود من رجال ونساء وأطفال يبلغ ما بين ١٥ و ٢٠ ألف نفس » فكان لذلك الحادث صدى عظيم في أوروبا ، وهب غلادستون فلقى خطبه الشهيرة عن تركيا والأتراك وانسى الاوربيين ان البلغاريين فتكوا هم أيضاً بالمسلمين الآمنين . ولا غرو فان الحادث الاكبر ينسي الحادث الاصغر ، وهناك سبب آخر وهو ان شعور كل فئة بنكبات أهل دينها أشد من شعورها بارزاء الآخرين ، وهذا طبيعي تجده عند جميع الامم والملل ولا يتغير ما دام الانسان انساناً . وقليل هم لسوء طالع الانسانية أولئك الذين يضعون الحق فوق كل شيء

على ان هذا كله بعض ما جرى بين العدوين وهو يكفي للدلالة على ان الجيش البلقاري لم يزحف وحده من صوفيا بل زحف هو وحده خمسمائة سنة ! . . .

وليس حقد الضريين وأهل الجبل الاسود على الأتراك باخف من حقد اليونانيين والبلغاريين . فانهم مثل حلفائهم يربون في أبنائهم محبة

الثأر من تركيا ، ولا ينسون انتصار الأتراك عليهم وفتكهم الذريع بهم .
ذكر الموسيو (البير مالي) الأستاذ الكبير في التاريخ السياسي ان المؤرخ
الصربي (ليوبا كوفاتشفيتش) وقف يرثي ابنه الذي قتل في احد معارك
الحرب البلقانية فقال :

(يا بني نم بسلام فقد أوفيت دينك للوطن . وقل لدوشان ولازار بل
قل لجميع شهداء قوصوه ان أمهم تأرت لقوصوه ...) . ولقد دلت الحرب
على ان الثأر الذي أشار اليه هذا المؤرخ الصربي هو أمنية كل فرد من أمته ،
وان الحق على الأتراك شامل لطبقاتها . قال أيضاً الموسيو (البير مالي)
ان معارك قوصوه (التي حدثت من نحو ٥٠٠ سنة) ما زالت تذكر
عندهم كما تذكر حوادث حرب السبعين عند الفرنسيين) وما برحوا
يرددون تذكار القيصر دوشان والقيصر لا زار حتى الآن

ثم روى الأستاذ نفسه دليلاً على احتفاظ الصربين بما يضرم الضغينة
في قلوبهم على الأتراك قال : ان الفأ من الصربين كانوا سنة ١٨٠٩
محصورين في احد المعاقل على مقربة من مدينة نيش فأرأوا أن الأتراك
أوشكوا ان يستولوا على موقعهم عنوةً فاختاروا ان ينسفوا معقلهم بما
كان عندهم من البارود على ان يقموا احياء في ايدي اعدائهم ، ثم جاء الأتراك
بعد انفسه وفصلوا رؤوسهم عن الجثث وجعلوا منها شبه برج . ولما دخل
الصربيون مدينة نيش سنة ١٨٧٨ كان ذاك البرج محفوظاً على شكله
فرفعوا الجماجم دفنوها في مقبرة وابقوا البرج ليراه الأبناء والاحفاد ولقبوه
برج الجماجم ، واصبح امره مرضع قصص المعجزة والوالدات في البيوت
والاساتذة في المدارس

وليس من غرض هذا الكتاب أن نفيض في شرح الوقائع التاريخية التي أشعلت نار ذاك الحقد . فإنا نختم الكلام عن هذا السبب الاول من أسباب الحرب بما تضمنه قانون أصدرته حكومة الجبل الاسود سنة ١٤٨٤ ليكون دليلاً آخر على الحقد القديم في صدور أهل ذاك الجبل أيضاً وهو : « اذا نشبت الحرب بيننا وبين الأتراك فلا يجوز لأحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال إلا بأمر رئيسه . وكل من يفر أو أم الترك يفقد شرفه الى الابد ويصبح محترقاً منبوذاً من آله ثم يلبس ثوب امرأة ويهبط مغزلاً ليشتغل به مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهن الى طرده كما يطرد الجبان الذي يخون وطنه » (١)

وهنا ندع القاري ، يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر

﴿ السبب الثاني ﴾

هو طمع كل دولة من أعداء تركيا في بسطة الملك ومنعة الجانب واسترجاع شيء من مجدها القديم فان مجد الدولة اليونانية القديم معروف خالد وآثار سلطاتها ما زالت بادية في شبه جزيرة البلقان بما تراه من انتشار لغتها ومبانيها وكنائسها ، وسقوط الامبراطورية البيزنطية ترك الى اليوم حسرة في قلبها . وهي منذ شئت أوروبا ان تمنحها الاستقلال تصرف قواها الى استرجاع ما فقدته وتذكر ايروس وكريت وجزر الارخبيل وسائر ما طلع عليه الهلال من البلدان التي كانت تحت سلطاتها

(١) من تاريخ السلطنة العثمانية لجون كير

ثم ان دولة البلغار التي صارت الى الاتراك بحكم السيف منذ سنة ١٣٩٣ ، كانت على شيء كبير من البطش والقوة ، وما برح البلغاريون يعنون عناية خاصة بتعليم تاريخها لابنائهم ولبشواقرونًا طويلة يحنون اليها في سرهم ، حتى كانت الحرب الروسية العثمانية الاخيرة فانتصرت روسيا وأجبرت تركيا على الاعتراف باستقلالهم وجعلت ممالكهم كبيرة واسعة في شبه جزيرة البلقان . على ان مؤتمر برلين الذي عدل معاهدة سان استفانو أنقص ما طلبته لهم روسيا في المعاهدة المذكورة . فخرجت بلغاريا صغيرة ، ولكن مطامعها كبيرة . ثم أخذت تستعد لاخذ ما حرمتها منه السياسة الدولية

والعرب من جهة ثالثة تطمع في استرجاع البلدان التي تحسبها مهد عزاها ومجدها . فقد كان للصريين ملك مستقل منذ القرن الثالث ثم بقي ينمو نحو قرن ونصف حتى بلغوا أعلى مرتبة من مراتب عزمهم في أواسط القرن الرابع وامتد ملكهم في أيام امبراطورهم دوشان من البحر الاسود الى الادرياتيک ومن نهر الطونه الى بحر الارخبيل . ولما كانت سنة ١٣٤٦ توج دوشان امبراطوراً في اوسكوب ، وكان الصرييون في تلك السنة ينوون الزحف على الاستانة لانهم رأوا الامبراطورية اليونانية أصبحت في دور الشيخوخة والانحلال ولكن امبراطورهم دوشان توفي فجأة فحال موته دون مرامهم

وكان الاتراك في ذاك الوقت يتجهون نحو شبه جزيرة البلقان ويستولون على بلادها ، وما لبثوا أن قهروا الصريين وأذلّوهم واذا تدرجنا من ذاك العهد البعيد الى عهد مؤتمر برلين وجدنا ان

الصريين كانوا يطمعون في شيء كثير خفبت آمالهم لان الدول لم تشأ ان تؤيدهم بقدر ما طلبوا، ولان روسيا نفسها التي أراقوا دماءهم مع دماؤها في حرب ١٨٧٧ لم تكن تميل اليهم ميلاً شديداً لما آتست من غيرتهم الشديدة على استقلالهم ودستورهم وحريتهم، ولا بدع فان حكومة روسيا كانت تكره الدستوريين بالطبع ولا سيما في ذاك الوقت، فاختارت بعد معاهدة سان استفانو ان تجزل العطاء للبلغاريين الذين ساعدوها أيضاً في الحرب فتنشئ بلغاريا قوية بدلا من ان تعزز جانب الصرب (١) أما الجبل الاسود الذي لا تزيد مساحته عن ٩٠٨٠ كيلو متراً مربعاً فهو يطمع في توسيع ملكه منذ عهد بعيد، ولا يرى مجالا لتوسيعه الا باخذ جانب من بلاد الدولة التي كان تاريخها سلسلة حروب دموية بينه وبينها. وأخص ما يطمع فيه أشقودره وما جاورها. وهو يعتمد على مساعدة روسيا التي طالما نفحته بالهدايا الكثيرة وأعطته بعض مطالبه في معاهدة سان استفانو التي ذهبت بها معاهدة برلين. ولعله يعتمد بعض الاعتماد على ايطاليا لان ملكها صهره

على ان الطمع الذي جاش في صدور اليونانيين والبلغاريين والصريين ولد فيما بينهم من الضغائن والاحقاد بعد معاهدة برلين ما كاد يضارع حقدهم القديم على الدولة العلية، وكان معظم التنازع بينهم في الولايات المعروفة باسم مقدونيا

(١) سقطت لفظة (عشر) مرتين في الصحيفة ٤٠ والصواب في السطر ١١

(الثالث عشر) ١ وفي السطر ١٣ (الرابع عشر)

أخذ كل فريق يعزز قومه هناك وينفق من دمه وماله في سبيل نفوذه
الادبي والسياسي ، فانقسم مسيحيو مقدونية الى يونانيين وبلغاريين
وصربيين وفلاخ ، وأخذ كل قسم منهم يتلع عنقه الى غايته ويؤيد نفوذ
دولته التي كانت تحركه وتحرضه فانتفعت تركيا الى حد ما ، من ذاك
التنازع وأمنت اجتماع تلك الاقوام يداً واحدة . ولكنها كانت مهددة
من جهة أخرى بعقارب الدسائس التي سمعت اليها من الامم البلقانية
المستقلة ، والتي كانت برهاناً دامناً على طمع تلك الامم الصغيرة في
تركيا أوربا

وكان اليونانيون والبلغاريون والصربيون مقتنعين بأن مطامعهم مبنية
على حقوق تاريخية وجنسية . ولكن المؤرخين المنصفين يرون أن بناء مطامعهم
على التاريخ لا يمكن الاعتداد به لان مقدونيا وقعت على التوالي
تحت سلطان الرومانيين واليونانيين والصربيين والأتراك . ولا يغلو من
يقول ان هذا التنازع الشديد الذي حمل العصابات اليونانية والبلغارية
والصربية على ارتكاب أعظم الفظائع ، كان من جملة عقبات الإصلاح

﴿ السبب الثالث ﴾

هو السياسة الدولية ولا سيما السياسة الروسية التي تطمح الى ضفاف
البوسفور ، وعاصمة البيزنطيين ، ومدينة الذهب ، والموقع الذي قال فيه
نابوليون « ان من يملكه يصبح سيد العالم » واليك البيان
قال الاستاذ شوبليه في تاريخه « المسألة الشرقية بعد معاهدة برلين »
ان روسيا تحسب نفسها وارثة الامبراطورية البيزنطية ، وسياستها لا تتغير

لأنها مبنية على الروح المخامرة للشعب الروسي . فإذا كانت الحكومة الروسية تكف إلى أجلٍ عن العمل لبأوغ الغاية التي عينها لها السلف فإن الأمة الروسية لا تعدل عن طلب تلك الغاية ولا تلبث أن تدعو حكومتها إلى التقدم نحوها

ثم قال أيضاً أن الروسيين يريدون الاستانة . وهم لا يريدونها عاصمة روسيا بل يريدونها عاصمة الاتحاد الصقلي (السلافي) ليقم فيها رئيس المذهب الأرثوذكسي ويجمع حوله جميع صقالبة البلقان . غير أنه لما فشلت روسيا في تأليف الجامعة الصقلية أخذت تبدو لأوروبا في مظهر من عدل عن فتح أي بلاد عثمانية

ولما انتصرت في حرب ١٨٧٧ عاد أنصار الجامعة الصقلية في روسيا لجددوا آمالهم وتوهموا أن صقالبة البلقان وصقالبة النمسا سينضمون إلى روسيا . ولكن السياسة الدولية لم تبق مجالا كبيرا لتلك الآمال بعد معاهدة برلين

بقيت آمال روسيا تشرق وتغرب ، حتى رأت دول البلقان تعقد التحالف على تركيا فايدتهم . أجل ليس لدينا من البراهين الدامغة ما يدلنا على أن ذاك التحالف هو صنعة روسيا كما قرأنا في بعض الجرائد الأوروبية بيد أن الأمر الذي لا جدل فيه هو أن أعضاء تركيا منطبق على مصالح روسيا ومعزز لآمالها القديمة ، وأنها رئيسة الصقالبة فلا يمكنها أن تهملهم ، ولا يمكنهم أن يخوضوا معمعان حرب هائلة قبل أن يشقوا بأنفسهم لا تخذلهم في الأيام السوداء . وهم يعلمون من جهة أخرى أن الدول التي وضعت معاهدة برلين لم تسهر على حرمتها بل تركت بلغاريا

تحترقها باخذ الروملي الشرقية ، ثم سمحت للنمسا بأن تضم البوسنة
والهرسك الى املاكها ، فقام في انفسهم أن الدول اذا كانت لا ترضى
بحل تركيا فجأة مخافة ان تقوم مشاكل عظيمة فانها لا تأبى ان تؤكل في
اوربا كالخرشوفة ورقة فورقة . قال المؤرخ شوبليه « ان الدول لا تريد
أن تقنى تركيا بصدمة واحدة ، ولكنها لم تعارض حتى الآن في
تقسيمها شيئاً فشيئاً . فان غرض الدول على ما يظهر هو أن تؤخر سقوطها
لا أن تنقذها »

عرف المتحالفون ذلك كله فأمنوا خسارة اي شبر من ارضهم ،
وتأكدوا انهم اذا انتصروا على تركيا كانت غنيمتهم كبيرة واذا فشلوا فان
بلادهم تبقى لهم فاقدموا على الحرب بقلوب كبيرة وعزائم شديدة
ولا يدحض هذا القول ان روسيا والنمسا سعتا بالاصالة عن نفسيهما
والنيابة عن سائر الدول العظمى في سبيل منع الحرب ، وأنهما انصحتا الحكومات
البلقان بوجوب العدول عن العدوان فان البلقانيين كانوا يعلمون كنه
سياسة الدول ويشقون بأن روسيا كما قدمنا لا يمكنها عند الضرورة
أن تنبذ تقاليدھا او تعرض عن الرأي العام في امبراطوريتها . ولقد اصابوا
الغرض فان روسيا لم تحجم عن تجنيد جيشها حين اخذت النمسا تهدد
الصرب كما سترى في باب آخر ، وان فرح الشعب الروسي بانتصار
البلقانيين بلغ حداً قصياً . واذا اراد القارىء دليلاً على شعور الروس
فحسبنا ان تقدم له خبراً ورد ونحن شارعون في طبع هذا الكتاب . وهو
ان خبر سقوط ادرنه وصل بطرسبرج والموسيو دانييف مندوب البطار
في مؤتمر لندن جلس في الدوما (مجلس النواب) ، فنهف حينئذ نواب

الروس هتاف الفرخ والابتهاج وحملوا الموسيو دانيف والمعتمد البلغاري في
عاصمة روسيا واخذوا يغنون وينشدون
فكيف تستطيع حكومة روسيا ان تغفل رأي الجمهور الروسي وتلك
عواطفه ؟

﴿ السبب الرابع ﴾

هو غفلة كبار الدولة العلية وتنازعهم المتواصل على السلطة وإشراب
الجيش سم السياسة ، مما أفضى الى الضعف والاضطراب في جميع فروع
الادارة ومنها ادارة الجيش
وإن ضعف الخصم كثيراً ما يولد المطامع عند خصمه ، أو يزيد اتفاقاً
إن كانت موجودة كامنة كطامع البلقانيين العريقة في القدم . كما ان قوة
الخصم تؤدي الى اخفاء المطامع فلا تجيش في الصدور ولا تدفع أصحابها
ان كانوا عقاء الى حدّ العدوان . ألا ترى ان فرنسا تطمع في استرجاع
الالزاس واللورين اللتين أخذتها المانيا بعد حرب السبعين ولكنها لا
تحميد عن جادة الحكمة والفطنة لان المانيا ضخمة قوية لا يسهل نزع
اللحمة من يدها الفولاذية

فلو كان أقطاب السياسة الثمانية لم ينقسموا على أنفسهم ولم يدعوا
السياسة ترسخ في قلوب الضباط فتصرفهم عن الواجب الوطني المقدس ، لما
رأت منهم دول البلقان ذاك الضعف الذي هاج طمعها . ولما كانت حمى
التنازع تحدث في رؤوسهم مثل دوار ، فيذهب عنهم أن جواسيس
البلغاريين والصربيين واليونانيين يملأون الاستانة وكل موقع حربي
ويبحثون عن كل موضع من مواضع الوهن

أثبت أولئك الجواسيس لدولهم ان الجيش العثماني يحتاج الى الضباط ،
وان الضباط الموجودين حزبان متنافسان ، وان الخلل ضارب في ادارة الميرة
والذخيرة . ثم رأوا من جهة أخرى ان الحرب الطرابلسية زادت الدولة
العلية ضعفاً على ضعف — فقالوا ان الفرصة الحاضرة هي خير الفرص
لتحقيق الامل وشفاء النفس من الحقد والطمع القديمين

على ان حكوماتهم قامت تراعي دواعي السياسة فادعت ان السبب
الذي دعاها الى تعبئة الجيوش هو رغبتها في كشف الظلامنة عن اخوانها
المقدونيين المسيحيين ثم شكت من اهمال المادة الثالثة والعشرين من
معاهدة برلين وهي التي توجب على الباب العالي ان ينفذ النظام الاساسي
الذي وضع لجزيرة كريت ، ونظامات شبيهة به ومنطبقة على الحاجات
المحلية في بلاد تركيا اوربا ، وان يكلف لجائناً مشتملة على عدد كاف من ابناء
البلاد لوضع تلك النظامات في كل ولاية عثمانية في اوربا ، ثم يستطلع فيها
رأي اللجنة الاوربية التي الفت للنظر في شأن الروملي الشرقية

تلك هي الحجة التي تذرعت بها حكومات البلقان المتحالفة قبل ان تعلن
الحرب بايام . والحقيقة أنه لو كان المراد من حركة الممالك البلقانية طلب
الاصلاح بالمعنى الصحيح ، لما دفعت الجفاء الى حد الحرب بينها وبين تركيا
ولكنها رأت نفسها قوية بتحالفها وبالخلل الضارب في الاستانة ، فارادت
ان تنفذ اتفاقها السري ، وليس تذرعها بمعاهدة برلين الا ذراً للرماد في
العيون . قال الموسيو كيدران وختر وزير خارجية المانيا السابق في حديث
شهير تناقلته الجرائد الاوربية في اوائل اكتوبر الماضي أي الشهر الذي
اعلنت فيه الحرب « ان جميع الحكومات البلقانية تدعي انها تريد

الاصلاح لمقدونيا ، والحقيقة انها تطعم في تقسيم املاك الدولة العثمانية .
ولكن يجب عليها ان تعلم بان الدول العظمى لا يمكنها ان تسمح بتغيير
خريطة الاراضي العثمانية في شبه جزيرة البلقان »

ويجدر بنا أن نعرف هنا بان حوادث ألّمة هاجت عواطف الامم
البلقانية قبل الحرب ولا سيما الامة البلغارية ، غير انه يجدر بنا أيضاً ألا
تنسى ان الحزب الحربي من أولياء الامور البلقانيين كان يعنى بتهديج تلك
العواطف ارادة أن يُمد افكار الجماهير للحرب المنوية ، وان يبلغ بها الى
حيث يمكنه القول « ان طيار الرأي العام دفعنا معه فلا قبل لنا بالتقهقر »
وعند ذلك يتسنى للحكومات البلقانية ما ارادت من اغتنام الفرصة الفريدة



معاهدة برلين

— ٨٠ —

﴿وعرفتها بالحرب البلقانية﴾

اشرنا فيما تقدم الى شكوى الحكومات البلقانية من نبذ الدولة العلية للمادة الثالثة والعشرين من معاهدة برلين . ولما كان المؤتمر الدولي الذي عقد تلك المعاهدة سنة ١٨٧٨ خطير الشأن كبير العلاقة بالمسألة الشرقية التي تحاول الدول البلقانية ان تحلها حلاً نهائياً — رأينا ان ننشيء لها مقالا خاصاً لنزيد حقيقة الحرب وضوحاً وجلاءً

كانت المعاهدات التي تقدمت معاهدة برلين تقضي باحترام السلطة السلطانية السامية . أما معاهدة برلين فانها بالعكس وضعت السلطنة العثمانية تحت وصاية أوربا وأجازت تصدي الدول العظمى للشؤون العثمانية كما تشهد المادة الثالثة والعشرون التي ذكرنا معناها فيما سبق . ثم قررت منح البلقان استقلالاً ادارياً كاملاً وأوجبت على الحكومة العثمانية ان تعترف باستقلال الجبل الاسود ، الى آخر ما يراه المطلع على تلك المعاهدة المؤلفة من أربع وستين مادة . فبعد ان كنا نرى الدول متفقة في المعاهدات السابقة على اجتناب كل مداخله في شؤون الدولة العثمانية صرنا نراها بفضل تلك المعاهدة متفقة على المداخله

وليس بخاف ان رأس الشروط في السلطة الدولية المعترف بها لكل دولة مستقلة هو ان لا تتداخل دولة أخرى في شؤونها الداخلية لان هذا التصدي لها يمس حريتها الداخلية الحرية المطلقة التي تعد أساساً لكل سلطة دولية

على ان المصالح التي تُعد العامل الاعظم في السياسة كثيراً ما دفعت الدول الى الشذوذ عن تلك القاعدة ، فأيناها تارة تنصر الملوك على الامم وتسير الجنود لتأييدهم كما فعلت فرنسا يوم أرسلت جيشاً الى اسبانيا لتعيد السلطة الى الملك فرديناند السابع ، وتارة تنصر الامم على ذوي العروش كما فعلت الدول الموقعة على معاهدة برلين

واذا كانت معاهدة برلين لم تدع روسيا تنشيء بلغاريا عظيمة كما طلبت في معاهدة سان ستيفانو ، فإنها تركت مواضع كثيرة للخلل السياسي ، ودواعي جمة للطمع ، ثم نامت الدول الواضعة لتلك المعاهدة عن صيانتها فنشأ عن هذا كله ان الامارة البلغارية ضمت اليها الروملي الشرقية سنة ١٨٨٥ ثم أعلنت استقلالها وارتقاءها من امارة الى مملكة سنة ١٩٠٨ فهتكت حرمة تلك المعاهدة مرتين . ثم ضمت النمسا البوسنة والهرسك الى أملاكها من جهة أخرى فهتكت حرمتها أيضاً وما زالت دول البلقان منذ سنة ١٨٧٨ تطلب زيادة على ما ربحت من تلك المعاهدة ، وقام الخلاف بينها على الاراضي العثمانية المطموح فيها ، وصارت كل دولة منها تنازع الاخرى أشد المنازعة حتى اصطبغت هضاب مقدونيا بدماء البلغاريين والصربيين واليونانيين والرومانيين . ولسنا انغالي اذا قلنا ان الدول العظمى التي وضعت تلك المعاهدة كانت

(٧)

شريكة في الجنايات التي أقترفت لانها جعلت معاهدتها دواءً وقتياً وحلت
المشكلة حلاً نصفياً . قال الموسيو شوبليه في تاريخه « المسألة الشرقية
بعد مؤتمر برلين » ان هذا المؤتمر زاد ضعف تركيا واشتياق رعاياها الى
الاستقلال كما زاد قوة أعدائها في البلقان

فكل من يشره من الغرض يحكم اذاً بان شطراً من تبعة تلك الفوضى
يلقى على تركيا لانها أغفلت الاصلاح فوسعت أبواب الشكوى وأقامت
لخصومها الحجة عليها . وبان الشطر الثاني هو نصيب الدول العظمى التي
وضعت معاهدة برلين ونصيب الدول البلقانية التي ملأت البلقان من
الدسائس والسعائيات والمنازعات بلوغاً الى أغراضها وتحقيقاً لمرادها

على ان تلك السعائيات والمنازعات لم يكن من شأنها ان تجعل الاصلاح
مستحيلاً على الدولة العلية بل كان من نتائجها ان تجعله صعباً جداً . وأول
دليل على ان تحسين الحال لم يكن ضرباً من الحال ان العصابات المختلفة
أخذت تسلم سلاحها الى ولاية الامور ابتهاجاً بالدستور العثماني . فلما كان
ما كان من أمر هذا الدستور ، وشبت الحرب بين ايطاليا والدولة العلية
وثبتت لسانة الدول البلقانية ما قام في الاستانة من الخلل الذي هو أبو
المفاسد عادت الفوضى ، ثم تناست الدول البلقانية عداوتها لتتحالف على
« العدو العام » كما تقول جرائدها



تحالف دول البلقان

﴿ وكيف طاه ﴾

ما كان يدور في خلد أحد ، ولا يمر على مرآة الخيال أن اليونانيين الذين كانت عصابتهم في مقدونيا تحرق القرى البغارية وتمثل باهلها تمثيلا . وأن البلغاريين الذين ما وجدت عصابتهم يونانيا الا جندلته قتيلا ، يمكنهم ان يكونوا حلفاء في السراء والضراء ، على ان المصلحة تفعل الدجائب وهي التي أرتنا أعجوبة ذاك التحالف الذي كانت أوروبا نفسها تحسبه مستحيلا وليس بين أيدينا من الجرائد الاوربية التي طالعتها منذ نشوب الحرب الى اليوم ، ولا من الكتب الستة التي ظهرت حتى الآن في موضوعنا ما هو أجدر بالمطالعة من الفصل الذي أنشأه الموسيوديني ييو مراسل التان الحربي الذي زار عاصمة الصرب وعاصمة البلغار وحادث كبار ساستها قبل ان سافر الى ساحة القتال . واليك صفة ما قال

« ليت شعري كيف جهلت أوروبا الى هذا الحد ما وضعت الدول البلقانية من المشروعات واتخذته من القرارات . ثم كيف قدرت تلك الدول نفسها التي طالما ظنوا انها معادية بعضها لبعض ، على عقد التحالف الذي سيمكنها من التغلب على الدولة التركية الضخمة ؟ »

« أرى من المفيد لجلاء هاتين النقطتين ان أذكر حديثا داريني

وبين الموسيو سبالا يكو فتش معتمد الصرب في عاصمة البلغار الذي كان كاتب سر عام في وزارة الخارجية الصربية ، والذي يرجع اليه والى الملك فردينان فضل المحالفة التي عقدت في ١٣ مارس سنة ١٩١٣ »

ثم روى ان المعتمد المذكور أخبره بان الغرض من الحرب هو ازالة « الحالة المؤلمة التي تضغط على الحياة الوطنية في البلغار والصرب واليونان والجليل الاسود ، وان الاصلاح المقدوني لم يكن مأمولاً لا من تركيا ولا من الدول ، الى ان قال « ان أوروبا ارتكبت غلطتين الاولى انها تأخرت في سعيها الى منع الحرب ، والثانية انها أخطأت في تقدير غايتنا ومقدرتنا على العمل . فقد كان الواجب ان تهتم بحل المشكلة البلقانية في اليوم الثاني لاعلان الحرب بين تركيا وايطاليا ، لا منذ ثلاثة أسابيع حين اضطررنا التعبئة العثمانية الى القيام بتعبئة عامة . ولا منذ أربعة أو خمسة أشهر عند ما شاع خبر الاتفاق بين الصرب والبلغار ، أو بعد سفر الموسيو بوشكوفتش الى أثينا حيث كانت المسألة البلقانية شغله الشاغل . ألا كيف غاب عن السياسة الاوربية ان الدول البلقانية وجدت الفرصة التي ترجوها وتنتظرها من زمن طويل وانها ستعتمد الى اغتنامها لتحل المسألة القديمة ؟ ان السنة التي مضت على الحرب العثمانية الايطالية مكنتنا من عقد روابط اتحادنا ، وجعلت الموسيو جيشوف « رئيس الوزارة البلغارية » المعروف بميله الى السلم والى تركيا ، يطلب الحرب بعزم راسخ ويمسى من أقوى نصرائها »

« غير انه يجدر بنا ان نعترف هنا باسرافنا في الوقت قبل ان نفدنا الفكرة السياسية الحكيمة التي أبداها أستاذي المأسوف عليه

ميلوفانوفتش ، أعني فكرة الاتحاد السياسي بين الصرب والبلغار . فان
الاستاذ المشار اليه هو الذي أظهر وجوب العمل لعقد ذاك الاتحاد مخافة
ان يجيء التيار الغربي فيجرف الامتين . وأول خطأ ارتكبته أوروبا هو
انها لم تدرك منذ مدة ان عقد هذا الاتفاق سيتم بحكم الضرورة »

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبته أيضاً ، فهي انها بقيت تنظر إلينا بعين
غلاستون ، فلا تحسبنا قادرين على تجنيد ٧٠٠٠٠٠ جندي وارسال ١٥٠٠
مدفع الى مواقع القتال ولا تمدنا الا أطفالاً في الاسرة الاوربية الكبرى
ثم ألقت هذا الفكر الى حد أنها باتت تعتقد ان هؤلاء الاطفال يكفيهم
ان يُعنفوا ولا يُطعموا الا الخبز الجاف ليخلدوا الى السكينة . وفاتها انا
بلغنا سن الرجال وطلبنا حريتنا في العمل »

« عبأنا جيوشنا فلقبوا تعبئتنا بخدعة كبيرة النفقة ، وإن هذا القول
الا جهل تامٌ للحالة الراهنة . ويظهر ان الدول العظمى أصبحت لا تدرك
معنى السياسات الوطنية التي لا تسير طبقاً لمصالحها المادية »
ثم كرر هذا المعتمد الصربي ان الغاية من الحرب انقاذ اخوانه البلقانيين
ومحو السُلطة التركية ، ثم قال

ألا كيف يكون المستقبل وكيف يكون حكم السيف ؟ ان الجواب
لا يستطيعه أحد الآن . لكن جنودنا ستقاتل قتال الاسود والبغضاء
تغلي في قلوبها وحب الانتقام يلاً صدورها . وسيدى وقت كافٍ لتنظيم
البلاد التي سننقذها بعد ان يصدر السيف حكمه . ويجب حينئذ على
أوروبا التي أخطأت نظراتها في الماضي ، ان تفعل ما تقتضيه المصالح
الاوربية العظمى فان الاتفاق بين الدول موقوف على ما ستفعله عندئذ

ومهما يكن من شأن تضامن الدول على السعي السلمي الذي تدل عليه
المذكرة الروسية النمساوية ، فإن الذي يستوقف روسيا في أوروبا إنما هو
المصالح البلقانية . والضمان الوحيد للتوازن الذي تعيش به الدول اليوم هو
اتفاق فرنسا وانكلترا مع روسيا على العمل يداً واحدة في مسائل البلقان
بعد اسكات المدفع وإغمد السيف

تقل مراسل الثان الحربي هذا الحديث عن سياسي من أعرف سياسة
الصرب . ثم فرش للقاريء دخلة المسألة بإيضاح قال فيه :

«والواقع ان فكرة الاتفاق بين البلغار والصرب قويت واشتدت
بماصمتي هاتين الدولتين في شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ أي وقت اعلان
الحرب بين تركيا وايطاليا فاسرع الموسيو مايو فان ميلوفانوفتش وزير
خارجية الصرب الى ارسال منشور سري الى دول الاتفاق اثلاثي أي
روسيا وفرنسا وانكلترا ، ذكر فيه ان الحالة التي نشأت عن الحرب
العثمانية الايطالية من شأنها ان تحدث تأثيراً في البلقان ، وان دولة
الصرب عقدت العزم على فعل ما تراه واجباً لحماية مصالحها عند
حدوث مشاكل

» وكتب الموسيو هارتويج المعتمد الروسي في عاصمة الصرب (الذي
يشتغل منذ سنة ١٩٠٩ بمعد اتحاد بين صقالبة الجنوب) الى الموسيو
سازونوف وزير خارجية روسيا يحول نظره الى أهمية الحوادث التي
يتأهبون لها في شبه جزيرة البلقان ولكن الحكومة الروسية بقيت
جامدة بعد هذا التنبيه ، أما الحكومة الصربية فإنها عازمت على العمل
وكان معتمدها بالعاصمة البلغارية وقتئذ غائباً عن منصبه فاصدر اليه وزير

الخارجية الصربية أمراً بالرجوع مسرعاً الى صوفيا ليستغل بعقد معاهدة بين دولته والبلغار

« ثم ازداد الامر خطراً واستفحالا في ذاك الوقت بتعبئة جانب من الجيش العثماني في البلقان لان الحكومة العثمانية تفرّعت من ان يكون لصدى حرب طرابلس رجماً قوياً في البلاد البلقانية ، ثم قامت الدولة البلغارية تريد تعبئة جيشها أيضاً . فاخذ وزير خارجية الصرب يفرغ الجهد في حمل بلغاريا على الصبر والاناة رجاء أن يدخر قوتها الى ما بعد المحالفة التي كان يشتغل بتهديد سبيلها . لان هذا السياسي المحنك كان يدرك ان كلاً من جيش الصرب وجيش البلغار لا يستطيع وحده ان يقهر الجيش العثماني برغم ما عرفه الجواسيس من ضروب الخلل

« ولما وصل الموسيو سبالا يكو فتش معتمد الصرب الى صوفيا كان بسبب السلم مضطرباً كل الاضطراب ، وملك البلغار يستحم في النمس ، والموسيو جيشوف رئيس وزارته يجول في أوروبا ، والموسيو تيودورف وزير المالية ينوب عنه في الرأسة . فوقعت الوزارة البلغارية في حيرة لا تدري أي نهج تنهج . وانها لعل تلك الحال اذا بتلغراف من رئيس الوزارة يطلب فيه الى زملائه ان يحجموا عن كل قرار ريثما يصل الى صوفيا ثم أخبرهم بانه قابل مولاه الملك في المدينة التي كان يستحم فيها وحادثه ملياً في شأن الحالة

« ثم وصل رئيس الوزارة غير مبطيء الى صوفيا وأخبر زملاءه بانه حادث الملك فردينان واتفق معه على الصبر والتؤدة أمام التعبئة العثمانية ، وبانه سافر مع وزير الخارجية الصربية واتفقا أيضاً على وجوب عقد

محالفة بين الدولتين . ثم دارت المفاوضة في هذا الشأن بين معتمد الصرب ورئيس الوزارة البلغارية ، وفي ١٣ مارس سنة ١٩١٢ تم توقيع معاهدة هجومية دفاعية بين حكومتي صوفيا وبلغراد»

وكانت الحكومة الروسية حامية الصقلابة أول العارفين بذلك الحادث السياسي الخطير في الشرق . ثم تطرّق الخبر الى باريس فلندرا ، وأصبح في وسع حكومتي الصرب والبلغار منذ تلك الساعة التاريخية ان تفكرا في مسألة اعلان الحرب على تركيا

على انهما رأتا من الحكمة واصالة الرأي ان تسعيا في ادخال العدو الثالث لتركيا في هذا التحالف الجديد، فاخذتا منذ اليوم التالي في استطلاع طلع اليونان واستجلاء رأي حكومتهم فوجدتا منها اقبالا سريعا على الدخول في سلك المحالفة البلقانية وكان اكبر أنصارها في العاصمة اليونانية الموسيو فزيليوس رئيس الوزارة . فامضت الحكومة اليونانية معاهدة التحالف على (العدو العام) كما يقولون فلم يبق الا اختيار الوقت الموافق لا يقاظ السيف الهاجع

سرت ربح هذا النبأ من دواوين السياسيين الى مكاتب الصحفيين ، لكنه أتاها غامضا مبهما فحاموا حول الموضوع وخطبوا بعض الخطب ، ثم تمكنوا من اثبات وجود التحالف . أما الحكومة العثمانية وقتئذ فلم تقم بكل ما وجب عليها من التأهب تلافيا للشر بل عززت الجيش بعض التعزيز ولبثت تعتقد ان الخطر غير داهم إما لجهل من معتمديها في عواصم الدول الثلاث وقصورهم عن معرفة ما يهدد دولتهم ، وإما لتطرف رجالها في التفاؤل الحسن وفي الثقة بسياسة أوربا

وليس لدينا شك بعد ما قاله معتمد الصرب بالعاصمة البلغارية (كما عرفنا من حديثه المتقدم) في ان الحرب الطرابلسية كانت من العوامل التي جعلت الدول البلقانية تعقد العزيمة وتوطن النفس على اعلان الحرب بلا مهل ، فلذلك كانت حكومات صوفيا وبلغراد وأثينا تود من صميم القلب ان تفشل الدول في التوسط بين الحكومة العثمانية والحكومة الايطالية كما قال الموسيو رينيه بيو . ثم ازداد خوفها من ضياع تلك الفرصة « الفريدة » حين اقترحت الحكومة النمساوية على الحكومة العثمانية ان تتبع طريقة الاستقلال الاداري المحلي (اللامركزية) وقام في خلدتها ان النمسا ما اقترحت هذا الاقتراح الا وهي تضرر التقدم جنوباً فتستولي على سنجق نوى بازار ثم تهبط سلانيك ثم تجعل البانيا كستعمرة نمساوية والواقع انه لا يسع أحداً ان ينكر سعي النمسا في بسط نفوذها بأنحاء البانيا على أيدي رجال الدين كما كانت تفعل في البوسنة والهرسك في سالف الزمان . وعي تدعي حماية الكاثوليك الالبانيين وتنفق في سبيل نفوذها هناك مالا كثيراً

وليس من فضلة الكلام ان نذكر هنا محصل ما نشره الموسيو هـ . وجنر الكاتب الحربي الشهير في النمسا ، ومراسل « الريشوت » أيام الحرب البلقانية . فان هذا الكاتب الذي قرب به اليه ملك البلغار ورئيس الوزارة البلغارية عقد فصلاً عن التحالف البلقاني في كتابه المسمى « في سبيل الانتصار مع جيش البلغار » نأخذ منه ما يلي :

« ان فكرة الحرب البلقانية لم تمتد وتنتشر الا بعد نشوب الحرب

(أ)

الطرابلسية التي هي أول حرب قاست تركيا الدستورية نيرانها وخاضت
معماتها . وهي التي هاجت شوق الحكومات البلقانية « الى تصفية
حساب » المنازعات القديمة دفعة واحدة مع الدولة العثمانية ، فعمدت الى
المفاوضة الاولى في ذلك الوقت ارادة ان تنال منها نتيجة قبل ان تضع الحرب
الطرابلسية أوزارها . وفي ذلك الوقت أيضاً ذهب مندوبون مقدونيون
الى روما للمذاكرة في الموضوع

« وكان أثر الحرب الطرابلسية على أشده في البلاد البلقانية ، حيث
يعتقد جماعة من السياسيين منذ زمن طويل ان تضامن الصرب والبلغار
واليونان هو أمر ممكن برغم التنازع الذي كان قائماً بينهم . ثم
قويت الفكرة شيئاً فشيئاً حتى اتجهت اليها أفكار الحكومات وكان
الموسيو فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية من أشد أنصارها

» ولما كان شهر مايو سنة ١٩١٢ ، وضع مشروع أولي للتحالف ، وجميع
القرائن تدلنا على ان دولة الصرب ودولة البلغارهما اللتان تفاوضتا واتفقتا أولاً
ثم أخذت الحكومة البلغارية تفاوض حكومة اليونان . وأخذت حكومة
الصرب تفاوض الجبل الاسود وتوقف الحكومة البلغارية على مجرى المفاوضة .
والظاهر ان حكومة الصرب هي التي شرعت في تلك الحركة قبل
غيرها ، وان الاتفاق بني أولاً على شؤون سياسية واقتصادية لا على
مقاصد عدائية ثم عقد التحالف العسكري قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة »
وروى الموسيو وجنر في محل آخر من كتابه ان الموسيو
جيشوف رئيس الوزارة البلغارية عقد في فيينا اجتماعاً من معتمدي
دولته السياسيين في باريس وفيينا وروما وبرلين وشاورهم في أمر

الحرب . فارتأى معتمدا فينا وبرلين على ما قيل ان الوقت غير موافق
لحل العقدة بمحد السيف

أما معتمد باريس الدكتور ديمتري ستانيسيو فخالفا في الرأي ،
وذهب الى ان تصريح الدول بعزمها على حفظ خريطة تركيا كما هي ، لا
يُعتقد به ولا يُنظر اليه بعين الجد ولا سيما ان احدى تلك الدول (ايطاليا)
هبت تخالف ذلك . ثم وافقه الموسيو ريزوف معتمد البلغار في العاصمة
الايطالية وطلب ان لا تُضيع بلغاريا فرصة الحرب الطرابلسية كما أضاعت
فرصة ١٩٠٨ - ١٩٠٩

وأما الموسيو جيشون رئيس الوزارة البلغارية فلم يكن شديد الميل
الى معاداة الدولة العلية ، وليس جنوحه الى المسالمة في ذاك الحين الا
اجتناباً للمجازفة والمخاطرة . فان الرجل مثل سائر البلغاريين يدعوهم
الطمع والحقود والسياسة والجنس والدين الى تلقف كل ما يمكن أخذه
من يد الساطنة العثمانية . ومما يُذكر هنا كتاب بحث به الى الموسيو وجنر
(فنشره في صدر مؤلفه) وروى فيه ان ولاية الامور العثمانيين قبضوا عليه
بمدينة فليبولي في شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ وزجوه في السجن لانه
نشر في جريدة التيمس سلسلة مقالات طعن فيها على الحكومة العثمانية .
ثم اتفق له بعد سجنه ان نظر في جريده تركية اسمها « وقت » فاذا فيها
ان المحكمة أصدرت حكما باعدامه . ولكنه ما لبث ان نجا باعجوبة
(على قوله) من المشنقة . وبعد ذاك الحادث بخمس وثلاثين سنة صار
رئيساً لمجلس النظار البلغاري ولما عرضت فرصة الانتقام وراها موافقة
لدولته أخرج هو حرباً على تركيا بعد ان كان يتسم لها ويميل الى مجاملتها

مرسح السياسة

﴿ قبل اعطائه الحرب ﴾

(من ٣ الى ١٧ اكتوبر)

أصبح ما نشبه به السياسة قبل اعلان الحرب ببضعة عشر يوماً
بحرّ عجاج متلاطم الامواج ، يقذف بالدول تارة الى مينا الامان وتارة الى
لجة الخطر . وليس أدل على حالة السياسة العامة في ذاك الوقت من
الوقوف على الاقوال الرسمية والشبهية بالرسمية

والمستفاد من تلك الاقوال التي كانت تنشرها الجرائد الكبرى ان
أوروبا عرفت بتعبئة جيوش البلغار والصرب واليونان ثم سمعت بان المدفع
أخذ يغني نغمة الشؤم على حدود الجبل الاسود وبقيت تؤمل تبديد الغيمة
السوداء التي تكاثفت في جو البلقان

لكن ذوي النظرات الصادقة الذين قابلوا السياسيين البلقانيين
وأدركوا مقاصدهم عرفوا منذ أوائل اكتوبر ان كفة الحرب رجحت
كل الرجحان فصار تود المياه الى مجاريها غير مأمول واليك ما كتبه

الموسيو رينيه يو في ٥ اكتوبر بعد ان قابل ساسة البلغار في صوفيا
« في هذا الصباح وقف ملك البلغار في مجلس النواب وهو عاري

الرأس فأتجهت اليه الانظار كل الاتجاه وأخذ الحضور يهتفون له هتافاً طويلاً . ثم افتتح فصل الجلسات غير العادية وطلب من النواب ان يوافقوا علي مبلغ خمسين مليون فرنك لنفقات عسكرية استثنائية ويرجح ان تكون الموافقة الهائية على هذا المبلغ يوم الاثنين القادم لان جميع الاحزاب البلغارية متفقة كل الاتفاق

« أما الاتفاق بين الدول البلقانية فهو تام مستحكم الحلقات، والمسامي التي قامت بها تركيا لفصل المملكة الصربية عنها كان نصيبها الجبوت أما رومانيا فقد ورد خبر اكيد من بطرسبرج بانها تلزم الحياد ، وأما النمسا فلا تنوي المداخلة . والبلقانيون ينتظرون الآن نتيجة المعى الاخير الذي تقوم به الدول في الاستانة ، وينوون نية راسخة أن لا يكتفوا بوعود مبهمه . والبلغاريون يريدون لتركيا أوربا استقلالاً ادارياً مؤسساً على الجنسيات، نعني انهم يريدون تقسيمها الى ثلاث مناطق الاولى بلغارية والثانية صربية والثالثة يونانية ، ويطلبون لكل منها مجلساً وطنياً وحكاماً مسيحيين يعينون بعد موافقة لدول . ثم تؤاف فيها جنديّة محلية، وتصدر حكومة الاستانة أوامرها الى الجنود العثمانية بالخروج عاجلاً من تركيا أوربا »

كنى المرء ان يطلع على ما تقدم ليعلم ان حكومات البلقان أرادت ان تطلب مطالب لا يمكن قبولها لتخرج الحكومة العثمانية فتخرجها عن سجيّتها . وكان من نية البلقانيين في ذلك الحين ان لا يتسرعوا ولا يعلنوا الحرب الا في منتصف اكتوبر بقصد ان يبتقوا للدول وقتاً كافياً للحصول على جواب من الباب العالي في شأن الاصلاح ، وليتمكنوا من

اتمام التعبئة والحشد في المواقع التي عينوها في خطتهم الحربية . وبعد ان يتم لهم ما أرادوا من هذين الوجهين يرسلون مذكرة اجماعية الى الحكومة العثمانية يبسطون فيها مطالبهم ومقترحاتهم فاذا ورد الجواب العثماني « بنعم » بلغوا ما يتمنون من استقلال تركيا اوربا وتقدموا خطوات واسعة بلا حرب ولا ضرب نحو غايتهم الكبرى واذا ورد الجواب « بلا » عمدوا الى اعلان الحرب من غير أن يدعوا للدولة العلية وقتاً طويلاً يضر بخطتهم الحربية

وما كان اليوم السابع من شهر اكتوبر حتى تمت تعبئة الجيش البلغارى وأخذ يزحف الى المواقع المعينة له . وروى مراسل الثان الحربى ان تعبئته تمت في ستة أيام . ثم وردت اخبار من عاصمة الصرب وعاصمة اليونان تنبئ بالتعبئة أيضاً

كان ذاك كله يجرى في البلدان البلقانية والدول العظمى تسعى لدى الباب العالى في حمله على قبول مذكرتها التى تطلب فيها الاصلاح عملاً بمقتضى المادة الثالثة والعشرين من مؤتمر برلين . ثم اتفقت على ابلاغ مشيئتها الى دول البلقان لعلها تحترمها وتعديل عن الحرب ، وكلفت روسيا والمسا ان تبلغاتلك المشيئة بالاصالة عن نفسيهما والنيابة عن سائر الدول الى حكومات صوفيا وبلغراد واثينا . فقابل معتمدا الدولتين ذوي الشأن في المواضع البلقانية وابلغاهم ادلا ان الدول العظمى تنكر اشد الانكار كل تدبير من شأنه ان يقطع جبل السلم . ثانيا ان الدول تاخذ على عاتقها اجراء الاصلاح في تركيا اوربا عملاً بالمادة الثالثة والعشرين من معاهدة برلين ، وانها ما برحت تحتفظ بسيادة جلالة السلطان

وبسلامة املاك السلطنة . ثالثاً انه اذا قامت الحرب خلافا لمشيتها بين
تركيا والدول البلقانية فانها — تعني الدول العظمى — لا تسمح بأي
تغيير في خريطة تركيا اوروبيا

هذا جوهر البلاغ الدولي الى حكومات البلقان وسيرى القاريء
انها داسته بكعب الارجل حين طلع طالع النصر على الرايات البلقانية.
ومما يجدر بالذكر هنا ان الموسيو جيشوف رئيس وزارة البلقان اجاب
معتمدي روسيا والنمسا حين قابلاه وأوقفاه على بلاغ الدول بقوله
« يا للأسف ، إناعبأنا جيوشنا » وهذا الجواب يشبه جواب روسيا للورد
لوفتوس سفير انكلترا حين أراد منع الحرب بين الدولة العلية وروسيا
سنة ١٨٧٧ فكأنما المقادير أرادت ان يقوم الشبه بين مقدمات الحرب
البلقانية ومقدمات الحرب الروسية العثمانية ، حتى في الكلمات . والواقع
ان البلقاريين وحلفاءهم كانوا عازمين عزماً راسخاً على الحرب برغم كل مذكرة
دولية . وأقوى برهان على هذا العزم انهم أعدوا جوابهم على مذكرة الدول
قبل ان تصلهم ويقفوا على معناها كما قال الموسيورينييهيو مراسل الثان
الحربي الذي كان في صوفيا يوم وصول تلك المذكرة أي ٨ اكتوبر

وفي التاسع من اكتوبر اجتمع مجلس نظار البلقان فنظر في المذكرة
الدولية وحكم بانها لم تعين الاصلاحات المطلوبة تعيناً كافياً ولم تشمل
على الضمانات الواجبة لتنفيذ تلك الاصلاحات . غير انه لم يشأ ان يقر
على القرار الفاصل قبل ان يطلع على آراء حكومتي بلغراد وأثينا . وما
طلعت شمس الثالث عشر من اكتوبر حتى كان الاتفاق تاماً بين
المتحالفين على صيغة جوابهم للدول العظمى واليك معناه

استهلت حكومات البلغار والصرب واليونان مذكراتها المتشابهة بشكر الدول العظمى لما أظهرته من الاهتمام بالمسألة البلقانية ، ثم ذكرت انها أصبحت في حالة توجب عليها أن تطلب من الباب العالي مباشرة تعيين مقاصده المختصة بالاصلاح المقدوني . فكان هذا الجواب رفضاً صريحاً لما تضمنته مذكرة الدول ، وكان هذا الرفض منوياً كما قدمنا

وبعد تسليم الجواب الى معتمدي الدول اسرعت الحكومات البلقانية الى تسليم بلاغها الذي أعدته للدولة العلية وطلبت فيه مطالب كان من الثابت الاكيد لديها ان الحكومة العثمانية سترفضها ونحن نكتفي هنا بذكر ما تضمنه البلاغ البلغاري لانه يشبه في جوهره ما طلبته حكومتا الصرب واليونان ، فهو يتضمن تسعة مطالب أولها ان تقسم الولايات العثمانية (في تركيا أوربا) على أساس الجنسيات . ثانياً ان ينتخب منها نواب للبرلمان العثماني يكون عددهم على نسبة عدد أهلها . ثالثاً ان يُقبل المسيحيون في وظائف الحكومة وتُراعى المساواة بينهم وبين المسلمين . رابعاً ان تكون جميع المدارس على اختلاف اديانها متساوية . خامساً ان تكف الحكومة العثمانية عن ارسال المهاجرين . سادساً ان تنشأ جنديّة محلية يُعين فيها ضباط مسيحيون . سابعاً أن يحدد تنظيم الجندرية تحت امره ضباط من سويسرا وبلجكا وان يمنحوا سلطة فعلية . ثامناً ان يُعين ولاية مسيحيون من سويسرا . تاسعاً ان تؤلف مجالس عالية نصف اعضائها من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين لمراقبة اجراء الاصلاح وكان في نية ساسة البلغار كما قال مراسل الثان أن يطلبوا من حلفائهم اخراج الجنود العثمانية من مقدونية وغيرها . إلا انهم اتفقوا أخيراً على مطلب

أصعب من ذلك الطلب وأدل منه على رغبتهم في اقفال كل باب للاتفاق وهو ان تكون الحكومات البلقانية مشرفة على الاصلاح المطلوب ، وليس في وسع الدولة العلية ان تقبل مثل هذا الطلب من دول صغيرة كان بعضها حتى سنة ١٨٧٧ ولاية عثمانية ، فنشأ عن مطالب البلقانيين أن الهياج اشتد في العاصمة العثمانية وأقيمت المظاهر بطلب الحرب وقوي تيار الرأي العام حتى بات من الخطر الداخلي على الحكومة أن تصده بعنف ، كما بات من الخطر الخارجي الاعظم أن تبطئ الحكومة في التعبئة ولكنها لم توفق لسوء طالع الامة العثمانية

ولقد أضرت تفاؤل تلك الحكومة ببقاء السلم ابلغ الاضرار بالسلطنة وربما انتحل لها مريدوها من الاعذار أن الخطب الرسمية التي القاها اقطاب السياسة بقيت تعزز أمل المتفائلين خيراً الى ما قبل اعلان الحرب ببضعة أيام ، وان وزير الخارجية الانكليزية الذي كان الامل منوطاً بمساعدته السياسية قال في السابع من اكتوبر على مسمع من نواب الانكليز « اني لا اقدر الفشل للدول في مساعيهم ، وان انكتر استبذل ما في وسعها لحفظ اتحاد الدول العظمى إن وقع ذلك الفشل »

على ان ذياك العذر شديد الوهن لان المسائل الحيوية لا يجوز فيها التفاؤل الحسن ما دام لدى الساسة خطر أو شبه خطر خارجي . والسياسة المثلى في مثل تلك الحال أن تشتغل الحكومة بيمينها لتجعل الالهة تامة ، وتشتغل يسراها لترجع كفة السلم على كفة الحرب

طلبت حكومات البلغار والصرب واليونان تلك المطالب على صيغة لا يُرجى معها سلام . وكانت حليفها حكومة الجبل الاسود ، قد أعلنت الحرب منذ ٨ اكتوبر قبل مخاطبة معتمدي روسيا والنمسا الموكلين من قبل الدول بالسعي في سبيل السلم . وكانت الجنود العثمانية من جهة ثالثة ، قد خذت تسافر الى تراقية وغيرها من انحاء البلقان ، وازداد هياج الجمهور العثماني في معظم انحاء السلطنة فايقنت الحكومة العثمانية — ولكن بعد ضياع الوقت الثمين — ان الكلام أصبح للمدفع ، وقررت ألا تجيب حكومات البلقان على مذكرتها تحقيراً لها ، واكتفى نوردانجيان افندي وزير خارجيتها بأن يقتصر على اجابة الدول العظمى التي طلبت الاصلاح طبقاً للمادة ٢٣ من معاهدة برلين . واليك فحوى جوابه

« أنا وزير خارجية جلالة السلطان أتشرف بتذكير سفراء الدول العظمى أن الحكومة السلطانية اعترفت بضرورة اجراء الاصلاح الاداري في ولايات تركيا اوربا ، واقتنعت بوجوبه الى احد أنها تريد اجراءه بنفسها من غير أن يكون لاجنبي يد فيها . وهي ترى أن القيام بالاصلاح على هذا المنوال يعود بالسعادة والنجاح الاقتصادي ويوثق عرى الوئام بين العناصر المختلفة من الاهالي طبقاً لما تقتضيه روح الدستور » « وجديرٌ بنا ان نذكر هنا أن من الاسباب الجوهرية في حبوط المساعي الاصلاحية ، احداث الاضطرابات والجنايات التي لم يبق شك ولا ريب في غاية محدثها ، وان الحكومة العثمانية تقدر قدر البلاغ الودادي الذي رأت الدول ارساله في الظروف الحاضرة ، وتشاركها من صميم الفؤاد في الجهد الذي تبذله لمنع الحرب وما تجرّه من الويل

والكرب لان من واجب العالم المتمدن أن يتلافى حدوثها بجميع الوسائل السلمية . ونحن مقتنعون باننا سبقنا الى تسهيل سبيل المهمة الانسانية التي تريد الدول اداءها بحمل المعضلة الهائلة التي لديها «

« وليس من مراد الحكومة السلطانية ان توضح هنا ان تنفيذ معاهدة برلين لم يكن طبقاً لروحها ولا لحرفيتها ، ولا ان تنظر في القيمة الباقية للمادة ٢٣ من تلك المعاهدة . بل تقتصر على التصريح بانها قررت من تلقاء نفسها أن تعرض على البرلمان العثماني قانون ١٨٨٠ ثم رفعه الى جلالة السلطان للموافقة عليه عملاً بمقتضى الدستور . ويمكن للدول العظمى أن تكون واثقة منذ اليوم بأن الحكومة السلطانية تنفيذ القانون المذكور بكل تدقيق «

ثم رأى الباب العالي ان يصدر اوامره في ١٥ اكتوبر الى معتمديه في عاصمة البلغار وعاصمة الصرب بالسفر منهما لان ابتداء القتال اصبح لا مناص منه في اقرب وقت بعد البلاغ الذي ارسلته الدول البلقانية وعزمت الحكومة العثمانية على نبذه وأغفاله ، وهذا ما كانت تنتظره الحكومات البلقانية بل ما كانت تريده وتعمل له

واذا أراد القاري ان يعرف الصبر الذي اعتصمت الحكومة العثمانية بحبله في البدء ، فحسبه أن يطلع على ما كتبه المسيو ستفان لوزان رئيس تحرير الماتين الذي كان في الاستانة أيام الحرب . فقد ذكر انه قابل دولة نوردانجيان افندي وحادثه في موضوع الحرب فقال له الوزير « لم يكن في وسم أمة اوربية عظيمة ان تصبر صبرنا وتحتمل ما حملنا من الالهانة . فإنه منذ شهرين دخلت عصابات مسلحة الى ارضنا وقتلت عدداً من

جنودنا ونهبت بلادنا وهدمت بعض معاقلنا . فكان عملها اهانة واضحة لنا وهتكاً لحرمه ارضنا ، ولو وقع مثل هذا الحادث في أي بلد آخر لكان سبباً كافياً للدواف . اما نحن فقد غالينا في التسامح الى حد الضعف فدفعنا قتلانا وجددنا معاقلنا وسكننا غضب الاهالي »

ثم ذكر الوزير الاصلاحات التي اجراها مع زملائه أو حاولوا اجراها ، وما كان من عزمهم على طلب ستة عشر مستشاراً انكليزياً للولاية . ثم قال « ولكن البلقانين كانوا يدفعون في سبيل العداء والوقاحة بقدر ما كنا نتقدم في سبيل الاصلاح . اما اليوم فقد صرنا الى الحرب ، فلتكن الحرب ... انها تنشب رغم ارادتنا وارادة اوربا ولا سيما فرنسا التي بقي رئيس وزارتها يسعى حتى آخر دقيقة في سبيل تلافئها . وانا سندير رعاها بكل ما نملك من نشاط ووطنية »





جورج الاول
ملك اليونان
الذي قتل في سالانيك



كارل
ملك رومانيا
التي تهددت بلغاريا بالحرب واخذت منها ساستريا
بدل حياتها

مطبعة الجلال الى انجازه مصر



ولي عهد الجبل الاسود الحالي



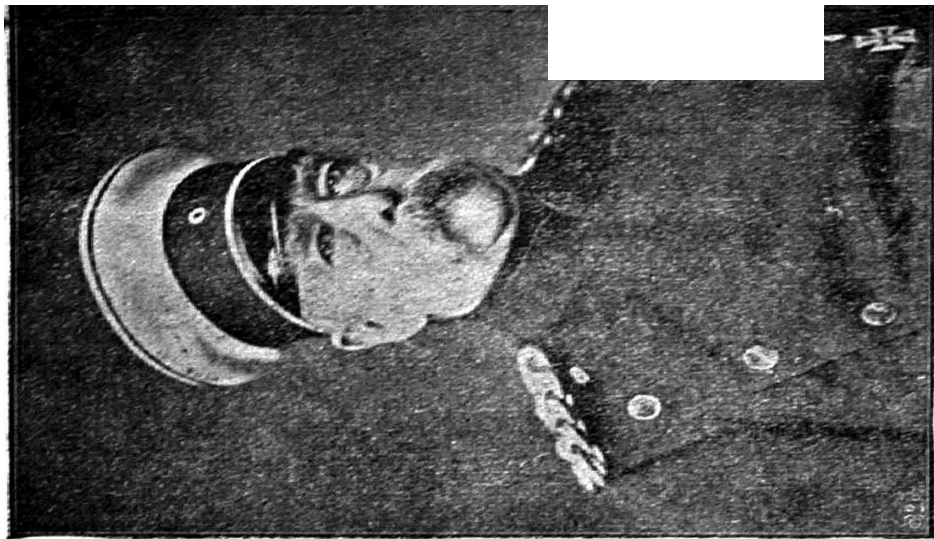
ولي عهد الصرب الحالي



الامير يوريس ولي عهد البلقار الحالي

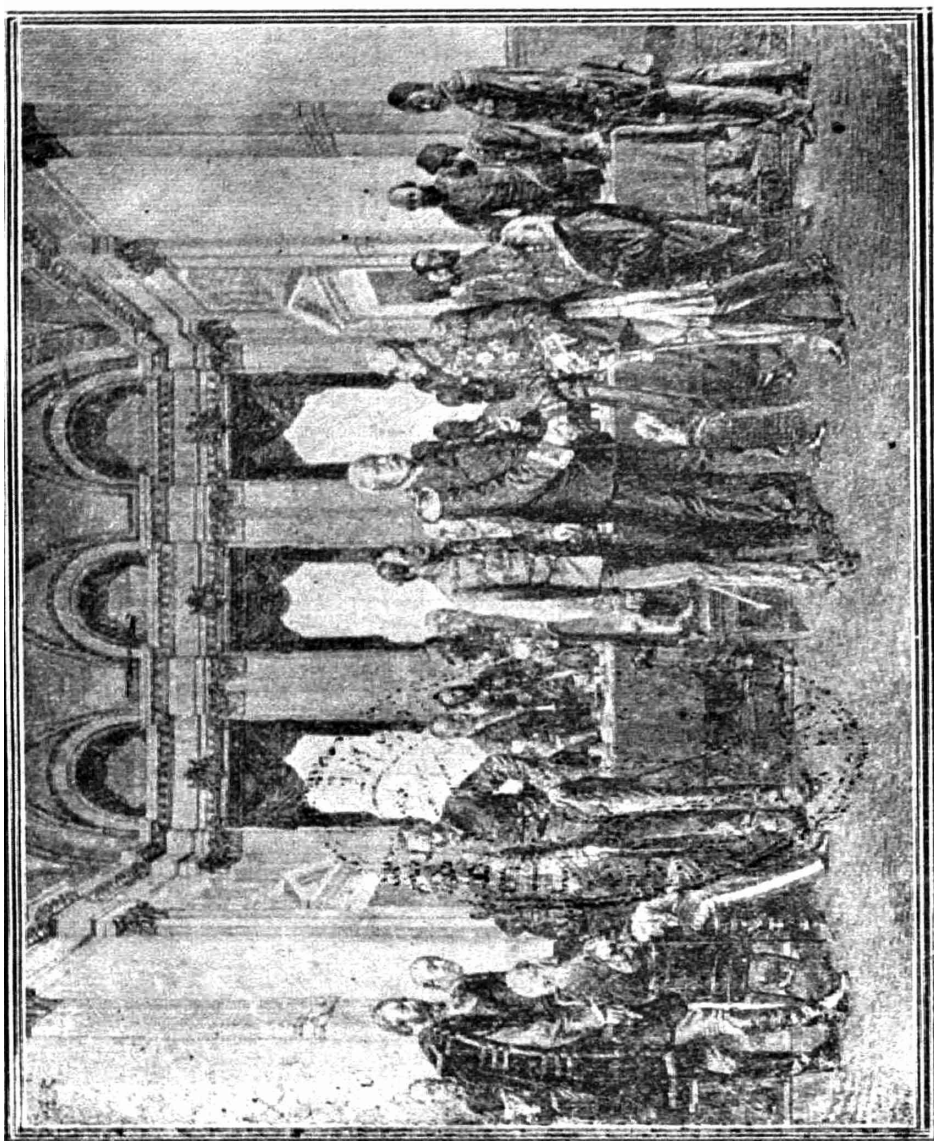
رئيس مؤتمر برلين

بسمارك



وسترى علاقته بالحرب

مؤتمر برلين

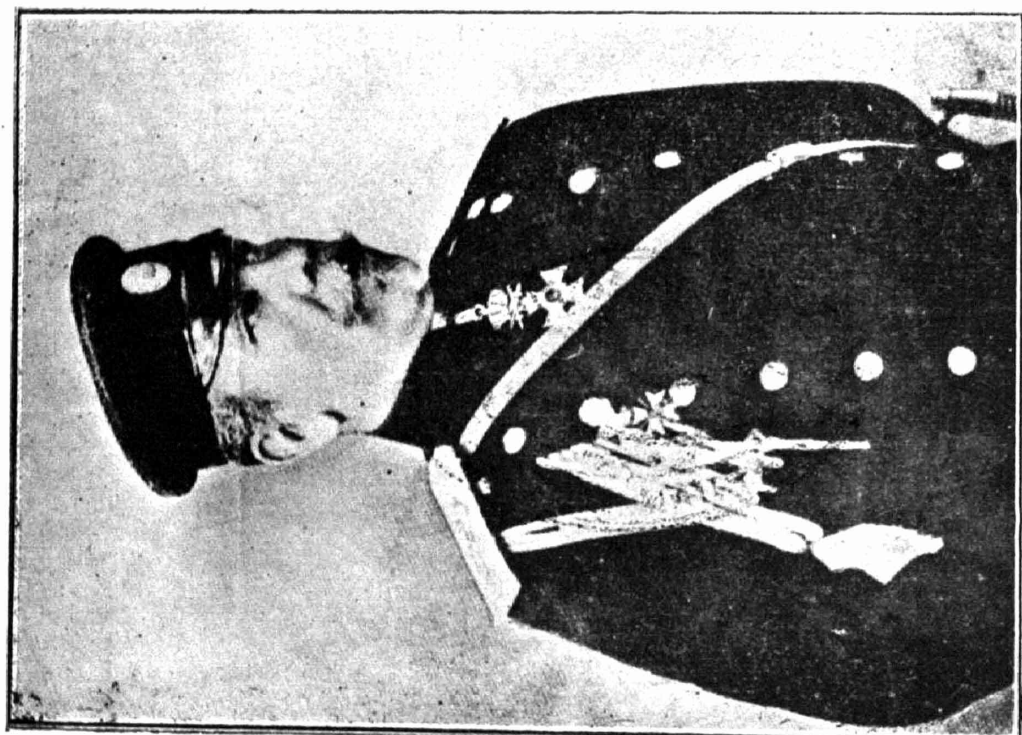




الامير قسطنطين ولي عهد اليونان

الذي صار ملكاً

بعد مقتل ابيه



الجنرال سافوف

القائد العام لجيش البغار

اعلان الحرب

—٨—

ارسلت حكومات صوفيا وبلغراد واثينا اعلان الحرب الى معتمديها
بالاستانة في السابع عشر من شهر اكتوبر لانها لم تشأ ان تضيع الوقت
الثلثين بعد أن تم حشد جيوشها . ولما كان الضحى من اليوم التالي أي ١٨
اكتوبر ذهب المعتمدون البلقانيون الى وزارة الخارجية العثمانية ورفعوا
اليها بلاغ دولهم وهو يتضمن ان العثمانيين هم الذين اتوا عدة اسباب
للعُدوان منها الاستيلاء على كثير من البواخر اليونانية ، وعلى الذخائر
والمعدات الحربية التي كانت مرسلة الى الصرب ، ثم الاعتداء على الحدود
البلغارية والحدود الصربية . وختم البلاغ بالعبرة الآتية

« نرانا مع الاسف مضطرين الى تجريد سيفونا »

ثم غادر المعتمدون البلقانيون عاصمته السلطنة العثمانية ، وظهر في
اليوم نفسه منشورات رسمية من ملوك البلفار والصرب واليونان وصفوا
فيها حالة « اخوانهم » في مقدونيا وصفاً يهيج العواطف على تركيا ولقبوا
الحرب البلقانية « بالصليبية » ثم ظهر منشور من جلالة السلطان
يذكر الجنود العثمانية بمجد ابائهم واجدادها وبشجاعتهم التاريخية ،
ويحضها على احترام النساء والاطفال وسائر الذين لا يدخلون معلمان
الحرب ، فكان البون كبيراً بينه وبين منشورات ملوك البلقان لان

(الخليفة) اجتنب وصف الحرب بالدينية . واذا كان بعض العصابات
الالبانية وغيرها لم يعملوا بوصيته فانما الجرم يلقى على رؤوسهم لا على
جلالته

وقبل اعلان الحرب البلقانية بقليل رأت الحكومة العثمانية أن
تفرغ من أمر الحرب الطرابلسية فقبلت الشروط الاساسية التي طلبتها
ايطاليا لتكون مطابقة اليدين حيث يتهددها الخطر الاكبر .

كان اعلان الحرب البلقانية قبل ان يتم حشد الجيش العثماني كما روى
الضابط الالماني هوشوخر الذي رافق دولة محمود مختار باشا ، ولكن
الآمال كانت كبيرة في الاستانة ، والمراجع العالية كانت تلهب شوقا الى
اظهار قوة الجيش العثماني كما قال أيضاً ذاك الضابط الالماني ، ثم ان الجيش
نفسه كان يتوق الى القتال بعد أن وقف أشهراً عديدة امام الحرب
الطرابلسية وهو لا يستطيع الوصول الى اولئك الاعداء الذين هجموا على
طرابلس . وكل من وقف على الجرائد الاوربية الكبرى يعلم أن عدداً
غير قليل من القواد ولا سيما القواد الالمانيين كانوا يرجحون أن طالع
الجيش العثماني سيكون سعيداً في المعارك المقبلة

واذا راجعنا ما كتبه الموسيواستفان لوازن رئيس تحرير الماتين الذي
كان في عاصمة السلطنة أيام سفر الجنود العثمانية الى مواقع القتال ، وجدنا
ما يدل على هذا الرأي الذي كان شائعاً . قال الكاتب المشار اليه في مؤلفه
المسمى « عند سرير تركيا » اني سألت الموسيوجورج ريمون الذي كان

مع الأتراك في طرابلس عن عددهم هناك . فقال لي اني أوكد لك كل التأكيد انهم لم يكونوا في طرابلس أكثر من ١٧٠٠ تركي فعجبنا وأخذنا نتساءل قائلين « اذا كان ١٧٠٠ تركي قاوموا مئة الف رجل طلياني فاي عدد تحتاج اليه الحكومة التركية لقهر ٢٠٠ الف بلغاري . ولكن الحرب هي - لفرط الاسف - أبعد شيء عند حساب الحاسبين »
ثم روى، حديثاً يدل على الحالة النفسية التي كانت عليها جنود الرديف ، قال

ذهبت الى مقربة من سان استفانو : تلك المدينة الصغيرة التي اكتسبت صفة تاريخية مضاعفة بنزول الجيش الروسي فيها سنة ١٨٧٨ ثم بدخول الجيش الذي قدم من سلافيك سنة ١٩٠٩ (لتأييد الدستور) فوجدت خمسة عشر الف جندي عثماني معسكرين . ولما وصلت كانوا جالسين جماعات جماعات على شكل حلقات ، بعضها يحيط بضابط يشرح بعض النظريات ، والبعض يجهز المعدات . وهم عامرو البنيان كيرو الجثمان كالذين رأيتم في الاستانة ، فدعوت الي احدهم بعد استئذان ضابطه وسالته

— من اين انت

— من انقره (وهي تبعد ٥٠٠ كيلومتر عن البوسفور)

— كم يوم قضيتم في السفر الى هنا

— سبعة ايام

— هل تركت عدداً من الجنود وراءك

— الوفاً كثيرة

- كم تقبض من النقود في اليوم
 - ثلاثة قروش
 - وهل تُدفع اليك
 - بانتظام
 - متى تؤمّل الرجوع الى انقرة
 - بعد شهرين، فانا قادمون لنزهة حربية
 - هل تأسف على شيء تركته وراءك
 - نعم آسف على الموسيقيين، ولكنهم لا يلبثون ان يصلوا. ونحن
 محتاجون اليه لترقص بنات البلغار على نفقات موسيقام
 تلك هي الحالة النفسية عند معظم الجيش يوم اعلان الحرب وهي عامل
 كبير من عوامل النصر، ولكن سوء الادارة اودى بها كما يودي السوس
 بالشجر النضير

الجيش العثماني

وقت اعلان الحرب

كان ارکان حرب الجيش العثماني يجهلون من سرائر الجيش البلغاري
 وسائر جيوش البلقانيين بقدر ما كان يعرف ارکان حرب الجيش البلغاري
 من شؤون العثمانيين. وجل ما كان يعتقده كبار القواد في الاستانة لا
 يخرج عما ذاع وشاع من أن الجيش البلغاري منظم والجيش الصربي

والجيش اليوناني سارا خطوات كبيرة في سبيل التنظيم ، لكنهم لم يكونوا يحسبون حساب التحالف البلقاني ولم يتأهبوا له بوضع خطة حرية عامة ، بل كانوا ينظرون الى الجيش البلقاري على حدة ، وما فكروا في الخطة الحرية العامة الا بعد أن ثبت لهم خبر التحالف بين البلغار والصرب . واذا كانت الجيوش العثمانية موزعة من قبل في انحاء البلقان فليس توزيعها دليلاً كافياً على أن الحكومة العثمانية كانت تتوقع منذ مدة مديدة تحالفاً قوياً عليها (١)

ولما وضعت نظارة الحرية العثمانية نظاماً جديداً للجيش العثماني سنة ١٩٠٩ على أثر اعلان الدستور ، ظهر من حساباتها وما نشر من بيانها أن الدولة العثمانية سيكون لها قوة حرية لا تخاف معها دول البلقان ولا تكترث لعدوانها . فان هذا النظام قضى بتقسيم الجيش العثماني الى اربعة اقسام أو جيوش منها جيشان للولايات العثمانية الاوربية ، والاثنان الباقيان لسائر انحاء السلطنة . وجيشا الولايات الاوربية يمكنهما ان يتلقيا قوة للابد ال أو الانجاد من جهات آسيا الصغرى . ومحل الجيش الاول منهما خط يمتد من ادرنه حتى الاستانة وهو مؤلف من الفيلق الاول المعروف بفيلق الاستانة ، والفيلق الثاني المعروف بفيلق تكفورطاغى (رودستو) والفيلق الثالث المعين لقرق كايسا وماجاورها ، والفيلق الرابع لادرنه وحصونها وقوة هذا الجيش تبلغ حسب النظام الجديد ٢٢٠٠٠٠ جندي من المشاة و ٦٠٠٠ فارس و ٤٥٤ مدفعا

(١) من كتاب وجنر الذي تقدم ذكره

اما الجيش الثاني الذي خصص للولايات المعروفة باسم مقدونيا فقد كان اقوى منه بحسب ذاك النظام لان مجموعه يبلغ ٣٤٠٠٠٠ رجل و ٥٠٠ مدفع . وكان من المأمول ان الجيشين المذكورين يمكنهما ان يقويا في وقت الحرب بفضل النجدة التي كانت يُرجى إرسالها من آسيا الصغرى

غير ان تلك القوات الجميلة لم تكن إلا على الورق . والصحيح ان نظام سنة ١٩٠٩ اضر بالجيش العثماني بدلاً من أن ينفعه ويعزز جانبه . وليس ضرره ناشئ عن فساد النظام نفسه بل عن سبب آخر ، هو أن كل نظام يدخل على جيش - كما يقول الاختصاصيون - يدع هذا الجيش ضعيفاً غير متماسك الاجزاء الى أن يتم . وكل دولة تدور بها الاخطار مثل تركيا لا يجوز لها أن تهدم نظام جيشها دفعة واحدة لتقيم مقامه نظاماً آخر . بل يجدر بها لتأمين الخطر أن تغير ذاك النظام شيئاً فشيئاً حتى لا يتزعزع بنيان قواتها الحربية فيطمع فيها العدو الساهر كما فعلت روسيا مع تركيا نفسها سنة ١٨٢٠ وكما فعلت الممالك البلقانية في هذا الزمن ، ولقد اظهر الكتاب الحريون ومن جملتهم الموسيو وجنر ان الحرب البلقانية نشبت ونظام الجيش العثماني لم يكمل ، والرديف لم يتمرن ، وبعض القواد لم يتعودوا تحريك الجنود الجرارة في ساحات القتال ، وعدد الضباط اللازم لم يتم ، فان الجيش كان يحتاج الى ٥٠٠٠ ضابط كما قال نخامة مختار باشا الغازي في حديث ، وزد على ذلك كله ان السكك الحديدية لم تكن تنقل العدد الذي كان يُرجى نقله

وكان من نكد الدنيا وسوء الطالع على تركيا ان أولياء الامور اقترفوا خطأ كبيراً في أوائل شهر سبتمبر اى قبل اعلان الحرب بنحو شهر ونصف . وذاك انهم صرفو الرديف الذي كان تحت الهلال بجاء صرفه في الوقت الذي يجب فيه تعزيزه وتقويته . وفي منتصف الشهر المذكور صرفت أيضاً طبقة من الجيش العامل . وفي ٢٣ منه عادت تركيا تعبي عشر فرق من الرديف على حدود البلغار والصرب بحجة انها تنوي تمرينهم ولكن تعبثها كانت بطيئة صعبة . ولما هبت الممالك المتحالفة الى التعبئة العامة بعد بضعة أيام لم يكن لدى وزارة الحرية العثمانية وقت كاف للتعبئة التامة وحشد الهيالق في الوقت الموافق لها

وليس من خدمة الحقيقة والتاريخ أن نهمل هنا خطأ آخر ارتكبته الحكومة العثمانية وهو تجنيدها لرعاياها البلغاريين والصربيين واليونانيين . فانها ظنت - وما أبعد ظنها عن الصواب - ان وضعهم في مقدمة الوف من المسلمين يضطرم الى اطلاق النار على أعداء الدولة ولكنهم كانوا يطلقون رصاصهم في الفضاء كما قال غير واحد منهم . ولما لاحت بارقة النصر في جانب اخوانهم في الجنسية والدين طاروا اليهم ورموا طراييشهم ووضعوا القبعات على رؤوسهم . ولا عجب ولا غرابة فيما فعلوا بل العجيب الغريب أن يصدقوا تركيا قولاً أو عملاً . وكل من يفكر في تاريخهم واحوالهم يعلم ان « عثمانيتهم » اسم بلا مسمى ، وأن كل فريق منهم يحن الى الدولة التي من دمه واصله . فالبلغاري يميل الى البلغار ، والصربي الى الصرب ، واليوناني الى اليونان ، ولو بذات تركيا في سبيل راحتهم دم القلب وسواد العين ، لما فضلوها على دولهم الاصلية ، بعكس ما نظنه في

بقية المسيحيين العثمانيين الذين لا دولة لهم من جنسهم . فانهم وان كانوا يذكرون الماضي والقلب حزين ، يجدون من مصلحتهم أن يمتزجوا بالدولة العثمانية ، وليس في الدنيا أقوى من المصلحة على التوفيق . ولكن رأس الشروط لهم على الصفاء لها هو اقامة الحق وتأيد العدل . وأقرب البراهين التي تقدمها على امكان خدمتهم للوطن العثماني هو ان معظم جنود الارمن ابلوا بلاءً حسناً في القتال ، وما عدد الذين حذوا حذو البلقانيين المسيحيين في الحرب والخيانة الا قليل جداً . ولما قامت احدى الجرائد تطعن عليهم كتب المرحوم ناظم باشا كتاباً الى جرائد الاستانة مدح فيه الجنود الارمنية واعترف بحسن خدمتها في المعارك وأمل أن يكون لها مستقبل حسن في الجيش العثماني

ويجدر بنا ان نختتم هذا الفصل بأهم ما كتبه الماجور فون هوشو ختر الالماني (الذي كان احد اساتذة الجنود العثمانية) في شأن الخلل قبل الحرب ، قال ان حكومة الاستانة لم تكن تجهل أن الحرب اذا نشبت بين تركيا والبلغار ستكون في جهات ادرنه ، وان البلغاريين يتأهبون لها ، ومع ذلك كله فانها لم تزد هناك الخطوط الحديدية ، ولم تصلح الطرق ولم تنشأ الجسور ، ولم تعتقد اخيراً أن كفة الحرب ارجح من كفة السلم بدليل انها اطلقت سراح الرديف قبل اعلان الحرب بقليل ، فضغفت القوة التي بقيت الى حد أن طواير كثيرة نزل عديد الواحد منها الى ٢٥٠ رجلاً ، ولما عادت الحكومة فامرت بالتمبئة وجدت نفسها عاجزة

عن لحاق العدو في هذا سبيل وماتت تعبئة جيشها الا بابطاء لا يتصور
« وكانت دوائر النظارات مختلة ، ثم جاءت اعمال الكثيرة قبل
اعلان الحرب فازداد الخلل . وربما كان التنافس في مسألة القيادة بين ناظم
باشا وعبد الله باشا من أسباب الشؤم على الجيش العثماني ، لان نقل
الاورامر تأخر كثيراً بسبب ذاك التنافس »

« وكان خط السكك الحديد الشرقية وحيداً ، ليس معه الا بعض
خطوط لنقل العدة والامتعة ، وعدد الارصفة غير كاف . ولقد أظهر
الموظفون اخلاصاً تاماً في عملهم لكنهم ما لبثوا ان رزحوا تحت اعباء
المتاعب »

« وزد على ذلك كله ان آلات السكك الحديدية أهملت بالانتظاف
فما انقضت مدة من الزمن حتى أصبحت غير صالحة . ثم ان المياه لم تكن
كافية ، واشتداد تيار الناس من أهالي وجنود أدى الى اختلال عظيم حتى
ان القطارات العديدة كانت تقضي عدة أيام في اجتياز ٥٠ او ٦٠
كيلومتراً »

« اما الجنود - وهنا اريد الجيش العامل - فقد كانت جيدة
ومجهزة تجهيزاً حسناً ومتعلمة تعاليماً كافياً ، واما الرديف فقد كان جاهلاً
للتعليم العسكري لان العدد المتعلم منه فني بجهات اليمن وحواران والبانبا
وطرابلس . ومع ذلك كله فان الجيش العثماني لو كان فيه عدد كافٍ
من الضباط المتعلمين لما بلغت به الحالة من الخطر الى تلك الدرجة ،
ولكن القواد المتفوقين لا تجد هم بين كبار الضباط العثمانيين وهؤلاء
لا يخالطون الضباط الشبان »

« ولما وصل الرديف كان منظره حسناً الى حدٍ ما . ولكنه كان
تعباً من طول شقة السفر ، سيء الطعام سيء الادارة ، وبعضه من ذوي
العامات ، والجندي القديم الذي كان في العهد الحميدي لا يعرف اليوم
كيف يطلق الرصاصة ، وكثير من أولئك الجنود لم يتعود الا استعمال
البندقيات التي تحشى من فوهتها . وكانت البطاريات حسنة لكنها محتاجة
الى الخيل . وما حصلوا عليه منها كان ضعيفاً »

« وكانت مددات النقل التي رأيتها حسنة لكنها قليلة ، والعربات غير
متينة ، على انني لم ار مطابخ نقالة ولا افرانا حربية . فقد كان من
الواجب على الحكومة ان تهتم بها وتودع مقادير عظيمة من المؤونة في
جهات المعارك . اما ترتيب ادارة الذخيرة كما نفهمه نحن فلم يكن مضموناً
مع ان الواجب كان يقضي على ولادة الامور بان يتوقعوا سوء حالة الاسكة
الحديدية ويعدوا عربات للنقل غير التي تجرها الجواميس ، وبان يعينوا
لاقسام ادارة الميرة والذخيرة موظفين ا كفاء مسئولين . فقد رأيت
بمبني ان المدافع كانت محتاجة الى الذخيرة في جميع المعارك ، وان الذخيرة
كانت موضوعة وراء الجيش »

على تلك الحال أرسل الجيش العثماني واثقاله الى ساحات القتال .
فقف بنا ننظر هنا في حالة الجيش البلغاري الذي سيقترح اكبر المعارك
الفاصلة



الجيش البلغاري

وقت العمل في الحرب

مضى نحو خمس وعشرين سنة وبلغاريا تتأهب لمحاربة تركيا ، وتضع نصب عينها الهجوم على البلاد العثمانية لا الدفاع عن بلادها . والدليل الدامغ على خطتها الهجومية هو انها لم تبني القلاع والمعازل الهائلة بل أنفقت معظم المال الذي خصته بالاهبة على تحسين اسلحتها وزيادة عدتها وتعليم جنودها والحكومة العثمانية نفسها لم تكن تجهل خطتها الهجومية بدليل انها عينت اموالاً طائلة لتحسين ادرنه عملاً بنصيحة المارشال فوندر غولتز الالماني ، فان الغرض من تحصين ذاك الموقع و تحصين قرق كليسا لم يكن يقصد منه الا تمكين الجنود العثمانية من الدفاع يوم هجوم البلغاريين ريثما يتم حشد الجيش العثماني ويصبح قادراً على صدم الجيش البلغاري صدمة ساحقة . وكل من اطلع على المؤلفات التي صدرت اخيراً في موضوع الحرب يجد مؤلفيها الاكفاء مجمعين رأياً على أن بلغاريا أبدت من الجهد العظيم في الاستعداد ما يفوق كل جهد بذلته اية دولة كبيرة بالنسبة الى عددها . فان أهالي بلغاريا الذين لا يربو عددهم عن ثلاثة ملايين و ٧٥٠ الف نفس قدموا لدولتهم من الجنود الصالحة للقتال وللخدمة الاضافية في الادارة العسكرية وغيرها ، نحواً من نصف مليون اي ١٥ في المئة من مجموع أهل البلاد ، وهذا لم نر مثله في دولة من الدول حتى

فرنسا (١) . وطبيعي أن الجهد المالي يجب أن يكون على نسبة الجهد
الحربي

أما الخدمة العسكرية فهي اجبارية بالبلاد ، يقوم بها كل رجل عمره
من عشرين الى ست وأربعين سنة ، ولا يُفنى الا المسلمون بعد أن يدفعوا
البذل العسكري . وجميع الرجال المخصصين للخدمة الاضافية يحق للحكومة
ان تدعوهم لادائها سحابة أربعة اشهر كما يحق لها ان تدعو وقت الحرب
كل شاب عمره سبع عشرة سنة وإن كان موعدا خدمته لم يحل . ومدة
الخدمة القانونية سنتان للمشاة وثلاث للفرسان وغيرهم . والعدد الرسمي
الذي تعتمد عليه بلغاريا وقت الحرب هو ٧٥٠٠ ضابط و ٣٨٥٠٠٠
جندي . وهناك عدد للاستبدال وللخدمة في غير مواقع القتال . على أن
الجهد الذي بذلته بلغاريا في حرب البلقان تجاوز ما كان في الحسابان .
ومعظم الرديف مدرب مجرب خلافا لما ظهر في الجيش العثماني . والقواد
كلهم متعلمون واسعو الاطلاع كما شهد جميع المراسلين الحربيين وكما تشهد
تراجم حياتهم . وعدد ضباطهم لم يكن قليلاً بالنسبة الى جيشهم كما كان
عدد الضباط العثمانيين

غير ان الجيش البلغاري يعتمد على البلاد الخارجية في اعداد ما
يكفيه من الخيل . وهو يحتاج وقت الحرب الى ٧٠ الف حصان وحيوان
وايس عنده منها الا عشرة آلاف حصان و ٤٠٠٠ ؛ للبطاريات
مودعة عند افراد يأخذون لها مرتباً

(١) عن الموسيو وجنر

اما اسلحة الجيش البلغاري فتتألف من بنديات منليخر المتعددة الطلقات ، وكل جندي يأخذ لبندقية ١٥٠ خرطوشة ويبقى وراءه ١٠٠ اخرى ، وقسم من الجيش يقاتل ببندقية من طراز بردان ومعها ٨٠ خرطوشة ومن ١٠٨ بطاريات سريعة الاطلاق للميدان مصنوعة في معامل شنيدر وكروزو الفرنسية ، وعدد قليل من مدافع كروب ، وكل مدفع منها له ٥٠٠ قنبلة

ومن مدافع ثقيلة ومدافع جبلية وكلها فرنساوية . ومعلوم ان البندقيات والمدافع العثمانية هي المانية ، وبعضها من طراز مارتيني القديم تلك هي حالة الجيش البلغاري يوم زحفه الى مجال القتال

مبوشى الصرب والبوناه

وقت اعطاه الحرب

كان الجيش الصربي متأهباً كالجيش البلغاري ومسلحاً بالمدافع الفرنسية ومقسوماً الى اربعة اقسام اولها يتألف من جنود عمر الواحد منهم ٢١ - ٣١ سنة . والثاني من الذين عمر الواحد ٣١ - ٣٨ سنة والثالث من الذين عمرهم ٣٨ - ٤٥ والرابع - وهو المسمى بالميليس - يتألف ممن عمره ١٧ - ٢١ و ٤٥ - ٥٠ سنة

اما الخدمة فاجبارية ، وهي سنتان للفرسان و ١٨ شهراً للجنود الاخرى ، والجيش المعبأ كان مؤلفاً (١) من خمس فرق من الجيش العامل

(١) عن الكولونل بوكايل الفرنسية

قوة الواحدة ١٧٠٠٠ رجل و ٥٣٠ حصاناً و ٣٦ مدفعاً . ومن فرقة رديف
وفرقة فرسان وخمس فرق من القسم الثاني وخمس من القسم الثالث
والاي من الطوبجية الجبلية والاي مسلح بمدافع ميدان وعدد من
الجنود الاخرى يبلغ ٢٠٠٠٠ الف و ٦٠٠ ضابط للاهتتام بالنقل وغيره

اما الجيش اليوناني فقد نظمه ضباط فرنساويون بعد حرب ١٨٩٧
وكان مسلحاً بالمدافع الفرنسية وبندقيات منليخر ، وبلغ عدد الجنود
المعبأة وقت الحرب ١٨٥ الف رجل ثم أضيف اليهم عدد من الكريتين
والغاريبالدين المتطوعين فبلغ ٢٠٠ الف رجل أو أكثر من هذا العدد .
ولقد اجمع المراسلون الحريون على ان الضباط فرنساويين نهضوا به نهضة
كبيرة في نحو سنة وثمانية اشهر بدليل ان تعبئته تمت على تمام النظام

اما جيش الجبل الاسود فهو كما قال الكولونل بوكايل لا يعدّ
الا من طراز الجيوش الاسماء « بالميليس » . وقانونه العسكري يقضي بان
يجتمع تحت رايته كل رجل من سن ١٨ سنة الى سن ٦٢ . وجنوده العاملة
تتألف من الذين تختلف اعمارهم بين ١٨ و ٥٣ . والجنود الاحتياطية من
الذين اعمارهم بين ٥٣ و ٦٢ . ومجموع جيشه وقت الحرب ٣٧ الف رجل
يقسمون الى اربع فرق . وهو يملك بطارتين روسيتين للميدان وثلاث
بطاريات ايطالية . وسبع بطاريات جبلية منها اربع روسية وثلاث ايطالية
وست بطاريات اخرى

وليس عنده من الفرسان من يستحق هذا « الاسم » ولا معدات

حديثه للنقل ولا ادارة صحية. ولكن الصفات الحربية تسرى في كل جبلي
مع الدم

المعارك

في تراقية ومقدونيا والبالانيا وعلى ظهر البحر

لدينا طريقتان في تقسيم الكلام على المعارك ، اولاهما النظر الى
تاريخ كل معركة وتقديمها على ما حدث بعدها . والثانية تقسيم البلدان
التي حدثت فيها المعارك والنظر في معارك كل قسم منها على حدة .
ونحن متبعون الطريقة الثانية لانها اقرب الى الافهام . واول ما نبدا به
المعارك التي حدثت بين العثمانيين والبلغاريين في تراقية . ثم بين العثمانيين
والصربيين . ثم اعمال اليونان الحربية والبحرية ، فاعمال الجبل الاسود ،
فاعمال الاسطول العثماني

وخلق بنا أن نسارع الى تسكين بال القارئ الذي ينفر من
الاسهاب فنعده باهمال كل تفصيل ثانوي لا يهم الا الحربيين الفنيين .
واعتمادنا في هذا الباب الفني على فريقين من الكتاب الحربيين احدهما
كان مع الجيش العثماني . والثاني مع جيوش اعدائه . وكل رواية لا يمكن
فيها التوفيق بين اقوال هذين الفريقين لم تصب عندنا نصيباً من العناية لان
الغاية الوحيدة التي نسمى اليها انما هي خدمة الحق ، وخدمته صعبة مع
تضارب الاراء وتصادم الاهواء

﴿ زحف العرب ﴾

(في تراقية)

كانت القوات العثمانية المعدة لقتال البلغاريين في تراقية مؤلفة أولا من اربعة فيالق وهي فيلق الاستانة وفيلق تكفور طاغى (رودستو) وفيلق قرق كليسا وفيلق ادرنه . ثانياً من ٨ فرق الرديف منها اثنتان جمعتا من الاستانة وسافرتا بلا ابطاء ، وست من آسيا الصغرى (وهي فرق اركلي وقسطمونى وانقره وعشاق وافيون قره حصار) ، الا انها لم تصل الى مواقع القتال في الوقت الموافق لمصلحة الدولة بل وصلت مبطئة كل الابطاء . أجل ان جموعاً مختلفة من الرديف وصلت الى فرق كليسا قبيل سقوطها ولكن بقية الرديف لم تصل الى تراقية الا بعد انتهاء معركة لوله بورغاز اي بعد الضربة الهائلة التي أ كدت نجاح البلغاريين

وكانت تلك القوات معقودة اللواء لعبد الله باشا . على انه كان تحت

امرة ناظم باشا الذي عين وكيلا لجلالة السلطان في القيادة العامة

حشد القائد العثماني تلك القوات على شكل مربع الاضلاع ممتد من

ادرنه الى قرق كليسا فديمتوقة فلوله بورغاز . وسلم قيادة الفيلق الاول

الى ياور باشا وقيادة الفيلق الثاني الى طورغود باشا وأوقفه بين ترك بك

وقره أغاج . وقيادة الفيلق الثالث الى محمود مختار باشا وأوقفه عند بيكار

حصار (أوبونار حصار) . وترك فرقتين من الفيلق الرابع في لوله بورغاز

تحت امرة عبوق باشا

تلك هي المواقع الاولى التي حشدت فيها الجنود العثمانية (١) بقيادة

(١) عن الكولونل بوكايل وعن الطان والديا والجورنال والايكودي بارى والماتين

عبد الله باشا لمقاتلة البلغار . وهو -- على قول الماجور فون هوشوخر
أحد أساتذة الجيش العثماني -- رجل ذو قيمة وكفاءة ، معروف بقوة
الارادة ، واسع الاطلاع في العلم الحربي » على ان اكبر قائد في العالم لا
يستطيع شيئاً مذكوراً حين يرى ان عدوه الاول خلال الادارة العسكرية

أما القوات البلغارية التي زحفت أولاً على تلك القوات العثمانية في
ترقية فهي الجيش الاول بقيادة الجنرال كوكنتشيف ومعظم رجاله من
جبهات صوفيا وفيلببولي (أوفيليه كما يسميها الأتراك) وموقع حشده يانوبلي .
(جامبولي) ثم الجيش الثاني بقيادة الجنرال ايفانوف وموقعه طرنوي
(تيرنوفو) ثم الجيش الثالث بقيادة الجنرال داتكو ديمتريف وموقعه
قزيل أغاج (كزيلاغاش) . ويظهر من قول عدة مراسلين ان التعبئة
والحشد لم يتطلبا اكثر من خمسة عشر يوماً

أما القائد العام فالجنرال سافوف صديق ملك البلغار ، وهو مشهور
بالحزم والعزم واحتمال المسؤولية والمعارف الحربية . قال الموسيو وجنر
« انه في طليعة الذين أدخلوا جميع الاصلاحات الحربية الحديثة على الجيش
البلغاري وانه كان يعرف كل شبر من الارض التي حدثت فيها المعارك
ولا يجهل شيئاً من أحوال الجيش العثماني ولما أعلنت الحرب قال « أنا
أراهن على ضرب عنقي أن جيشنا سيقهر الجيش العثماني بعد أيام »

بدأ البلغاريون بالحركات الحربية في ١٨ أكتوبر أي يوم اعلان
الحرب فزحف الجيشان الثاني والثالث قاصدين أدرنه من جهة ، وقرق كليسا
من جهة أخرى ، وزحف الجيش الاول بينهما

وروى الماجور فون هو شوختر ان الخطة الحربية الاصلية التي نصح
المارشال فوندرغولتز لاركان حرب الجيش العثماني باتباعها في تراقية ، هي
ان يلزموا خطة الدفاع ريثما يتم حشد الجيش العثماني . على ان هناك خطة
أخرى أشار اليها الكولونل بوكايل وهي على ما قيل كانت تقضي بتقسيم
القوات العثمانية الى ثلاثة جيوش يقيم منها اثنان عند ادرنه وقرق كليسا
والثالث يأتي بحرأمن جهة ميديه لسحق ميسرة البلغار، ولكن السرعة الهائلة
التي أظهرها الجنرال سافوف وجيشه في الزحف والهجوم لم تمكن أركان
حرب الجيش العثماني من النجاح فيها ، ولا سيما بعد سقوط قرق كليسا على
وجهه لم يذكر مثله في تاريخ الجيش العثماني كما سترى
أما خطة الجيش البلغاري فهي تتوقف على اجتناب فتح أدرنه في بدء
الحرب وعلى السرعة العظيمة في قهر القوات العثمانية الاخرى بقصد ان
لا يترك للدولة العلية وقتاً كافياً لحشد جيوشها وتعزيز جوانبها قبل المعارك
الفاصلة ، وبقصد ان تكون النفقات المالية أقل ما استطاع



﴿مرحلة الجيش الثاني﴾

للبغداد

سقوط مصطفى باشا

زحف الجيش البلغاري الثاني الى جهات أدرنه من وادي مريج (مارتيزا) ومن الضفة اليمنى لطونجه ، وتقدم بعض فرقه الى جهة مصطفى باشا التي لم يكن فيها الا حامية صغيرة فلم يجد الا مقاومة ضعيفة ، ثم تقهقر العثمانيون بسرعة لان القائد العثماني لم يكن يرغب في معركة كبيرة هناك . ولشدة سرعتهم في التقهقر فاتهم ان ينسفوا ثلاثة جسور كان نسفها مقررأ من قبل ، على ان بعض الجنود تنبه الى الامر فاهلب موقداً واحداً من الديناميت الذي كان معداً لنسفها فلم يحدث الا أضراراً قليلة ، فدخل البلغاريون مصطفى باشا وهي أول أرض عثمانية وقعت في قبضتهم

ولما طير القائد البلغاري خبر فتحها الى ملكه انتقل اليها ومعه أركان حربه ونجله بوريس وسيريل وكان من تقاليد البلغاريين القدماء ان ملكهم اذا دخل أرضاً لعدوه بعد النصر ، خطا الخطوة الاولى على الاسلحة التي غنمها جيشه . فاراد الملك فردينان ان يعيد تلك العادة بعد مئات من السنين . ولما وصل القطار به جيء ببندقية من بندقيات العثمانيين

فوضعها تحت قدميه ووقف عليها نحو دقيقة من الزمن . وأبدل البلقاريون اسم مصطفى باشا فسموها « فرديناندوفو » . ثم دخل ملكهم تلك المدينة الصغيرة باحتفال كبير مشى فيه كبار رجالهم الدينين بملابسهم المذهبة التي يزدانون بها في الحفلات الدينية الكبرى . وانا كعثمانيين نذكر تلك الحفلة والاسف يملأ الصدر . وأشد ما يؤلم فيها ان الذين ساعدتهم حسن الطالع فاقاموها لم يكونوا بالامس الا ولاية عثمانية بلغت ما بلغت من العزة والمنعة بفضل الاصلاح الذي نشأت اليه اشتياق الظماء الى الماء والجياح الى القصاص

وبعد ان فتح البلقاريون مصطفى باشا أمر قائدهم باتباع العثمانيين المتقهقرين فزحفوا حثيثاً على ضفتي نهر مريچ (ماريتزا) وحدثت معركة صغيرة في جرمين فازت فيها الجنود البلقارية

وكان معظم الجيش البلقاري الثاني مستمراً على الزحف الى جهة أدرنه . ولما وصلها أراد ان يفاجيء حصونها الغربية والجنوبية الغربية بهجمة قوية لان الخطوط الحديدية منشأة في تلك الجهة ، وقد تبأينت أقوال المراسلين في سبب تلك الهجمة مع اعتقاد أركان حرب البلقار ان أدرنه محصنة أفضل تحصين فلا يمكن فتحها بهجمة أو عشر . ولكن الراجع ما ذكره الكولونل بوكايل وهو ان الجنرال ايفانوف قال في نفسه « اذا لم نفلح في الهجمات الاولى فانها تعود علينا بشيء من النفع لكونها تعد لنا المحل اللازم لوضع بطاريات الحصار الضخمة » . وليس يبعد عن الصواب قول الموسيو رينيه بيو مراسل الطان الحربي وهو ان أركان حرب الجيش البلقاري الذين اهتموا أشد اهتمام باخفاء الحركات الحربية وأبوا على الجنود

ان يكتبوا كلمة الى أهلهم حتى لا يعرف أحد موضع اقامتهم ، أرادوا ان يوهموا العثمانيين والصحافيين وغيرهم انهم يريدون أخذ أدرنه عنوةً في أوائل الحرب. ثم دلنا الواقع على انهم أجلوا الهجوم الا كبر على أدرنه الى ما بعد المعارك الفاصلة . فلندعهم حول ادرنه الآن ونلتفت الى الجيش البلغاري الاول ثم الى الجيش الثالث الموكلين باخذ قرق كليسا من الجهة الشرقية



معركة قرق كليسا

٨٠

رعب مامبرها - المشاهد الاولى

تقدم ان الجيش البلغاري الاول زحف الى الوسط فيما بين الجيش الثاني الذي سار الى جهة أدرنه ، والجيش الثالث الذي قصد قرق كليسا ، وكان غرض الجيش الاول على الاخص ان يعضد الجيش الثالث في أخذ قرق كليسا عنوةً واقتداراً ولو كبرت خسارة البلغاريين لان الابطاء يفسد عليهم خططهم . ولكن مساعدته انحصرت في قتال جانب من العثمانيين ومنع كل صلة بين قرق كليسا وأدرنه وكان الفوز حليفه في ذلك القتال ثم ذهب عدد عظيم منه الى جهات ادرنه فانضم الى الجيش الثاني أما الجيش الثالث المذكور فقد اجتاز الحدود العثمانية في ١٩ أكتوبر أي بعد اعلان الحرب بيوم واحد وكان مقسوماً الى أربعة أقسام ، قسم الميمنة الذي سار نحو أركلر ، وقسمي القلب اللذين اتجها نحو قرق كليسا ، وقسم الميسرة الذي زحف شرقي سترانجه طانغي

وكان أول خط منيع للعثمانيين قائماً على نحو ٨ كيلومترات شمالي قرق كليسا ، وهناك طرق وعرة تساعد على الدفاع ، فبقي البلغاريون ثلاثة أيام (٢٠ و ٢١ و ٢٢ أكتوبر) حتى تمكنوا من صد الجنود العثمانية الى الموقع نفسه

ولما أقبلت ليلة ٢٣ - ٢٤ أكتوبر اشتدت الامطار واكفهر وجه السماء ، وما كانت الساعة الثامنة مساء حتى تقدمت (١) أورطتان من الجنود البلغارية نحو موقع قرق كليسا . ثم زحف القسم الذي كان في أقصى اليسرة فجاءت تلك الهجمة البلغارية سبباً في رعب غريب لا يسهل تصديقه عن الجيش العثماني الذي كتب تاريخ مجده بدمه . وكان من نتائج ذاك الرعب ان الفصائل العثمانية أخذت تطلق الرصاص بعضها على بعض في احدى الجهات ثم تقهقرت لا تلوي على شيء الى جهة بابا اسكي . بيكار حصار بدلا من أن ترجع الى الحصون والمعقل التي كانت هناك ، وذهب بعضها الى قرق كليسا نفسها فاسهب وأغرب في وصف الفشل حتى سرت عدوى الرعب الى بقية الجنود التي كانت في الموقع فاسرعت الى اللحاق به

وروى الكولونل بوكايل الفرنسي والمajor فون هوشوخر ان العثمانيين هم الذين هجموا ، خلافاً لرأي محمود مختار باشا الذي كان يعتقد - على رواية المajor المذكور - ان الجنود لم تكن أهلاً للهجوم ولا سيما ان عدداً من الضباط والجنود الذين قدموا في ذاك اليوم لم يكونوا يعرفون شيئاً من جهات قرق كليسا . ولما دوى المدفع وصفر الرصاص تقهقرت مقدمة البلغاريين فتبعهم العثمانيون . وانهم كذلك اذا بالبلغاريين يكشفون عن خنادق مملوءة بمدافع الميتراليوز والمشاة ، فانخلعت قلوب الرديف العثماني رعباً من تلك المفاجأة وعمد الى الفرار . وانه ليسق علينا وايم الحق ان نذكر هذا الحادث الاليم ، بيد ان خدمة الحقيقة فوق

(١) من محاضرة لاركان حرب الجيش البلغاري رواها الموسيورنيه يو

كل شيء ، ثم ان القواد والوزراء العثمانيين أنفسهم لم ينكروا ذلك الرعب الغريب ، قال الموسيو ستفان لوزان رئيس تحرير الماتين الذي كان وقتئذ في الاستانة :

« كنت أدشى مساء ذلك اليوم (أي بعد سقوط قرق كايسا) عند وزير الخارجية العثمانية . واني لا أزال أتمثله نصب عيني وهو داخل الى ردهة الاستقبال أصفر اللون كالح الوجه ، وأسمعه يقول لنا بصوت خافت » لقد وقع حادث ليس له نظير في تاريخنا وقع أن جنودنا تركت قرق كايسا من شدة الرعب » ثم قص علينا تفصيل الحادث وذكر ان التلغرافات المتقطعة الدالة على شدة الهلع ترد تباعاً منذ أربع وعشرين ساعة على أركان الحرب ، ومنها ما يفيد ان فرسان البلغار هجموا على قرق كايسا مع ان البلغار لم يكن عندهم فرسان . ومنها ما يدل على ان الخسارة عظيمة مع ان الاحصاء الرسمي الذي أرسل الى الاستانة يدل على انها لم تزد عن مئة رجل بين قتيل وجريح . ثم قال الوزير بصوت منخفض « كان عندنا كثيرون من أصل بلغاري أو يوناني في صفوف الجيش . . . والضباط قليلون جداً . . . »

وكتب مراسل الجورنال الحربي في وصف ذلك الهلع « أنه لما ظهر الهاربون استولى الرعب على متصرف قرق كايسا وأهلها فلاذوا بالفرار ، وقصد الاهالي والجنود محطة السكة الحديدية وهجموا على قطر كانت مستعداً للسفر . ثم حدث اصطدام فخرج القطر عن الخط على مسافة كيلو متر من المحطة ، فترك الهاربون القطر ومشوا بضعة عشرة ساعة حتى وصلوا الى بابا اسكي حيث وجدوا القطر الذي أقلمهم الى لوله بورغاز .

ثم وقع هناك أيضاً حادث موجب للأسف ، وهو ان جنود لوله بورغاز
أبصروا الفرسان المتقهقرين فظنواهم من فرسان البلغار وأخذوا يطلقون
عليهم ناراً حامية ، وما أدركوا خطأهم الا بعد ان غطت الاشلاء الجسر
القائم عند مدخل المدينة

على ان الله أراد ان يحفظ أساس السمعة الطيبة للجندي العثماني فجعل
يُظهر بين تلك المشاهد الالمية العظيمة مشاهد تعزي الامة العثمانية ببعض
التعزية في ابان خطبها الجلل . فمنها ان البطل حلمي بك الذي كان يقود
فرقة من اليمينه جامع جهاداً عجيباً ، وكان كلما رأى أحد الجنود يريد
اللاحاق بالهاريين يرميه بالرصاص ، حتى تمكن من ايقاف الميسرة البلغارية
التي كانت تجهل ما حدث ليلاً

ولما رأى حلمي بك ان البلغاريين كادوا يحيطون بجناحي فرقته ،
ترك موقعه نحو الظهر ، فبطت كل مقاومة أمام البلغاريين هناك وغنموا
ما بقي وما تركته الجنود على الطريق من المدافع والذخائر وغيرها
وليس من العدل ان نغفل هنا ما رآه الموسيوري بيو ، وهو ان
فريقاً من الجنود العثمانية أبي عليه شرفه العسكري ان يترك مدافعه
وذخائره في تلك الساعة الهائلة . ولكن الطرق التي كانت على أسوأ
حال ، أبطلت ذاك الجهد الشريف

وقع هذا الخطب لشؤم طالع الامة العثمانية والبلغاريون يعتقدون
ان الجنود العثمانية رجعت الى مواقعها وستدافع أشد دفاع ، وما علموا
الا في اليوم التالي ما جرى لحامية قرق كليسا ، لذلك لم يتمكنوا من
مطاردتها ساعة الهلع ، بل اكتفوا رغم ارادتهم بالموث والذخائر ، وبالا زهار

التي قدمتها لهم بعض النساء البلغاريات

أما سبب هذا الفشل العاجل في موقع أعد للمقاومة الشديدة ، فقد كثرت فيه أقوال الناقدين الحرييين فقال الموسيو وجنر ان هجوم العثمانيين أولاً لم يكن من الصواب وإن كان المقصود منه استطلاع طلع العدو واجباره على اظهار قوته ، لان مثل هذا الاستطلاع يضطر القوة المستطلعة الى خوض معركة كبيرة فتعود الى موقعها بخبر الفشل بدلاً من خبر العدو . وقال هوشوخر ان سوء حالة الجنود من حيث المطعم والملبس وقلة الذخيرة وجهل الامور العسكرية والحاجة الى الضباط الكفاء ، جعل هذا الهجوم شؤماً على حامية فرق كايسا . ثم مدح محمود مختار باشا مدحاً جميلاً وذكر انه كان يطوف في انحاء الموقع ويشجع الجنود ويصلح ذات البين عند الخصام ولكن مرؤوسيه لم يكونوا يعملون شيئاً من تلقاء أنفسهم ولم يكن في وسعه ان يكون في كل جهة ومع كل واحد . وكان من جملة ما رواه ان الباشا كان يطلق مسدسه على من يفر ويحدث الرعب وانه اضطر مرة الى الاشتراك معه في مثل هذا العمل الموجب للأسف والآسى

وقال لوجنر ضابط عثماني من الاسرى « انا لم نكن متأهبين ولا معتقدين ان البلغاريين يهاجمونا كما فعلوا » بل كنا نظن انهم سيهجمون على ادرنه فينهبون قواهم أمامها . وبينما يكونون مشتغلين بها تم نحن حشد جيوشنا في المواقع التي نريدها ، لكن هجمتهم على فرق كايسا

حدث بغتة فقاتلناهم بشجاعة ، على ان القيادة لم تكن حسنة لان كثيرين من الضباط أرسلوا بعد اعلان الحرب وهم لا يدرون ما يطلبون من جنودهم ، ثم ان عدة فرق من الرديف كانت تجهل التلميم العسكري واستخدمت كما تستخدم الجنود القديمة المنظمة ، وكنت ترى هذا القائد يريد الهجوم وذلك يريد الدفاع فيتقدم عدد من الجنود ويتخلف الباقي لا يبدون حراكا » ثم مدح البلغاريين بقوله « ان لهم هجمات بالسلاح الابيض لا تُرد ولا تصد ، فاذا قتلنا مئة أبصرنا مئتين يرون على جثثهم ليمروا هجومهم »

وطبيعي ان خبر هذا الفشل الاول اقام الاستانة واقعدها كما سترى ، وعزم ناظم باشا وزير الحربية وقتئذ على السفر الى تراقية ، واخذ الناس يتحدثون بسقوط وزارة مختار باشا . ولكن الحكومة العثمانية لم تر من المصلحة الداخلية ان تنشر الحقيقة بل قالت ان تقهقر الجنود من قرق كايسا هو بعض الخطة الحربية المرسومة . على انها ما لبثت أن اعترفت بالحقيقة الجارحة لان المراسلين الحريين أذاعوا خبرها في العالمين فلم يبق سترها في طاقة الحاكمين

﴿ بعد فرق كايسا ﴾

(فظائع وأهوال)

وقعت حوادث تدمي الفؤاد بعد التقهقر من قرق كايسا ، منها

احراق عدة قرى وسرقة المؤن ، وهرب الاهالي من نساء وأطفال حفاة
عراة ، وموت عدد من الجنود تعباً أو عطشاً وجوعاً

وروى الماجور فون هوشوختر ان الاهالي البلغاريين واليونانيين
كانوا يطلقون الرصاص على الجنود العثمانية من النوافذ ، وحدث في احدى
القرى ان رجالها نهضوا ليلاً فذبحوا الضباط والجنود العثمانيين فلما طلعت
شمس اليوم التالي وجدت أعضاؤهم مطروحة هنا وهناك . فاشتد سخط
ولاة الامور — وحق لهم ان يسخطوا — من تلك الفظائع وأمر وابعاد
رجال تلك القرية رمياً بالرصاص ثم أحرقوها بعد ان أخرجوا منها النساء
والاطفال . فذكرتنا حادثة هؤلاء بما فعله الالمانيون باحدى القرى
الفرنساوية اذ جعل اهلها يرمونهم بالرصاص من النوافذ فانهم كانوا
أشد قسوة من العثمانيين فعاقبوا أهلها غير راحين ولا مميزين بين النساء
والاطفال . فيالله من الحرب وياالله من الانسان

﴿ معركة لونه بورغاز ﴾

وهي الفاصلة

أفرغ عبد الله باشا وأركان حربه جهداً عظيماً في ضم شمل الهاريين
وتنظيم الجنود الجديدة ، وعزز الفيلق الثاني والثالث والرابع ورتبها من
اليمن الى الشمال كما يلي

— الفيلق الثالث وما زال تحت امرة محمود مختار باشا

— الفيلق الثاني وقلبه في جهة قره أغاج

— بقايا الفيلق الاول الذي شنته مصاب فرق كليسا

— الفيلق الرابع وقلبه في لوله بورغاز

— وفرقة الفرسان عند لوله بورغاز أيضاً

وكان غرض العثمانيين قبل كل شيء ان يحموا سكة حديد الاستانة بعد ان قطع البلغار يون كل صلة بينهم وبين أدرنه في ٢٧ اكتوبر . وقد جعل عبد الله باشا معسكره العام في ساقز كوى ولكنه لم يكن يملك شيئاً من المعدات اللازمة لكل قائد ولا سيما قبل المعارك الفاصلة . فهل سمعتم أو رأيتم في هذا العصر ان قائداً كبيراً لا يجد أمامه تلغرافاً ولا تلفوناً ولا مؤونة ولا قنابل كافية ؟ ان عبد الله باشا كان على تلك الحال (١) وكانت خطته الأصلية في المعركة المذكورة ان يأمر القلب والميسرة بالدفاع ويهاجم عدوه من جهة اليمين (ومما يذكر هنا ان الارض التي كان الجيش العثماني يحتلها هي الارض التي قاوم فيها الجيش الروسى تسعة أيام في سنة ١٨٧٨) . وكان خط المقاومة الذي رسمه واقماً على الضفة اليسرى لنهر « قره أغاج دره سي » على مقربة من المرتفعات التي تشرف على هذا النهر الذي لا يجاز هناك الا على جسور لوله بورغاز وترك بك وجفلك قبه

وكان ابتداء المعركة الكبرى في ٢٨ اكتوبر بين مقدمة العثمانيين وفرسان الاعداء ثم أخذ القتال يمتد ، وفي ٢٩ اكتوبر تقدم القلب والميسرة من الفيلق الثالث فزحف القلب الى « ترك بك » واليمين الى جهة لوله بورغاز . وما حلت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتى أضحى

(١) الكولونل بوكايل

(١٣)

القتال عاماً . ونحو الساعة الثانية بعد الظهر تمكن البلغاريون من أخذ
لولة بورغاز واصعاد بطارياتهم الى الروابي

وكان الفرسان العثمانيون في تلك الساعة يجاهدون لصد البلغار عن
جنوبي لولة بورغاز وهم واقفون ثم امتطوا جيادهم وحملوا حملة شديدة
على صدر الجيش البلغاري ليتمكنوا المشاة العثمانيين من احتلال الروابي
المهددة . وبعد ان اتموا مهمتهم عادوا الى وراء

وما حلت الساعة الخامسة بعد الظهر حتى هب الفيلق العثماني الرابع
الى الهجوم على لولة بورغاز فطرد منها البلغاريين . ثم عاد فتركها واحتل
المرتفعات فبنيت لولة بورغاز تلك الليلة خالية من العدوين

أما في جهة قره أغاج حيث كان قلب الفيلق الثاني فقد نجح
البلغاريون قليلاً . ولكن العثمانيين عادوا فهجموا عليهم نحو الساعة
الرابعة بعد الظهر فارجعهم الى موقفهم الاول . ثم عاد البلغاريون الى
هجمة شديدة فاخذوا المواقع التي خسروها

وخلاصة « الحساب » في هذا اليوم أي ٢٩ أكتوبر أن النصر بقي

يتراوح بين العدوين

في ٣٠ أكتوبر — بدأت الذخائر تنفذ عند ثلاثة فيالق عثمانية وهي
الاول والثاني والرابع . فاصبح أمل عبدالله باشا وناظم باشا (الذي حضر
من الاستانة) منوطاً بالفيلق الثالث الذي صدر اليه الامر بالهجوم في
اليوم التالي (٣٠ أكتوبر) . أما البلغاريون فقد تعبوا تعباً شديداً . على ان
فيالقهم لم تقتحم كلها معارك ٢٩ أكتوبر بل كان جل التعب مقصوراً
على الجيش الثالث منهم ، وقد وصل جيشهم الاول في اليوم المذكور

واستعدّ للهجوم عند ظهر اليوم التالي فصار في وسعهم أن يعيدوا الكرة على طول الخط وعلى ميسرة العثمانيين عند الضفة اليسرى من نهر أركنه (أرجين)

وكذلك فعلوا . فان ميمنتهم زحفت في ١٣٠ أكتوبر الى الضفة اليسرى من ذاك النهر . ثم أرسلوا جنوداً جديدة لتستأنف الهجوم من جهة لوله بورغاز والجهات الجنوبية فقابلتهم بقايا الفيلق الاول والفيلق الرابع . وكان عبد الله باشا لسوء الطالع لا يستطيع ارسال نجدات جديدة الى هذين الفيلقين ، وما زال جل اعتماده على الفيلق الثالث الذي تقدم ذكره وعلى الفيلق الثاني الذي أمره باستئناف الهجوم على قره أغاج رجاء ان يعضد بعمله الفيلق الثالث

وما صدر الامر الى الفيلق العثماني الثاني بالهجوم حتى تقدمت بطارياته بحزم وبسالة لحماية مشاته ومساعدتهم على التقدم لكن البطاريات البلغارية كانت أقوى منها فاسكتتها بعد حين ، وبقي المشاة العثمانيون يزحفون فاخذوا بعض المواقع البلغارية الامامية ، ولكنهم ما لبثوا ان وقعوا بين نيران المشاة والبطاريات البلغارية فاضطروا الى الرجوع بعد خسارة عظيمة وقد حاولت بعض البطاريات العثمانية الاخرى ان تحميم ساعة التقهقر فلم تفلح لان مدافع البلغاريين كانت تفعل فعلاً ذريعاً

وكان الفيلق الثالث في ذاك الوقت يحاول الوصول الى بيكار حصار وييدي من البسالة ما اعترف به الاعداء ، ولكن الجنود البلغارية التي كانت تحت امره الجنرال كريستوف أفلحت في صدده فحاول الفيلق العثماني الثاني ان يعضده مرة أخرى فلم ينجح

غربت الشمس وخيم الفسق في ذاك اليوم الاسود ، والذخائر نادرة
لدى الجيش العثماني ، والتعب شديد فاتك ، والنجدات غير موجودة ،
والجوع يأكل من احشاء الجنود . وما كان أحد يظن انها تصبر على
تلك الوقعة الهائلة وان معظمها يدافع ذاك الدفاع الحسن وأمامها ثلاثة
أعداء : الخلل والجوع والجيش البلغاري

ولزيادة نكد الدنيا عليها ان الجيش البلغاري الثالث أراد نحو الساعة
التاسعة مساءً ان يوالي الهجوم ليزيد الجيش العثماني ضعفاً في جهة ترك بك
فشاء سوء الطالع ان تكون في تلك النقطة بقايا الفيلق الاول الذي فقد
قوته المعنوية بعد قرق كليسا فما ظهر البلغاريون حتى غادرت تلك البقايا
موقعها ، وما حلت الساعة الحادية عشرة مساءً حتى كانت الجنود البلغارية
على المرتفعات التي تشرف على ترك بك ثم اجتازت نهر « قري أغاج
درهسي »

٣١ أكتوبر - وفي صباح اليوم التالي أخذ البلغاريون يوسعون
الفرجة في مقدمة الجيش العثماني . ونصب الجنرال كوكاتشيف مدافعه
على المرتفعات وأخذ يضرب ميسرة الجيش العثماني فلم ترَ بداً من التقهقر
نحو جورلو (تشورلو)

على ان محمود مختار باشا قائد الفيلق الثالث لبث يقاوم من الجهة
الشرقية برغم ما جرى ، حتى كان موضوع الاعجاب هو ورجاله (١)

(١) روى سير أشميد بارتلت ان الفيلق الاول هو الذي أصيب بالرعب
في قرق كليسا . أما الفيلق الثالث الذي قاده محمود مختار باشا فلم يكن معظمه في
ذاك الموقع كما قيل لانه لو فقد قوته المعنوية لما استطاع ان يظهر تلك البسالة ولا صابه
ما أصاب بقايا الفيلق الاول

الا ان البلغاريين الذين ظفروا في جهة القلب هاجموا من الجهة اليمنى ثم
ارسلوا فرقة احتياطية من الجهة اليسرى الى قوة الجنرال كريستوف ،
فرأى حينئذ محمود مختار باشا ان الاعداء كادوا يحيطون به فاصدر أمره
الى فيلقه بالتقهقر وبقي النظام على ما يرام بين صفوفه ، بعكس ما جرى
في بقية الجيش

أما خسارة العثمانيين في تلك المعركة الهائلة فيقول الكولونل بوكايل
انها تبلغ على التعديل المتوسط الخالي من كل مبالغة نحو ٢٥ الف رجل بين
قتيل وجريح ونحو ٣٠٠٠ أسير و٤٢ مدفعاً . وأما خسارة البلغاريين فتبلغ
نحو ١٥٠٠٠ (وبعض المراسلين يقول انها أعظم من هذا العدد) . ومما
يذكرونه ان عدد كل من الالايين الاول والثاني من مشاة البلغار نزل
مساء ١٣ أكتوبر من ٧٠٠٠ الى ٧٠٠ رجل

وفي خلال تلك الاحوال ورد على البلغاريين ان الصربيين انتصروا في
معركة فاصلة بقومانووا (كومانوفو) وانهم يقدررون على ارسال جيشهم
الثاني الى أدرنه لمناصرة البلغاريين حول ذاك الموقع ، فجاء هذا الخبر
برداً وسلاماً على قلوب البلغاريين لان ارسال الجيش الصربي الثاني
يمكنهم من أخذ فرقتين من الجيش المحاصر لأدرنه . وكانت حكومتهم
وقتئذ تنفذ أمراً صادراً في ٢٥ أكتوبر بدعوة طبقتين من الرديف
(١٩١٢ و ١٩١٣) عدد رجالهما نحو ٨٠ ألفاً



﴿ بعد لوله بورغاز ﴾

—٨٠—

تقدم ان الفيلق العثماني الثالث اتجه نحو جتالجه بترتيب ونظام ، وظهر من عدد المدافع التي غنمها البلغاريون بعد المعركة الكبرى ان معظم المدافع العثمانية بقي مع الجيش العثماني المتقهقر كما يؤخذ التحقيق الذي أجراه السكولونل بوكايل قبل تأليف كتابه عن الحرب البلقانية . ثم ظهر من كلام هذا الكاتب الحربي المحقق ان البلغاريين لم يزحفوا لا في اليوم التالي ولا في الثالث ولا في الرابع وراء الجيش العثماني لمطاردته خلافا لما ذكره مراسل الريشبوخت وغيره . فان هذا المراسل (الذي روى في أوائل الحرب ما يعتمد عليه وما أيده سائر المراسلين) اعتمد على خبر في جريدة مير البلغارية فبنى عليه وصف معركة هائلة بعد لوله بورغاز ولكن مراسلي التيمس والطان ما لبثا أن كذباه ثم أصدر أركان حرب الجيش البلغاري موجزاً للأعمال الحربية اتضح منه ان الجيش البلغاري لم يتأثر العثمانيين وان هؤلاء لم يضطروا الى اقتحام أية معركة في مدة تقهقرهم الى جتالجه . قال مراسل التيمس ان البلغاريين لم يزحفوا من لوله بورغاز الا بعد ستة أيام من يوم المعركة الكبرى ، وان مؤخرة الجيش العثماني المؤلفة من فرقتين تركت جورلو من غير ان تطلق رصاصة واحدة في مدة ستة أيام ، وفي اليوم السابع أخذ البلغاريون يزحفون ، وكان الفرسان العثمانيون المعروفون باسم « الفرقة المستقلة » لا يزالون في جورلو فسادوا أمامهم .

وهذا كله رأيته بعيني وكدت أقع من أجله في ميد طوافة من البلغاريين المستطلعين ، ولا شك في ان الجيش البلغاري أضاع فرصة من أجل الفرص التي تسنح لجيش منصور . وما ذاك الا لان باقي الجيش العثماني لبث حزوماً مدافعاً »

وذكر جملةً من الكتاب الحريين (ومنهم الكولونل الفرنسي) ان الاسباب التي من أجلها أحجم الجيش البلغاري عن اللحاق بالجيش العثماني هي عدة . أولها ان التعب نهك أجسام البلغاريين والثاني ان المؤن والذخائر لم تكن كافية لديهم . والثالث انهم كانوا ينتظرون جنوداً جديدة . بعد وصول الصربيين الى جهة أدرنه ، لان جميع الجنود الاحتياطية التي جاءتهم خاضت غبار المعركة الكبرى وخرجت منها بعد خسارة ومشقة . فوجب عليهم ان يصبروا بضعة أيام قبل الزحف الى جتالجه ولما قرروا الزحف بعد وصول المدد والعدد نظموا جيوشهم ثم قسموها كما يلي

الميسرة - الجيش الثالث ومعه أربع فرق أخرى
الليمنة - الجيش الاول ومعه أربع فرق وعدد من الفرسان
وأبقوا لواء الجيش الثالث معقوداً للجنرال راتكو ديتريف الذي أبدى حزمًا ونشاطاً وكفاءة في المارك الماضية ، ولواء الجيش الاول للجنرال كوتنتشيف

وكان الجيش العثماني لا يزال في تقهقره . فن الجبهة الشرقية كان يسير الفيلق الثالث ومن ضمهم اليه متبعاً طريق سراي وجر كس كوى ، ثم دخل من هناك غابة كثيرة الادغال والاشجار فكان فيها بما من

ومن الجهة الغربية كانت تسير بقايا الفيلق الاول مع الفيلق الثاني والفيلق الرابع متبعة طريق جانطه الى جتالجه . على ان النظام كان مختلفاً فيها بعكس الفيلق الثالث ، ومما زاد الجنود عذاباً فوق عذاب التعب والجوع أن المطر بقي يهطل مدراراً سحابة أسبوع حتى كان منظرهم ولا سيما الجرحي يدمي العيون ويفطر القلوب

ولما وصلت الجنود العثمانية الى خط جتالجه قابلتها جنود أخرى جديدة من أرضروم وأزمير وسوريا وعدد قليل من الضباط وبينهم عدد من الضباط الالمانيين ، وأخذ ناظم باشا زمام القيادة الفعلية ، وأصبح ارسال الميرة مؤكداً مضموناً لقرب الجيش من الاستانة ، وضربت الخيام في جهات كثيرة . ثم عززت البطاريات باتنين وخمسين مدفعاً من مدافع كروزو الفرنسية ، وهي التي كانت مرسلة الى الصرب قبيل الحرب فاستولى عليها العثمانيون في الطريق

ثم وحدث لسوء الحظ ان الكولرا ظهرت بالاستانة في تلك الاثناء فانتقلت الى صفوف الرديف في جتالجه ، وظهرت معها الدوسنطاريا فاودت بنفوس كثيرة

وليس بنا حاجة الى القول ان خبر رجوع الفيالق العثمانية الى باب الاستانة بعد الخطب الجلل الذي أصابها في لوله بورغاز أحدث هرجاً ومرجاً فيها بل في العالم الاسلامي كله ، وأخذ قوم في الاستانة ينصحون للحكومة بان تفعل فعل ملوك البلقان فتعلن الجهاد . ولكن وزارة كامل باشا (التي خلفت وزارة مختار باشا) أبت ان تنهج هذا النهج واكتفت بان ترسل عدداً من العلماء الى جتالجه ثم نشرت بلاغاً رسمياً في

هذا الشأن قالت فيه « ان مئة عالم من الفصحاء وذوي الحجة الدامغة يجتمعون في جتالجه ليحضوا الجيش على وجوب الجهاد ويمزوا قوته المعنوية » ، وهنا تترك الكلام للمسيوستان لوزان رئيس تحرير الماتين الذي كان في الاستانة ليصف لنا الحالة فيها . قال في مؤلفه عن الحرب

« وصل خبر المصائب الجلل الذي حلّ بالجيش العثماني في لوله بورغاز الى لندرا وباريس قبل ان يصل الى الاستانة نفسها . فانه لم يتصل بالسفارات الا في هزيع متأخر من ليل الاحد ٣ نوفمبر ، ولم يعلم الترك متسع الخطب الا صباح الاثنين (أي بعد المعركة باربعة أيام) حين صدر البلاغ الرسمي وكانت السماء غائمة محزنة في ذاك الصباح ، وهاك معنى البلاغ

« ان النجاح في جميع الانحاء وقت الحرب أمر غير ممكن ، والامة التي تخوض حرباً يجب عليها ان تقبل مع الحزم التام جميع النتائج التي تنجم عنها ، وهو مبدأ لا يجوز اغفاله أو نسيانه . وعليه يجب اجتناب الغلو في الطرب عند النجاح كما يجب التزام الحزم والصبر عند الفشل . فان جيشنا مثلاً بقي منصوراً في مقاومة البلقانيين المتحالفين بجهة يانيه وجهة أشقودره . ولكن الجيش الشرقي في جهات ويزه ولوله بورغاز رأى ان ينقهقر الى جتالجه ليكون أقوى على الدفاع منه في تلك الجهات . وانه لمن المقرر الطبيعي أن نبذل كل ما في وسعنا لصيانة مصالح الوطن » صدر هذا البلاغ الرسمي ، وفي يوم صدوره أخذت المحطة تلفظ

على العاصمة العثمانية جموعاً من ذوي الاعضاء المبتورة والجسوم النحيلة الدامية ، فينسلون في الشوارع والرحبات العامة وهم صفرٌ عاطلو الوجوه من نور الصحة ، وبردٌ نوفمبر يقرس جلودهم : أولئك هم جرحى

الحرب ، يقصون من أخبارها ما يحزن القلب ويورث الكرب ويمثل
نصب العيون مجمل أهوالها . واني لا أزال أسمع حتى الساعة صوت شاب
في المستشفى الفرنسي اسمه رياض بك يقص عليّ ما رأت عيناه من
المشاهد . وحكاية هذا الشاب انه ذهب مع وفد الصليب الاحمر الى ساحة
القتال للعناية بالجرحى ، ولكنه لم يستطع ان يضبط عنان شوقه الى القتال
حين دوى المدفع في لوله بووغاز فنزع من ذراعه شارة الصليب الاحمر
وأخذ بندقية احد العساكر وهباً يقاتل كسائر الجنود ، فصابته
رصاصة كسرت كتفه فتقهقر ، ثم أرسل مع العائدين الى الاستانة ، وكان
من قوله لي « اننا لم نخط في الوحل بل كنا نخوض بحيرات من الدماء .
ولما دخلت أحد الخنادق التي كان يحتلها البلغاريون وجدتني على آكام من
الجثث ان جنودنا البائسين يحتاجون الى القوت ، فقد رأيت بينهم
من بقي أربعة أيام بلا أكل فكيف تطلب من أمثال هؤلاء قوة معنوية
ما داموا لا يملكون قوة جنائية ؟ ... زد على هذا كله ان الامراض
ستنضم الى ذاك المذاب لان سهل جورلو يشبه مستودعاً كبيراً من
الاشلاء ... »

« غير ان حكايات المتقاتلين على هولها لم تكن أدعى الى الحزن
من المشهد الذي وقع تحت أنظارنا . فان سكان الاستانة يبلغون نحو
مليون و ٥٠٠ الف منهم نحو مليون من الاروام واليهود والشرقيين
والاوربيين ، فلا يمكن مع هذا الاختلاط ان ترى وحدة نفسية بينهم ،
بل نحن لم نرَ العطف الذي يحق لامة منكوبة ان تراه ، فانك لم تجد
يونانياً (عثمانياً) رضي بان يقفل دكانه ولا شرقياً كفَّ عن الذهاب الى

قهوات الرقص ، ولا فندقاً أوروبياً فكر في منع الرقص ساعة تناول الشاي . بل كنت ترى الجرحى المرتجفين برداً الممتنعين لوناً يسرون في جهات « ييرا » على ألحان الموسيقىات وخطرات الراقصين والراقصات بل كنت ترى ما هو أقبح من ذلك كله ، ترى أناساً يرقبون أخبار فشل الجيش ليذيعوها في الانحاء وبعضهم كان يستنبطها . ألا ان تركيا لا تستحق هذا كله — لا تستحق ان تصاب بالفشل في عاصمتها ومن أيدي سكانها قبل ان تصاب بسيف عدوها . فيا لها من عبرة للذين شهدوا تلك الساعات الفاجعة . . . فعلينا ان نتذكرها ، وان نقيم حراسة قوية حول وطننا فلا ندعن الا جانب يزدحمون . معنا جنباً الى جنب ، ولا نكتفين بحماية تجارتنا وقت السلم من الغزوات الخارجية بل يجب ان نصون وحدتنا النفسية ليكون فرحنا أو حزننا واحداً في وقت الحرب »

ثم وصف جموع المهاجرين الذين قدموا من تراقية وصفاً يثير الشجون ويسيل الشؤون ، فقال ان بينهم عدداً كبيراً من النساء والاطفال وهم على أسوأ حال ، وانهم كانوا ينامون في الشوارع والساحات وحول المساجد فلا يجدون من سقف سوى السماء ولا غطاء سوى الهواء حتى خيل للناظر انه رجع الف سنة الى وراء ، أو انه يشهد هجرة الفوليين القدماء . فلما رأت الحكومة ذاك المشهد الاليم أخذت تهتم بتسفيرهم الى جهات أشقودره وبروسه وشواطيء البحر الاسود

أما سفراء الدول فانهم اغتتموا فرصة لوله بورغاز ورجوع الجيش العثماني الى جتالجه ليطلبوا من حكوماتهم زيادة البوارج الحربية الرئيسية في قرن الذهب أمام الاستانة ، فلبت حكوماتهم هذا الطلب وأخذت

البوارج ترد مختلفة الرايات على مياه البوسفور ، وصار هذا الاسطول المختلط يُنزل الى المدينة بعد الظهر من كل يوم ٢٠٠ بحري، ورأينا الطرادة الانكليزية « يرموث » تخاطب بتلغراف ماركوني محطة بولدو في انكلترا وتتلقى به خلاصة الحوادث السياسية والمالية والرياضية حتى نتيجة لعب الكرة وكان الانراك ينظرون اليهم بعين الصابر الحزين ولما ارسلت فرنسا البارجة المسماة « ليون غمبتا » ذهب جماعة من شبانهم الى السفارة الفرنسية وذكروا الجمهورية (١) لان اسم غمبتا هو عنوان الدفاع عن الوطن وأما كامل باشا الذي كان صداراً أعظم يوم لوله بورغاز فانه لما علم بالخطب مساء ٣ نوفمبر قال لمن اخبره به « كنت أفضل الموت على سماع هذا الخبر » ثم جمع مجلس وكلاء الدولة وقرر معه أن يطلب تعضيداً وأوروبا في ايقاف ربحي القتال . وأمر نوردنجيان افندي وزير الخارجية بالذهاب الى السفارة الفرنسية ليطلب بواسطتها الى الموسيو بوانكاريه رئيس الجمهورية الحالي ان يسعى لدى أوروبا في ايقاف الحرب ، فذهب الوزير وهو عالم ان هذا السعي لا يجدي نفعاً ، وان الحرب ستبقى حتى يعترف أحد الفريقين بالعجز ، وقال في حديث رواه رئيس تحرير الماتين « لو كان هذا الوقت وقت السخر والتهم ، لا كتفيت بان الصق على جدران الاستانة وأنشر على صدور الصحف التركية ذاك البلاغ الذي قالت فيه أوروبا انها لا تسمح بأي تغيير في أراضي البلقان ، ثم أزيد عليه صور سبع وعشرين معاهدة عقدتها الدول الأوروبية وضمنت فيها سلامة الاراضي العثمانية » ، ثم روى ما جرى بعد أن قهر جيش أدهم باشا اليونان سنة ١٨٩٧ ، وهو « أن قيصر

(١) عن الموسيو استفان لوزان أيضاً

الروس أرسل وقته الى السلطان المخلوع تنغرافاً خاصاً طلب فيه إيقاف الجيش العثماني الذي كان مستعداً للزحف على أثينا، ثم ذهب سفراء الدول أنفسهم الى وزير الخارجية العثمانية للتناقش معه في مسألة الصلح . فهل كان هذا كله من الحقوق الدولية ؟ ان الحقوق الدولية تغير بتغير الازمان والامم والمخاوف التي تداخل أوروبا من الغالب أو من نفسها »

ولما ذهب السفراء بعد ذلك الخبر الايم لمقابلة كامل باشا ومفاوضته في شأن الامن قال لهم « اني سأدافع عن النظام في الاستانة حتى النهاية اما اذا سمحت الدول بغزو الاستانة واستولى اليأس على الاهالي فاني ألقى تبعة ما يجري حينئذ على وجدان اوربا . ولا تحسبوا اني اترك الاستانة مع سلاطاني، فهو يفضل ان يُقتل في قصره وانا أفضل ان أقتل في ديواني على مزيلة الاستانة »

فأثر كلام هذا الشيخ الذي يضع احدي رجله عند باب القبر في سفراء الدول العظمى . غير انه لم يذهب بخوفهم ولم يخفف من قلقهم . ولما اشتد دوي المدفع في جتالجه انزلت بوارج الدول جنوداً لحماية الاحياء والمصارف والسفارات والقنصليات . ثم عادت فاسترجعتها

تلك حاله الاستانة بعد لوله بورغاز ، فنحن ندعها الآن مع مشاغله السياسة ومفاوضاتها المتواصلة للدول لئلا يرى ما جرى في جتالجه نفسها بمد وصول الجيش العثماني وزحف الجيش البلغاري

مناجاة

جتالجه ، اسم ملاء الدنيا فكم تداولته السنة الملايين في العالمين ، وم

خفقت لذكره قلوب ، وجاشت مطامع ، وقلقت أفكار ، واشترأبت أعناق
وشخصت أبصار ...

جتالجه ، لا عجب في بلوغ العناية بكِ ذاك المبلغ فأنت الحاجز الوحيد
بين الاعداء المنصورين ودار الخلافة ، وعاصمة السلطنة ، ومدينة الذهب
وملتقى البرين والبحرين ، ومركز فروق ، والموقع الذي اهتزت له أوروبا
يوم بلغه الروس سنة ١٨٧٨

تالله لقد أصبح العثمانيون وكأنهم في حلم يوم زحف الجيش البلغاري
الى ذاك الموقع ، وأخذوا يسمعون ما لم يكن يخطر في خاطر ولا يفكر فيه
فاكر -- يسمعون الناس يتساءلون « لمن تكون الاستانة » ثم يسترسلون
الى التكهن والتخمين على صفحات الجرائد الكبيرة ، فواحد يقول قول
الموسيو بوانكاريه ان الاستانة وما حولها تبقى لتركيا ، وآخر يقول بل
تعطى للبلغار ، وثالث يقول لا بل توضع تحت حماية الدول وتكون
أمانة مستقلة ، ورابع يرى انها ستكون لروسيا
- اللهم اشف المريض واجعلهم من المخطئين ...



﴿ معارك جتالجه ﴾

—•••—

تركنا الجيش العثماني فيما تقدم بهم بضم شمله وتعزيز قوته وتحصين خط الدفاع في جتالجه ، وتركنا الجيش البلغاري زاحفاً نحوه بعد أن وقف بضعة أيام للأسباب التي أوضحناها في باب سابق

ويحسن بنا قبل الكلام على معارك جتالجه ان نصف ذاك الخط بإيجاز . قال الكولونل بوكايل ان خط جتالجه — أو بالأولى — خطوطها الدفاعية هي عند الجانب الشرقي من واد هناك واقع بين بحيرة جكمجه وبحيرة ترقوس . والمسافة بين البحيرتين ٢٥ كيلو متراً ، وأعلى نقطة من الوادي واقعة عند قرية اسمها بالتركية طاغ يكي كوى . والوادي يحتوي على منطقتين من المستنقعات

ولما نشبت الحرب الروسية العثمانية حصنت الدولة تلك الخطوط ببعض التحصين . ثم زادت تحصيناً بعد سنة ١٨٧٨ تحت مراقبة بلوم باشا . وأهم خط منها يجاور ربوة يبلغ ارتفاعها عن البحر ٢٠٠ متر ، ويمتد من شرقي بحيرة جكمجه الى جهة قره برون شرقي بحيرة ترقوس عند البحر الاسود

وفي سنة ١٨٨٣ طلبت الحكومة العثمانية الى الجنرال بريالمون أن يرسم خطة دفاعية دائمة للاستانة فنصح لها بان تحول خمسة حصون صغيرة الى حصون حديثة هناك ، على ان قلة المال حالت دون العمل بنصيحته فبقيت

حصون جتالجه كما كانت . وما اهتمت الحكومة العثمانية بها اهتماماً صحيحاً الا في النصف الثاني من شهر اكتوبر أي بعد اعلان الحرب ، فنصبت المدافع وحفرت الخنادق بين الحصون ، على ان مدافع الحصار كانت قليلة

وقبل وصول الجيش البلغاري رتب ناظم باشا الفيالق على تلك الخطوط فوضع الفيالق الاول في جهة أحمد باشا وهي أقل استهدافاً من سواها لنيران العدو . ووضع الفيالق الثاني في الجهة الممتدة من أحمد باشا الى البحر الاسود . وأوقف الفيالق الثالث أي فيلق محمود مختار باشا في أشد المواقع خطراً ، وأبقى الفيالق الرابع احتياطياً وراء الفيالق الثاني ، وترك الرديف الاحتياطي وراء الفيالقين الثالث والاول ، أما المعسكر العام فكان في خادم كوى

نلتفت الآن الى البلغاريين . فانهم بعد ما وقفوا الى ٦ نوفمبر عمدوا الى التقدم نحو جتالجه فزحف جيشهم الثالث الى جركس كوى وسترانجه . وتقدم جيشهم الاول من الجهة اليمنى وبلغ قلبه جورلو . وسارت بعض فصائل الى جهة بحر مرمره لتحتل جهات رودوستو ، وكانت رودوستو مستودعاً لمقدار عظيم من المؤن والذخائر وقاعدة لغذاء الجيش العثماني في تراقية ، وكانت البوارج مسعودية وحميدية وعصر توفيق تحميها مع طابور من الجنود ، وما وصلت طلائع البلغاريين في التاسع من اكتوبر حتى أخذ العثمانيون يستعدون لنقل مؤنهم وذخائرهم ، ولما هجمت القوة البلغارية عليها في ١٠ نوفمبر كانت منقولة الى البحر ، ولم يتمكن العثمانيون من

الدفاع قبل ثقلها الآ بفضل بطاريات البوارج المذكورة، ولم يقدر البلغاريون على دخولها الآ في ١١ أكتوبر أي بعد ان تركها العثمانيون وأخذوا ما كان فيها

وفي ذلك الوقت نفسه كانت قوة بلغارية زاحفة على نهر مريج فاحتلت ديمتوقه وصوفيلو

على أن الجنود العثمانية لم تحاول ان توقف الجنود البلغارية في جهة من تلك الجهات . وما توالى المناوشات بين طلائع العدوين الا منذ ١٢ أكتوبر بعد ان احتل البلغاريون سيلوري ليدفعوا فيها عن ميمنة جيشهم اذا تمكن العثمانيون من انزال قوة عن طريق البحر

ثم قضى البلغاريون ايام ١٤ و ١٥ و ١٦ نوفمبر في استطلاع طلع العثمانيين وتعرف مواقعهم ، ومواضع مدافعهم ، والاماكن التي يحسن فيها نصب المدافع البلغارية ، وسائر ما يجب العلم به قبل المعركة . ثم عزم اركان الحرب أن يجعلوا هجومهم من جهتين ، احدهما جنوبية والثانية شمالية ، وكانت المواقع التي اتخذها البلغاريون تملو مواقع العثمانيين بنحو مئة متر فتمكنهم من رؤية ما يجري في الصفوف العثمانية ولكن المسافة كانت واسعة بينهم في بعض الانحاء

وبينما كان الجيشان واقفين على تلك الحال ومستعدين للقتال كانت وزارة كامل باشا تسعى في عقد هدنة ، فأمرت القائد العثماني العام بأن يرسل مندوباً يطلبها من قائد الجيش البلغاري . ولما وصل المندوب الى معسكر البلغاريين أجاب قائدهم بان الأمر منوط بحكومته فيجب ان تكون المفاوضات في هذا الشأن بين الاستانة وصوفيا ، وربما كان ارسال

هذا المندوب باعثاً على اعتقاد القواد البلغاريين ان الحكومة العثمانية ما ارسلته الا لشدة اقتناعها بأن الجيش العثماني أضعف من أن يقاومهم، وان هجمة قوية تكفي لتبديد شمله

معركة ١٧ نوفمبر

ولما كان اليوم السادس عشر من نوفمبر تمت اهبة البلغاريين ، وفي ١٧ منه تقدم قسم من الجيش البلغاري الاول ونشب قتال شديد قاوم فيه العثمانيون مقاومة لم تكن في حسابان البلغاريين ، ومما يدل على شدته في الجهة الشمالية أن البلغاريين غنموا عدداً من المدافع ثلاث مرات وخسروها ثلاثاً ، لانها كانت بلا خيل ولان العثمانيين تفانوا في سبيل استبقائها . ثم غربت شمس ١٧ نوفمبر والعدوان في المواقع التي كانوا فيها عند الصباح . وكان من أهم العوامل في صد هجوم البلغاريين مساعدة البارجتين مسعودية وبرباروسا من خليج چكمجه

تلك نتيجة هجوم الجيش البلغاري الاول أما الجيش البلغاري الثالث فقد كان هجومه اشد من هجوم الجيش الاول واصابته خسارة عظيمة لان البطاريات العثمانية كما قال الكولونل بوكايل كانت سديدة الرماية . وحدث ان الفرقة البلغارية الثالثة وقمت بين نارين فكان هذا الخطاء وبالا عليها . ولما رأى قائد الجيش المذكور ان جنوده لم تتقدم نهائياً الى حيث اراد ، أمر بعض فرقها بان تنابر على الهجوم ليلاً فاستولت على لازار كوى وما فيها من الخنادق العثمانية ولكن محمود مختار باشا قائد الفيلق الثالث اغتم فرصة الضباب صباحاً فحمل عليهم حملة صادقة وطردهم من الخنادق

ولشؤم طالعهم في تلك الواقعة ظنتهم بطارياتهم من العثمانيين وأخذت
ترميهم بالقنابل . . . فذعروا وتبعهم العثمانيون ، لكنهم عادوا فضموا
اطرافهم وجمعوا قواتهم

أما خسارة البلغاريين فيقول الكولونل بوكايل انها بلغت في
اليوم المذكور ١٠٠٠٠ رجل بين قتل وجريح ، وأما خسارة العثمانيين فقد
كانت عظيمة الا انها أقل من خسارتهم ، والمستفاد من أقوال الاختصاصيين
عن تلك الواقعة ان البلغاريين لم يكونوا راغبين في هجمة عامة فاصلة بدليل
أن جانباً من قواتهم لم يقتحم نار القتال ، بل أرادوا أن يعرفوا مبلغ القوة
العثمانية فتحول عملهم الى معركة دموية كبيرة عرفوا منها أن الجيش العثماني
المرابط هناك لا يسهل قهره . وكانوا يعلمون فوق ذاك كله من الوجهة
السياسية أنهم وان دخلوا الاستانة لا يستطيعون البقاء فيها ، لان الدول
حتى روسيا حامية الصقالبة تضطرم حينئذ الى تركها . فعلى ما اذاً يفنون معظم
جيشهم عند بابها ؟ أجل ان أخذها بالسيف يسهل عليهم اشتراط ما يريدون
من شروط الصلح ولكن ما يستفيدونه لا يضاهي ما يخسرونه على
اقتراض انهم يفلحون

وزد على ذاك كله ان المفاوضات في شأن الهدنة كانت جارية بين
الاستانة وصوفيا ، فقد روى رئيس تحرير الماتين ان كامل باشا كتب الى
ملك البلغار نفسه في هذا الشأن . فليس من الحكمة ولا من اصالة
الرأي ان يواصلوا القتال ما دامت يد السياسة تعمل على انغماد السيف
لتلك الاعتبارات ولعلمهم في يومي ١٧ و ١٨ نوفمبر ان الجيش العثماني
الذي قابلهم في جتالجه هو غير الجيش الذي قاتلوه وقهروه في قرق كليسا

ولوله بورغاز، ولكون طبقة ١٩١٢ - ١٩١٣ من جنودهم لم تصل ولم يكونوا ينتظرون وصولها قبل أواخر نوفمبر - قرروا ان يتقهقروا الى مواقع تبعد عن مواقع العثمانيين مسافات تختلف بين ٥ و ٧ كيلومترات على ما جاء في كتاب الكولونل بوكايل . وكان تقهقرهم على مهل في ١٩ و ٢٠ و ٢١ من نوفمبر تحت حماية مدافعهم ومؤخرتهم وكان العثمانيون يلاحقونهم ويناشون الفرق المتأخرة منهم ، وقد دهش قواد الجيش العثماني من هذا التقهقر لانهم كانوا يتوقعون هجمات ترخص فيها الارواح ولا سيما في جهة الفيلق العثماني الثالث . وكان ناظم باشا القائد العام برغم هذا النجاح يهتم كل الاهتمام بانشاء خطين جديدين للدفاع وراء جتالجه لان ثقته بالنجاح النهائي لم تكن قوية راسخة

﴿ مرجع محمود مختار باشا ﴾

في جناحه

تقدم لنا ان الفيلق الثالث الذي كان يقوده محمود مختار باشا فعل افعالاً توجب له الشناء الجميل ، جدير بنا أن نخص قائده الباسل بكلمة مستمدة من اقوال الماجور فون هوشوخرت الالماني الذي كان معه في جتالجه ، قال ما خلاصته

سرت مع محمود مختار باشا وكال بك وكاظم بك وصلاح الدين بك وناظم بك قاصدين الخط الأول لان الباشا اراد ان يرى بعينه طريقة

تنظيم الدفاع ، وكان الرصاص يصفر فوق رؤوسنا واتفق أنا وأينا ببعض
افراد متقهقرين فدفعناهم الى الامام ثم تقدمنا عدواً على جيادنا وصغير
الرصاص لا ينقطع فوق رؤوسنا حتى وصلنا الى مأمن عند الحصون .
وانا لو اقفون هناك اذا بعدد من الجنود المشاة نهضوا واقفين حولنا
فصاح فينا ناظم بك « البلغار البلغار » . فلحظت القبعات الروسية على
مسافة عشرين متراً منا . ثم وقف ضابط بلغاري وقال « مكانكم ... » ،
وكان قريباً مني الى حد اني استطيع معرفته اذا وقف اليوم امامي .
فادرت عنان حصاني ورأيت محمود مختار باشا وكال بك يعدوان الى الجهة
اليسرى ، وصالح الدين يعدو امامي ، وكاظم بك ورأني . وبعد قليل وقع
صالح الدين عن جواده فظننت انه سقط قتيلاً ، ثم سمعت وقع جسمان
فالتفت فاذا كاظم بك على الارض ثم حولت نظري الى الباشا فرأيت
جواده مقتولاً وهو يمشي كالأعرج ، ولم يكن في وسعي أن امد
له يدي لأنني كنت مستهدفاً كل الاستهداف للعدو من الجهة اليمنى ،
وفي تلك الساعة خرقت رصاصة « قلبي » العثماني . ثم غاب الباشا عن
نظري فذهبت عدواً الى طاوور رئيسه يفهم الالمانية فكلفته أن يذهب
الى الجهة التي كان فيها الباشا ليأتي به ، واذا كان قتيلاً فليتلقف جثته من
العدو ولا يرجع إلا بها ، فوضعت الجنود حرايبها في بندقياتها وهجمت
مسرعة ، ولكنني لم أجد للباشا أثراً . وبعد البحث عنه نحو نصف
ساعة وجدته على الطريق المؤدي من الحصن الى المستشفى النقال . فلا
تسل عن سروري برؤية رئيسي فاني لشدة فرحي وقفت انظر اليه ولا
انبس بينت شفة ، وأظنه أدرك معني نظرتي ثم تصالحنا بلا كلام ، وكان

مصاباً بثلاث رصاصات وعلى رأسه « قلبق » طيب وعلى كتفيه عباءة جندي ، وعلى وجهه دلائل الألم الشديد . وعلمت انه لما أصيب بالرصاص الأولى بعد قتل حصانه لم ينقطع عن السير ، ولكنه لما أصيب بالرصاص الثانية رمى بنفسه الى الارض ولبث حيناً طويلاً تحت نيران العدو . ثم تقدم اليه جندي رثّ الملابس فطيب نفسه وحمله على ظهره مسافة ٥٠٠ متر ثم القاه في محل أمين وراء ربوة . وبينما كان في طريق الاستانة التقى بعزت باشا رئيس اركان الحرب فأنحى عزت باشا وقبله في جبينه . ولما وصل الى المعسكر العام استقبله ناظم باشا والضباط الذين كانوا هناك . ثم نقل الى الاستانة حيث كان ينتظره ٢٠٠ من اصدقائه فعملت له عملية في المستشفى الالماني أسفرت عن النجاح

الضباط الالمانيون

في جتالجه وغيرها

كثير عدد الالمانيين الذين هرعوا الى مساعدة الجيش العثماني ولا سيما في جتالجه . فمنهم البكباشي هوشوخر (أو هوخوخر كما تلفظ بالالمانية) وهو صاحب التأليف الذي مرّ ذكره ، والقائمقام فون لاسوف الذي كان مع اركان حرب عبد الله باشا ثم استلم قيادة آلاي في جتالجه بناءً على طلب محمود مختار باشا ، والكولونل توتبشفسكي الذي تولى مراقبة اطلاق المدافع كما قيل . والكولونل ويت الذي كان في فرق

كليسا ، والبكباشي ليهان ، والملازم الأول جانوف اللذان ألحقا بركان الحرب في جتالجه ، والملازم فون ريجستر ، والميرالاي بوب والملازم كونيوزر الطيار وغيرهم (١)

وقبيل اعلان الحرب عقد اركان الجيش العثماني عدة اجتماعات حضرها ضباط المانيون وبسطوا آراءهم في شأن الخطة الحربية التي يحسن بتركيا اتباعها

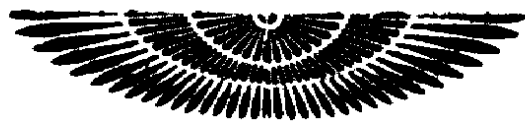
واذا اضفت الى هذا كله ان المدافع والبنادق التي استخدمها الجيش العثماني كانت المانية وان المارشال فوندر غولتز كان رئيس اساتذة الجيش العثماني ، ظهر لك السبب الذي من اجله قام كثير من الجرائد ولا سيما الجرائد الفرنسية ، يعزو الى الالمانيين جانباً من تبعة الفشل الفاضح الذي اصاب الجيش العثماني

على ان الالمانيين يقولون « انا وضعنا النظريات وتركنا العمليات لاركان حرب الجيش العثماني ولحكومتهم . فما ذنبنا ؟ » لا اذا كان ضباط تركيا لم يتبعوا اولاً خطة الدفاع كما رسمناها لهم ؟ وما ذنب بنادقنا اذا كان الرديف العثماني لا يعرف كيف يستخدمها ؟ وأي عيب يلحق بمدافعنا اذا كانت الطرق غير صالحة فلا يمكن تسيير البطاريات فيها واذا كانت ذخيرتها قليلة ؟ ان اهمال العثمانيين هو الذي جرّ عليهم البلاء ونكبتهم باعظم الارزاء »

تلك خلاصة ما يردّ به الالمانيون على خصومهم . وهو لا يخلو من نور الحقيقة ، ولكن هناك امرأ لا ريب فيه وهو ان المدافع الفرنسية

(١) عن هوشوخر

فعلت فعلاً هائلاً ، وان عدداً غير قليل من القنابل الألمانية لم ينفجر ،
وان القنابل التي كانت يطلقها المدفع الفرنسي المعروف بمدفع ٧٥ في
الدقيقة ظهرت اشد فعلاً من مدفع كروب الذي يضارعه في الحجم كما قال
الاختصاصيون الذين حضروا المعارك الكبرى ومنهم كبار قواد الصرب
والبلغار واليونان



حصار ادرنه

وسقوطها

نتكلم هنا على حصار ادرنه ثم سقوطها بعد الهدنة الأولى، فنختم به شرح الاعمال الحربية التي جرت في تراقية بين البلغارين والعثمانيين ثم ننتقل الى ممالك الصربيين والعثمانيين طبقاً للخطة التي رسمناها في تقسيم هذا الكتاب

ما هي ادرنه

ادرنه مدينة قائمة عند ملتقى نهرى مريچ وطونجه شمالاً ونهر ادرا يميناً، طوقها بلوم باشا بستة وعشرين حصناً صغيراً ايام الحرب الروسية العثمانية، وهي—اي تلك الحصون—منشأة على مرتفعات تشرف من الجهتين الشرقية والغربية على مدينة ادرنه نفسها وتتصل بموضع الخط الحديدي الممتد من الجهة الجنوبية الغربية، ولكنها لا تعد القسم الام من القلعة في هذا الوقت

ولما كانت سنة ١٩٠٣ اتسعت دائرة الموقع اتساعاً كبيراً، وانشأت له الحكومة العثمانية حصوناً حديثة محمية ذات ابراج صغيرة في الجهات الشرقية والشمالية والغربية أي أشد الجهات استهدافاً للخطر، وهي تسمى قرتال تبه، وقزال تبه، وشيطان تبه، وطاش تبه، وقوش تبه،

وصرفت عناية خاصة الى المسافة التي بين قرتال تبه، وقزال تبه فحفرت هناك سلسلة من الخنادق وانشأت جملة مواقع دفاعية جعلتها ذات منعة كبيرة

وكان اركان حرب الجيش البلغاري (١) يقدرّون ان العثمانيين يمكنهم وقت الحصار أن يضعوا في حصون ادرنه نحو ٢٠٠ مدفع من مدافع الحصار الكبيرة التي جيء ببعضها من الدردنيل ، و ٣٠٠ مدفع أخرى من مدافع الميدان ، وكان عند العثمانيين ايضاً نحو اربعين منيرة كهربائية (بروجكتور) لاستطلاع طلع اعدائهم تحت جنح الليل ولما اسود وجه السياسة قبيل الحرب ، وجهت الحكومة العثمانية همّة جديدة الى حصون ادرنه فقدّمت لها ما كان يعوزها لاتمام الالهة في الخطوط الاولى ، وحفرت خنادق جديدة لاقامة المشاة ، ونصبت مدافع مغمورة بالتراب على الطريقة الحديثة . ولما هجم الجنرال ايفانوف هجمته الاولى بعد اعلان الحرب رأى مقاومة شديدة من الخطوط الدفاعية الاولى وظهر للبلغاري انها لا تؤخذ الا بالحصار . ومما يجب ذكره فوق ما تقدم ان الاراضي الواقعة وراء قره اغاج من الجهة الجنوبية الغربية هي على مستوى القياس المتوسط لمياه مريچ وان هناك مستنقعات مغطاة بالاعشاب ، فاذا هطلت الامطار في شهري اكتوبر ونوفبر حولتها الى بحيرات صعبة الجاز ، فكانت للعثمانيين هناك معونة كبيرة من الطبيعة نفسها

وصل البلغاريون فاخترّوا ان يعسكروا امام الجهات التي تفوق سواها قوة وتحصناً لان اضعف جهة — وهي الواقعة بين قرتال تبه وقوش تبه — كانت بعيدة عن محطة السكة الحديد فلم يكن في وسع البلغاريين أن ينقلوا اليها المدافع الكبيرة والذخائر وغيرها . وزد على هذا كله ان جميع

(١) عن الكولونل بوكايل

الاراضي لا تصلح لنصب مدافع الحصار . فلهذين الاعتبارين اختار الجنرال ايفانوف قائد الجيش البلغاري حول ادرنه أن يتجه بمظم قوته الى الجهات التي ما بين مريج وطونجه وان كانت الحصون العثمانية هناك منيعة جداً

اما القوات البلغارية التي كانت حول ادرنه فهي ٣٠ مدفعاً (١٢ سنتيمتراً) و ٤١ مدفعاً قصيراً (١٥ سنتيمتراً) و ٤٠ مدفعاً كبيراً من العيار ذاته وسبع بطاريات من طراز ٧٥ مصنوعة على قواعد خاصة ، غير ان الكولونل بوكابيل يقول ان بعض تلك المدافع كان قديماً . اما عدد الجنود فقد كان يختلف بين حين وآخر ، لان اركان حرب الجيش البلغاري كانوا يبدلون ويزيدون وينقصون حسب مقتضى الحال . ولما قهر الصربيون الجيش العثماني الغربي في قوماناوا (كومانوفو) أرسلوا الى جهة ادرنه معظم الجيش الذي كان يقوده الجنرال ستفانوفتش فسافرت حينئذ فرقتان بلغاريتان الى جتالجه . وروى الموسيو دي زيفونزاك الذي كان مع الجيش البلغاري ان الجنود المحاصرة لادرنه لم تبلغ يوماً مئة وخمسين الفاً وان منظر الرديف البلغاري بداله غريباً ، فكان يبصر الشاب بجانب الكهل ، ويجد كلاً منهم على شكل ، بعضهم يلبس الملابس الوطنية ، وبعض يلبس عباءة من جلود الخراف ، وآخر يتشع بيرنس من الصوف الاسمر او الرمادي . وغيره متأنق في لبسه »

على ان روحاً واحدة وغرضاً واحداً كانا يجعلانهم جيشاً ...

اما القوة العثمانية فقد كانت في اوائل الحرب نحو خمسين الف رجل ثم انضم اليها عدد من الجنود ، واستخدم شبكري باشا قائد الموقع كل

رجل عثماني صالح للخدمة في المدينة نفسها . قال خليل بك والي ولاية ادرنه في مقال نشره بعد التسليم « كان في قلاع ادرنه خمسة وسبعون الفاً من الجنود ، وبلغ عدد الاهالي مع الذين هاجروا اليها ١٢٠ الفاً ، وقد لبثنا نعمل هؤلاء كلهم الى اواخر ايام الحصار ، وكان في القرى والساكنر المجاورة للمدينة قدر كبير من المؤن والذخائر ، ولكن هجوم العدو علينا منعنا من نقلها فاستولى هو عليها واطعم جنوده من تلك المؤن زمناً طويلاً » وكان في القلعة ذاتها عدد كبير من الابقار والاعنام فاردنا ان نسوق جانباً منها الى الانحاء الجنوبية فاستولت الجنود والعصابات البلغارية على اكثره عند نقله »

« وكانت القوات العثمانية الموكلة بالدفاع والهجوم مؤلفة من الفرقة النظامية المباشرة تحت قيادة حسام الدين باشا والفرقة النظامية الحادية عشرة بقيادة المير لوا ابراهيم باشا ، والفرقة الثانية من رديف ادرنه بقيادة المير لوا علي ناظم باشا ، وفرقة رديف بابا اسكي الثانية بقيادة الميرالاي نوري بك ، وفرقة النشائية وفرقة كرمليجه بقيادة الميرالاي جلال بك . وطوبجية المواقع »

ثم قال عن المؤونة « كان في القلاع عشرة آلاف كيس من الدقيق ، واتفق ان موسم الحصاد كان في زمن التعبئة وان اصحابه لم يتمكنوا بسببها من ارسال حبوبهم الى الخارج ، فاستفدنا منها وجمعنا عشور مدينة ادرنه وجعلناها وديعة في ذمة الحكومة »

« على ان الملح كان قليلاً في بدء الحصار ، ولم يكن في المخازن العسكرية شيء منه . فلما بلغني هذا الخبر طلبت مقداراً من دده اغاج

ولكن الخطوط الحديدية كانت مشغولة بنقل الجنود وأثقالها ، ولم أنل بعد الجهد الا تسع عربات من الملح باسم الشركة ، وما مضى شهران ونصف او ثلاثة من ابتداء الحصار حتى نفذ الملح »

وكان ستون الف صفيحة من الجبن في مدينة ادرنه ، فلما علم اصحابها بخبر تعبئة الجيش ارادوا تهريبها ثم عرضوا على الحكومة أن تساعدكم على نقلها الى الخارج مقابل خمسة آلاف او ستة آلاف من الليرات ، ولكن حاجتنا الى المؤونة كالدقيق والارز والفاصوليا والسكر الخ ، وعجزنا عن استحضرها من دده اغاج او الاستانة ، وملاحظة أن ذاك المقدار من الجبن ينفع الجنود والاهالي معاً - كل ذلك جعلني امنعهم من نقل اية كمية من الجبن الموجود . ولقد صح ظني فان الجبن كان إدام الجنود والاهالي بعد ان نفذ الملح فكانوا يأكلونه مع الخبز الحلو فيسد بعض الحاجة . اما المرضى والجرحى فقد كنا ادخرنا لهم مقداراً من الملح كفافهم الى آخر أيام الحصار »

ولما صدّ البلغاريون الجنود العثمانية التي كانت في مصطفى باشا وغيرها من الجهات الواقعة خارج القلاع ، اصدر شكري باشا منشوراً قال فيه ان الجنود العثمانية ستقوم بواجب الدفاع حتى النهاية ، وستظهر من الحزم والثبات والشجاعة ما اظهره ابطال بلقنا في الحرب الروسية العثمانية . ثم اوصى الاهالي بالانزام السكون ، وطلب الى السكان الذين لا يملكون مؤونة تكفيهم نحو شهرين ان يرحلوا المدينة . على انهم لم يكونوا يستطيعون السفر جهوراً ، لان الخطوط الحديدية كانت مشغولة ، فبقي في ادرنه اكثر من ثلثي الاهالي ، وبلغ عدد الذين خرجوا من أسر الضباط

وغيرهم نحو اثني عشر ألفاً على رواية والي ادرنه نفسه
غير انه برغم ذاك التدبير أخذ الاهالي يحتاجون الى الخبز في أواخر
أيام الحصار كما روي قنصل فرنسا . ويظهر من حديث والي ادرنه ان
هناك أناساً كانوا يخبثون المؤونة

وصفوة ما يقال من هذا القبيل ان أهالي ادرنه اذا كانوا لم ينجوا
من المضايقة والخاوف الشديدة بسبب اطلاق المدافع واحتراق المنازل
وتهديم بعضها فاتهم لم يقاسوا ما قاساه الباريسيون الذين اضطروا الى أكل
الفئران في حرب السبعين

أما الوجهة الحربية فان المراسلين وغيرهم اعجبوا بها وعدوها مفخرة
لشكري باشا ورجاله . وأول ما نذكره للدلالة على دفاع أولئك الشجعان
القساور شهادة ضابط صربي لمراسل الديلي تلغراف في بلغراد — والفضل
ما شهدت به الاعداء — قال ذاك الضابط ان شكري باشا لا يعرف التعب ،
ولا يترك للمحاصرين ساعة يستريحون فيها ، بل كان سحابة الليل والنهار
يرقب حركاتنا وسكناتنا حتى اعتقدنا نحن الصربيين والبلغاريين ان الرجل
بطل كبير ووطني صادق وصرنا نحترمه وتقدر قدره بعد ما رأينا من افعاله
ولقد هرب في الاسبوع الماضي مثنان من الحامية وسلموا اليها في الجهة
الشرقية . فلما سألناهم اطنبوا في مدح شكري باشا والثناء على همته وديالته
وقالوا انه كان يقضى معظم وقته في جامع السلطان سليم ويراقب منه
حركات الجنود البلغارية والصربية . ثم ختم الضابط الصربي حديثه قائلاً
« ان الدفاع عن ادرنه واشقودره يزين صفحة جميلة من صفحات التاريخ
العسكري العثماني »

وقال مراسل التيمس ان عظمة العثمانيين وعزة انفسهم في الاوقات المحزنة ، لم تبلغنا في وقت من الاوقات الدرجة التي بلغتھا في ادرنه . وإن اصفرار وجوه الحامية ، وملابسھا البالية الممزقة لدليل على الشدة التي قاستھا في أواخر ايام الحصار

وأنشأ المارشال فوندر غولتز مقالة دافع فيها عن شكري باشا وقال « ان ادرنه شرفت العثمانية بقدر ما حطت كارثة قرق كليسا من شأنها . وهذا قول يجب التصريح به لمن يهمهم أمر الوطن العثماني حتى يعلم ابناء العثمانية خاصة والناس عامة ان الجندي العثماني هو أقوى جنود الارض طرّاً بشرط ان ينال حقه من الماء كل والمشرّب والملبس والعدة الحربية ، وھا ان التاريخ يضم اليوم الى صحائفه التي تكتب عن الحرب البلقانية صفحات الخطأ والاهزام الشائن الذي حدث في قرق كليسا وصفحات الجوع وخلل ادارة الميرة في لوله بورغاز ، ولا ينسى صفحات الفخر الكبير لقائد ادرنه وقائد بانيا ، ولا سعد باشا الذي حارب تسع ساعات ونصفاً وهو لا يملك ذخيرة ولا ميرة . فاذا كانت المصائب تعلم الامم وكان صحيحاً أن الامة لاتصلح خللھا الا بعد كارثة شديدة فان الواجب على العثمانيين ان يعتبروا بما فات ليبرهنوا للعالم انهم قريبون من الحياة الحقيقية »

وقرأنا في الجرائد الفرنسية التي صدرت في النصف الاول من شهر ابريل الماضي ان عدداً كبيراً من الفرنسيين عقدوا اجتماعاً في باريس تحت رئاسة الموسيو بويش وزير الاشغال الاسبق فالتقى الاستاذ الفريد دوران خطبة عن تركيا وحالتها ثم طلب الى الحاضرين ان

يوافقوه على ارسال كلمة اعجاب بشكري باشا فوافقوه باجماع الآراء
بين المهتاف والتصفيق ، وكلفوا السفير العثماني ان يبلغ شكري باشا
اعجابهم وميلهم العظمين «للبطل الذي يجب ان تكون شجاعته ومقاومته
مثالا لمن يشغفه حب الوطن في ساعة الخطر »
وروت الثان ان البلغاريين انفسهم لقبوه « باسد ادرنه » .

حسباً ما تقدم من الشهادات الاجنبية . ويجدر بنا ان نذكر لخدمة
التاريخ انتقاداً وُجه على ذاك البطل المقدام وهو انه لم يخرج ايام المعركة
الفاصلة في لوله بورغاز ، مع أن مثل هذا الخروج كان يمكنه ان يفيد الجيش
العثماني فائدة كبيرة لان النصر بقي يتراوح يوماً كاملاً بين البلغاريين
والعثمانيين . وممن اشار الى هذا الاحجام خليل بك والي ادرنه حيث
قال « ان القائد العام طلب من شكري باشا عند ابتداء معركة لوله
بورغاز ان يمدّ جيشاً ويخرج به من ادرنه ليقطع خط الرجعة على
البلغاريين فأبى شكري باشا لاعتقاده ان اتقاص الحامية يفيد العدو »
ثم نقل خالد بك رواية لاحد امراء البلغار قال فيها « لقد خفنا وصول
المدد من ادرنه واخذنا نستعد للتقهقر في لوله بورغاز . ولكننا اردنا اولاً
ان نستطلع طلع الاتراك ، ولما علمنا انهم تركوا مواقعهم وان ادرنه لم
ترسل اليهم نجدات عدنا الى التقدم »

على ان مراسل التيمس في تراقية بعث بمقالة عن حصار ادرنه ذكر
فيها ان شكري باشا لم يقصر في الخروج وانه لما فشل في الانضمام الى
الجيش بعد نشوب القتال في قرق كايسا ، كان السبب في فشله انقطاع

الايخبار لعدم وجود « قلم مخبرات » . فهو قصد الى الجهة التي كان يظن العدو نازلاً بها فوجدوها خالية فذهبت حركته ادراج الرياح . ثم خرج غير مرة قبل تشديد حلقة الحصار ، وحدث عند تقهقر العثمانيين انه خرج ايضاً وكاد الاعداء يدخلون القلاع من خلفه ولكن رفعت باشا ادرك مقصدهم وجمع الطوبجية المسلحين بالقرايينات (لانه لم يكن يثق بالرديف) وزحف بهم الى الجهة التي تقدم منها البلغاريون فانخدع هولاء بهجومه وفشلوا في اغتنام الفرصة فتمكن عندئذ شكري باشا من الرجوع الى مواقعه .

وكان البلغاريون يصرفون الجهد الى اضعاف عزائم الحامية . فن اعمالهم التي ذكرها والي ادرنه والموسيو جينيه قنصل فرنسا الذي كان محصوراً ، أنهم ارسلوا طياراً بعد فشل الجيش العثماني الى ما فوق المدينة فاخذ يرمي عليهم من الجو منشورات جاء فيها ان البلغاريين انما يحاربون الحكومة العثمانية ولا يرتكبون عملاً ضد المسلمين ولا يريدون سفك الدماء بل يرمون الى غرض وحيد ، هو توطيد اركان الأمن في البلقان . ثم ذكروا ان اربع دول احاطت بالاملاك العثمانية في شبه جزيرة البلقان ، وأن بابا اسكي ولوله بورغاز وديمتوقه واسكوب وبرشتينا وقومانوا (اي قومانوفو) والاصونا وغيرها من المدن العثمانية العظيمة اصبحت في ايديهم وتحت سلطانهم ، وأن ادرنه حوصرت من كل جهة فصار من المستحيل ارسال المدد اليها من الاستانة ، وان امام ادرنه الف مدفع بلغاري ، فاذا لم تسلم المدينة كان نصيبها الدمار والخراب

ولما اطلع شكري باشا على تلك المنشورات اصدر منشوراً اظهر

فيه قوة قلاع ادرنه وذكر جملة حوادث فظيعة منسوبة الى البلغار
ومنهم انهم ارسلوا مندوبين الى شكري باشا ليشرحوا له ما اصاب
الدولة العثمانية ويظهروا ان كل مقاومة اصبحت عبثاً وعرضوا عليه أن
يخرجوا الحامية بسلاحها وشرفها العسكري فابلغهم انه يرفض التسليم
كل الرفض . وبقيت الحرب سجالاً فردت حامية ادرنه هجمتين عنيفتين
وهجمات صغيرة لا تعد ، واذا صح ما رواه الكولونل بوكايل فانها
خسرت منذ ابتداء الحصار الى يوم الهدنة (التي أبلغ خبرها الى الحامية
في ٨ او ٩ دسمبر) ١٥٠٠٠ بين قتيل وجريح . وخسارة البلغاريين ١٠٠٠٠ رجل
وفي اليوم العاشر من شهر دسمبر اجتمع المندوبون البلغاريون
والمندوبون العثمانيون واتفقوا على شروط الهدنة

ولما فشل مؤتمر الصلح وألغيت الهدنة (كما ستري بعد نهاية الكلام
على المعارك) عاد البلغاريون الى مهاجمة ادرنه كما عادوا الى القتال في كليبولي
وجتالجه ، فاستولوا على قلعة « مال » . ولما لاح الصباح في ٢٥ مارس
اخذوا يطلقون القنابل من عدة جهات على النقطة التي عينوها للهجوم ،
وكانت البطاريات العثمانية تجيبهم بشدة في جميع الاقسام . ونحو الساعة
الثامنة (١) صباحاً كان الضباب كثيفاً فاضطر الطوبجية الى اسكات
مدافعهم . على ان هذا الضباب ساعد المشاة البلغاريين فتقدموا مسافة
نحو القلاع

وفي المزمع الاول من ليل ٢٦ مارس اخترق الاي بلغاري الاسلاك

(١) التيمس

المنصوبة لصدّ العدو، وقيل ان الجنود التي تولت قطعها كانت تحمل تروساً وتسوق معها عدداً من الابقار وغيرها . ثم هجمت الجنود البلغارية قبل ان يتمّ قطع الاسلاك وهي تصبح صيحة الحرب فصادمتها الجنود العثمانية في القلاع نفسها فقتل كثيرون بالسلاح الابيض ، وما كانت الساعة الثامنة من صباح ٢٦ مارس حتى صارت جميع الجهات الشرقية من حصون ادرنه في ايدي البلغاريين . ثم استمر القتال في الجهات الاخرى حتى تمّ النصر لهم نحو الساعة الثانية بعد الظهر واسروا الغازي شكري باشا واركان حربيه ، وقد تباينت الاقوال في تسليم شكري باشا فادعى الصربيون ان رجالهم أسروه فكذبهم البلغاريون ، على ان شكري باشا نفسه ذكر في حديث تناقلته الجرائد ، أنه سلم الى البلغاريين . وكانت غنيمة هؤلاء مئات من المدافع ، وأسروا نحو اربعين الف رجل (١) ، وارسلوا شكري باشا واركان حربيه الى صوفيا حيث احسنوا معاملتهم ، وأبى ملكهم أن يأخذ منه السيف احتراماً لبسالته ، ولكنهم اساءوا معاملة الاسرى العثمانيين والهبوا اجسامهم بالسياط والحراش على رواية احدى الراهبات ومراسل التيمس ، وليس في هذا العمل — ان صح خبره — شيء من الالباء والانفة التي يجب أن يتحلّى بها الشجعان

وقالت جريدة لوكال انزيجر في وصف ادرنه بعد سقوطها « انها كانت هائجة ماثجة ، وكان البلغاريون والاروام يجمعون على منازل المسامين فينهبون ويسلبون ويرمون من قلوبهم بالرصاص حتى كنت ترى جثث القتلى متراكمة في الشوارع . وذكر مراسل التيمس ما يدل على وقوع

حوادث فظيعة بمد سقوط المدينة ، ولكن النظام ما لبث ان توطد في انحاءها ، ودخلها ملك البلغار فزار جامع السلطان سليم الشهير وكان الاهالي البلغاريون والاروام واليهود يستقبلونه بالاعلام والرياحين . اما خسارة البلغاريين والصربيين في تلك الهجمات فيرى المراسلون الحريون انها بلغت نحو ١٥ الف رجل على اقل تقدير . واما خسارة العثمانيين فهي ما بين ٧ و ١٠ آلاف . ومما يحسن بنا التنبيه اليه عند تقدير الخسارة ان البيان الرسمي الدقيق لكل معركة لم يتصل بنا حتى الآن . وان القواد العثمانيين لم يهتموا باحصاء قتلى الجنود (كما روى الملاجور هوشوخر الالماني الذي كان معهم) بل كانوا يحصون الضباط القتلى فقط ، ولهم ينشرون التفصيل الدقيق بمد الصلح . والراجع أن الاختصاصيين سينشئون مؤلفات خاصة مفصلة من الوجه الحربي لحصار ادرنه كما انشأوا لحصار باغنا

اما تأثير سقوط ادرنه ، فقد كان عظيماً اليماً في عاصمة الدولة واهتمت به الاندية السياسية لان الدول خافت أن يرسل البلغاريون مئة الف جندي من جهات ادرنه الى جتالجه وان يصروا على دخول الاستانة ولو عظمت خسارتهم فيفتح حينئذ باب مسألة آسيا العثمانية التي تريد الدول تأجيلها ، وكانت روسيا نفسها تأبى أن يقف البلغاريون امام ايا صوفيا ...

— ٨٠ —

نقيب وزير

سافر الموسيو ميسيمي وزير الحرية الفرنسية سابقاً الى ادرنه

ليرى بعينه طريقة تحصينها وفعل المدافع الفرنسية فيها ، ويُحدث
قواد البلغار فيما يرجو منه فائدة حرية . وبعد التحقيق انشأ عدة فصول
قال في احدها ما جوهره :

« كان الفكر الشائع ان ادرنه التي اشرف على تحصينها جماعة من
اكابر الاختصاصيين الالمانيين فحولوها الى موقع حديث تحيط به
الحصون المحمية المخصوصة ، لا يمكن ان تؤخذ الا بالجوع او بحصار
طويل الامد . لكن هذا الرأي كان بعيداً عن الصواب كما تحققت بعد
ان سمح لي الجنرال ايفانوف بزيارة جميع خطوط التحصين والوقوف على
ما قل وجل »

« إن ادرنه لديها مرتفعات متوسطة على مسافة خمسة او ستة
كيلومترات ، ومنظرها يدل على انها منيعة وان الدفاع عنها سهل لعدم
وجود غابات أو جدران وماشا كلها من الاشياء التي تحول دون
الاستطلاع . ولما كانت سنة ١٩١١ زادت الحكومة العثمانية تحصينها
فانشأت السكك الحديدية الضيقة بين الحصون كما ترى في الواقع الفرنسية
الشرقية ، ونصبت فيها المدافع الضخمة وأعدت لها مقداراً كافياً من
الذخيرة ، ووضعت في الاقسام التي رأتها اشد استهدافاً من غيرها
بطاريات محمية بدلاً من البطاريات المكشوفة التي يسهل اسكتها . ثم
وضعت الاسلاك ذات الاشواك امام الحصون فاصبح أخذها عنوة من
اصعب الاعمال ولا سيما اذا كان فيها جنود راسخو العزيمة . واحضرت
منيرات كهربائية (بروجكتور) للاستطلاع »

« ولكن الناظر اليها بعين الناقد يجد مع ذلك كله مواضع للضعف

في تلك القلاع . فانك لا تجد فيها خنادق منحدره . بالمعنى الصحيح لوقاية الحصون من الهجمات . ثم ترى بجانب البطاريات الحديثة حصوناً قديمة ذات شأن عظيم متداعية للخراب ، كما ترى في أحدث الحصون ما يدل على توفير لا معنى له في رصّ المواقع المعرضة للقنابل ،

« اما عدد الحامية فقد كان سبعين الف رجل ، ولكن قوتها المعنوية وتعليمها الحربي لم يكونا على غاية ما يرام . ونحن مع اعترافنا بشجاعة قائدها شكري باشا واداء ما يستحقه من الاكرام ، نرى ان الجنود التي كانت تحت امرته لم يكن عندها من كنوز البراعة والنشاط ما كان للحامية التي تولى قيادتها عثمان باشا في بلفنا . فان رجال بلفنا دخلوها مدينة مفتوحة فمالبثوا ان حولوها الى موقع حصين اوقف هجوم الجيش الروسي واستوقف معظمه حول موقعها . اما حامية ادرنه فلم تزد شيئاً على معدات الدفاع التي كانت قبل الحرب بل وقفت جامدة تنتظر ما تأتينا به يد القدر في حين ان البلغاريين والصربيين كانوا يشتغلون بلا انقطاع في الاشهر الخمسة فحفروا الخنادق وانشأوا المراسد الخفية وبنوا مراكز للدفاع »

« اما اطوار الحصار فهي كما عرف المطالع تدل على ان البلغاريين اتبعوا القواعد الحربية الصحيحة . فانهم اهتموا اولاً بقهر معظم القوات العثمانية في تراقية واكتفوا بأن يرسلوا الى جهة ادرنه فرقتين ربما كان عدد رجالهما اقل من عدد الحامية ثم جاءتهم فرقة ثالثة وفرقتان من الصربيين فضيقوا حلقة الحصار شيئاً فشيئاً بعد عدة معارك . وفي اواخر شهر اكتوبر طلب الجنرال ايفانوف الى القيادة العامة أن تاذن له في

هجمة عامة على مواقع ادرنه وكرر هذا الطلب ، غير ان اوكان الحرب
رفضوا طلبه لانهم لم يرغبوا في شدة المخاطرة بل رأوا من الصواب
والحكمة أن يصبروا حتى تسقط المدينة بالجوع أو بشدة الهلع من القنابل
المتساقطة على احياء المدينة »

« ولما عقدت الهدنة انقطع البلغاريون عن ضرب المدينة ثم عادوا
الى ضربها بشدة هائلة بعد الغاء الهدنة

ولكن عزيمة شكري باشا لم تهن بديمية القنابل او غيرها . فلما
رأى البلغاريون ان حالتهم لا تمكنهم من اقامة حصار منظم يقتضي انشاء
مواقع ومستودع اسلحة وطرقاً خفية وعدداً كبيراً من الجنود الفعلية ،
ورأوا من جهة أخرى ان المواصلات لا تسمح لهم بمثل تلك الاعمال
الكبيرة الطويلة ، قرروا أن يهجموا على ادرنه ويأخذوها عنوة وقسراً
كما طلب الجنرال ايفانوف . وفي ٢٣ مارس صدر اليه الامر بالهجوم
الشديد على المواقع الشرقية الشمالية ، وفي ٢٤ منه اخذت المدافع البلغارية
كأها تحول نيرانها الى الجهة المعينة للهجوم فاجابتها البطاريات العثمانية ،
ولكن النيران البلغارية الهائلة اسكتتها بعد مدة . وما اسود جنح الليل
حتى هجم البلغاريون بالاسلح الابيض فاستولوا على المواقع العثمانية ثم
واصلوا الهجوم (كما شرحنا قبلاً) حتى تم لهم النصر واسبروا الحامية
وغنموا مدافعها وكل ما كان لديها من المؤونة »

اما النتيجة التي استخلصها الموسيو ميسيبي فهي « انه يعتقد مع
جماعة من كبار الضباط البلغار ان المواقع الحصينة تكون مهددة بخطر
السقوط اذا وجهت المدافع الفاتكة الى نقطة واحدة منها فأودت بقوتها

ثم هجمت عليها تحت حماية المدافع جنود بأسلة تريد النصر ولا تخشى الموت في سبيله . وأن البلغاريين لم يلبثوا خمسة أشهر امام ادرنه الا لانهم كانوا مضطرين الى تسير القسم الاعظم من جيشهم الى جهات اخرى ، ولان مواصلاتهم ومعداتهم كانت غير كافية ، وليس هذا حال دولة اوربية عظيمة ، فانها اذا كانت محاصرة تتذرع بجميع الذرائع العلمية الحديثة لهدم قلاع عدوها ، واذا كانت محصورة فلا تدع في مواقعها وجوه الضعف التي ظهرت في بعض جهات ادرنه »



معارك الجيش الصربي

والجيش العثماني الغربي

صدر أمر الدولة الصربية بتعبئة جيشها في أول أكتوبر فقابلته
امتها بالتحمس الشديد وتولى الملك القيادة العامة وعين الجنرال بوتنيك
رئيس أركان حرب ثم قسم القوات الصربية الى اربعة جيوش ،
وسير ثلاثة منها الى جهات اسكوب وأشتيب حيث معظم الجيش
العثماني الملقب بالغربي ، وكان لواء الجيش الاول معقوداً للامير اسكندر
ولي عهد الصرب ، والثاني تحت قيادة الجنرال ستفانوفتش ، والثالث تحت
قيادة الجنرال جانكوفتش . اما الرابع فكان مستقلاً عن الثلاثة المذكورة
وحشد شمالي سنجق يني بازار

واما القوات العثمانية التي أعدت لمقاومة الجيوش الصربية الاربعة ، فقد
جعلت تحت قيادة علي رضا باشا وكانت مؤلفة من ثلاثة فيالق وهي
الخامس والسادس والسابع وكل واحد منها مؤلف من ثلاث فرق ، وكان
هناك ثلاث فرق مستقلة وهي الفرقة الثانية والعشرون في قوجانه والثالثة
والعشرون في يانيه والرابعة والعشرون في اشقودره . ثم أضيف الى
القوات المذكورة فرقتان من الرديف المحلي ثم فرقة واحدة من رديف
الاناضول بعد فشل تحسين باشا كما ستري

ولما كان الرديف الالباني وخصوصاً الرديف المسيحي من بلغاريين

وصريين وغيرهم لم يظهروا اخلاصاً راسخاً ، فقد رجح الكولونل بوكايل أن عدد الجنود العثمانية لم يبلغ امام القوات الصربية ما قدرله على الورق الرسمي

وقد أوقف علي رضا باشا قواته مقسمةً الى أربعة أقسام لدى الصريين وما ترك امام اليونانيين والجباليين الا الفرق الثلاث المستقلة التي تقدم ذكرها وثلاث فرق أخرى من الرديف ، وكان قلب الجيش العثماني تحت امرة زكي باشا وموقعه بين اشتيب وأسكوب ، والميسرة تحت قيادة توفيق باشا وموقعها برشتينه ، والميمنة بقيادة قره سعيد باشا وموقعها بين اشتيب وسترومجه

وكان وراء تلك القوات بعض الفرق الاحتياطية من الرديف

معركة فومونوا

(او كومانوفو)

وهي الفاصلة

بدأت الجيوش الصربية بالاعمال الحربية يوم اعلان الحرب أي ١٨ أكتوبر ، فتقدم أولاً الجيشان الثاني والثالث . وبقي الجيش الاول في مركزه الى ٢٠ أكتوبر ثم زحف . واليك ما فعله كل جيش منها
الجيش الثالث — ساريقصد ميسرة الجيش العثماني وبدأ القتال بين

الفريقين في ١٩ أكتوبر ، وما كان مساء اليوم التالي حتى أحرز الصرييون النصر وأسروا طابوراً عثمانياً وغنموا مقداراً كبيراً من العدد والذخائر . وفي ٢١ منه سارت مقدمة الجيش الصربي قاصدة سهل قوصوه . وفي ٢٢ منه قامت معركة شديدة في السهل المذكور بين الصربيين ومعظم قوة توفيق باشا وكانت نتيجةها فشل العثمانيين أيضاً فتهقروا جنوباً ، واحتل أعداؤهم مواقعهم

الجيش الثاني — زحف هذا الجيش قسمين فلم يجد امامه مقاومة جدية بالذكر . ولما هجم أحد قسميه على بلدة كريفاستولى الرعب على الاهالي ولا سيما المسلمين فهربوا وتركوا أولادهم على طريق كومانوفو . وما كان اليوم الثاني والعشرون من أكتوبر حتى أصبح هذا الجيش على ثلاثين كيلومتراً أو أقل من مدينة كومانوفو التي ستحدث فيها الواقعة الفاصلة الجيش الاول — قلنا ان هذا الجيش لم يتحرك الا في ٢٠ أكتوبر أي بعد اعلان الحرب بيومين ، وقد التقى بمقدمة القوة العثمانية فصدّها الى طبانوفجه . وما كان اليوم الثاني والعشرون من أكتوبر حتى بدأ الصدام على مسافة كيلومترات قليلة شمالي مدينة كومانوفو ، على ان المعركة الكبرى الفاصلة لم تبتدىء الا في الثالث والعشرين ، وهاك تفصيلها

لما كانت الساعة الثانية والنصف بعد ظهر اليوم المذكور أصدر زكي باشا أمره بالهجوم على الفيلق الصربي الاول الذي كان على بضعة كيلومترات شمالي المدينة ، وكان الجو قائماً غائماً والمطر يهطل مدراراً . فقاوم الصرييون العثمانيين حتى المساء ولكنهم لم ينالوا مأرباً ولم يشوموا للنجاح برقاً ، ولما أزفت الساعة الواحدة بعد منتصف ليل ٢٤ أكتوبر

حملوا حملة شديدة تحت جنح الظلام فاستولوا على المواقع التي يصلح منها الهجوم العام ونصبوا مدافعهم على المرتفعات . ثم أتاها من الجانب من الجيش الصربي الثاني فوقف بمدفعه عند المدرسة الصربية . ثم أخذ الصربون يواصلون الهجمات على مواقع العثمانيين في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية من مدينة كومانوفو ، وكانوا في كل هجمة يخسرون عدداً كثيراً من جنودهم حتى زرعوا حزم الفيلق العثماني السابع ولا سيما بعد أن وصلت القوة التي أرسلها الفيلق الصربي الثاني . فأراد زكي باشا أن يتفهم ، وأمر الفيلق السادس بالتقدم ليتمكن من تخليص الفيلق السابع ولكن نيران المدافع الصربية اشتدت إلى حد أوقع الرعب في قلب الفيلق السابع . فكانت خسارة العثمانيين هائلة في ذلك اليوم الأسود ، لأنهم فقدوا القوة المعنوية ومعظم القوة المادية . ونحو الساعة العاشرة قبل الظهر تقدم الجيش الصربي الأول إلى مدينة كومانوفو واحتل المرتفعات ووادي ليقوه . ثم أخذ يستولي على مواقع العثمانيين واحداً بعد واحد

وفي ذلك الوقت نفسه قاتلت قوة بلغارية جنود قريه سميد باشا فصدتها ولقد كانت معركة كومانوفو شؤماً على الجيش العثماني الغربي بقدر ما كانت معركة لوله بورغاز شؤماً على الجيش الشرقي . وبلغت الخسارة العثمانية فيها عشرة آلاف رجل بين قتلى وجرحى و ٨٥ مدفعاً و ٣٠٠ مركبة للسكة الحديدية . وبلغت خسارة الصربيين ٣٠٠٠ رجل بينهم كثيرون من الضباط . وقيل ان جميع ضباط الالاي السابع قتلوا وجرحوا ما عدا اثنين (١)

« ١ » السكولونل بوكايل

بعد تلك الوقعة الفاصلة أخذ الجيش العثماني الغربي يتقهقر الى جهات
مناسير فسار قسم منه على طريق غستوا والثاني على طريق برلبه ، واجمع
المراسلون الحرييون على ان تقهقره وخصوصاً تقهقر الفيلق السابع كان
منظر أيدمي مقلة العثماني . فلانظام واف ولا أكل كاف ولا مستشفيات
نقالة للجرحى . بل شذاذ منتشرون على الطرق هنا وهناك أو محتضرون
يلفظون النفس الاخير وهم يرتجفون برداً وتألون عطشاً او جوعاً

على ان القواد العثمانيين تمكنوا بعد ذلك الرعب من ضم شمل
الجنود الباقية وأخذوا ينكصون وهم يدافعون ، ولما وصل الصرييون الى
أشتيب ثار اهلها على العثمانيين وانضموا الى البلقانيين

وفي يومي ٢٦ و ٢٧ أكتوبر انقطعت كل صلة بين الجيش العثماني
الشرقي والجيش العثماني الغربي واستولى البلغار يون على الخط الحديدي
في ديمتوقه ، وحصل الاسطول اليوناني على السيادة البحرية من جهة
أخرى ، فصار من المستحيل على الجيش العثماني الذي فشل امام الصريين
أن يتلقى نجدات أو مؤونة من الاستانة . فلم يبق لدى هذا الجيش الا
مواصلة السير نحو البانيا حيث يرجو الحصول على قدر من المؤن ، وحيث
يرى أراضي وعرة تمكنه من المقاومة .

اما الصرييون الذين كانوا يلتهبون شوقاً الى احتلال ثغر على البحر
الادرياتيكي فانهم قرروا أن يواصلوا الزحف ليقاتلوا الجنود العثمانية
التي اجتمعت في مناسير ، ثم يزحفوا نحو ذلك البحر

وقعة مناسر

تمكن قائد الجيش العثماني الغربي من الحصول على الوقت اللازم لحشد ما لديه من القوات أي نحو ٥٥ ألف رجل من الحاميات والريفيين والالبانيين وبقايا الجيش الذي فشل في كومانوفو وجمع معهم نحو ٨٠ مدفعاً وكان الفضل في تمكينه من حشدها راجعاً الى المؤخرة العثمانية التي قاومت الصربيين في قرجوه وبرلييه .

وقبل الكلام على المعركة يجدر بنا أن نذكر للمطالع أن مناسر قائمة على الضفة اليمنى من نهر قرنه عند جبال بابا ، ومدخل المضيق المؤدي الى رسنه فالبلاد الالبانية . وهناك مرتفعات تشرف من الجهة الشمالية على المدينة وتتصل بالضفة اليمنى من نهر سمنيقا .

فلما ضم القائد العثماني شمل جنوده ، حفر لها خنادق في السهل القريب من نهر قرنه ، وانشأ خطاً دفاعياً على المرتفعات ، وكانت المدينة نفسها محمية ببعض الحصون . ثم رتب جنوده قبل المعركة كما يلي

الميسرة — الفيالق السادس بقيادة جاويد باشا

القلب — بقايا الفيالق السابع بقيادة فتحي باشا

الميمنة — الفيالق الخامس بقيادة زكي باشا

ثم وضع قوة لصد قوة يونانية كانت تتقدم من جهة بانيجه (بانيتر) اما الصربيون فقد واصلوا الزحف واقفوا مصاعب كثيرة من المطر والثالج والوحل ، وفي ١٣ نوفمبر تلاقى فرسانهم وعدد قليل من الجيش العثماني في جوار دوبرمير عند الضفة اليسرى من نهر قرنه فضربوه بالقنابل

واضطروه الى التسليم، وفي يوم ١٤ منه حي و طيس الدركة الكبرى ثم زاد اشتداداً في اليوم التالي وأصبح ممتداً على مسافة خمسين كيلو متراً فقاسى الصرييون المهاجمون تعباً كبيراً من وعورة الارض وكثرة الامطار على انهم صبروا واستمروا على التقدم البطيء، وما كان ليل ١٦ نوفمبر حتى هجمت ميمنة جيشهم واستولت على المرتفعات القائمة بين اوبلا كوفو وكوسيسيتا ثم تمكنوا صباحاً من الاحاطة بالعثمانيين بعد أن خسروا عدداً جماً من رجالهم . ولما تم لهم حصر الجنود العثمانية اخذوا يضمنون بجنودهم ويعتمدون على مدافعهم الفاتكة . ولكنهم رأوا أن لا بد لهم من هجمة جديدة لاخذ بعض المرتفعات فهبوا في ليل ١٧ نوفمبر وأخذوها عنوة . حينئذ طفق العثمانيون يحاولون الخروج من حلقة الحديد والنار فأمر زكي باشا قائد الميمنة بالرجوع الى جهة فلورينا، فتمكنت عدة طواير و كوكتان من الفرسان وبطارتين من الذهاب جنوباً بفضل الضباب الذي كان كثيفاً قائماً . ولكن الفرسان الصريين ما لبثوا أن شعروا بخروج تلك القوة العثمانية فهجموا عليها مع قسم من المشاة فخلوا عقدها واخذوا مدافعها بعد قتال شديد ، ثم لقيت بقاياها قوة يونانية فقاتلتها واتجهت نحو مضايق بيرو ديني

اما جنود فتحي باشا وجاويد باشا اي جنود القلب والميسرة فانها بعد ان قاتلت الصريين وفشلت في صدهم حاولت ان تتجه نحو رسنه فلم تفلح ، ولم تشعر الا وهي عند منحدرات جبال بابا لا تجد منفذاً لدى ميمنة الصريين التي كانت تحتل الروابي وتهدد كل قوة عثمانية تمر على مرمها . فلما رأيت هذا الموقف الحرج اتجه قسم كبير منها الى الطرق الجبلية

هناك ومعها جاويد باشا نفسه وسلم قسم في مناستر وما جاورها . ولما تم النصر للصريين ارسلوا قوة متجولة لمطاردة الذين ذهبوا من تلك الطرق الجبلية

وبلغت خسارة الصريين في تلك المعركة الكبرى ٨٠٠٠ رجل بين قتلى وجرحى ، وخسارة العثمانيين ١٠٠٠٠ رجل و ٥١ مدفعا منها ٣٩ مدفعا غنمهم فرقة واحدة ، وعدة آلاف من الاسرى بينهم ثمانية من كبار الضباط ، وقد لبث المدفع يدوي والدم يجري بين العدوين ثلاثة أيام بلياليها لم يسترح فيها المهاجمون ولا العثمانيون ، برغم الضباب وكثرة المستنقعات والاحوال

نحو البانيا والادرياتيك

بعد أن احتل الصرييون مناستر وجهوا النظر الى البانيا فتمسكوا فرقة الى جهة رسته فوصلتها يوم ٢١ نوفمبر ثم زحفت منها الى اوكريدا (وتسمى أواخرى بالتركية) فبلغتها في ٢٩ منه

وارسلوا في ذلك الوقت ايضا قوة متجولة فقاتلتها هناك قوة من الجنود والاهالي الالبانيين ودار قتال شديد بين الفريقين انتهى بفوز الصريين . وكانت قوة مختلطة من هؤلاء والجلبين تقاتل بقايا الجنود العثمانية في الجهات الغربية وتحتل المواقع التي في طريقها واحداً فواحداً

وليس لنا مندوحة عن تذكر المطامع هنا بان الجيش الصربي الرابع لم يكن مع الجنود التي خاضت المعارك المذكورة . فان القيادة الصربية

العامة وكلت الى هذا الجيش يوم اعلان الحرب أن يزحف اولاً الى
سنجق يني بازار فيخرج منها الحاميات العثمانية ثم يمد يد المساعدة لجيش
الجليل الاسود

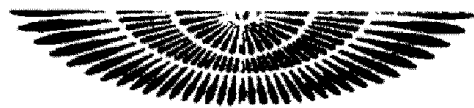
فقسم قواته الى قسمين اولهما زحف الى جهة يني بازار والثاني قصد
سنجقه . فوصل الاول الى يني بازار في ٢١ اكتوبر اي بعد اعلان الحرب
بثلاثة ايام فوجد فيها قوة عثمانية مؤلفة من نحو ثلاثة طواير منظمة
وبضعة آلاف من الالبانيين ، فقاومت الصربيين ثلاثة ايام برغم مدافعهم
القاتكة ثم سلمت بعد هجمة قوية بالسلاح الابيض ، وقد بلغت خسارتها
نحو ٣٠٠ قتيل و ٧٠٠ جريح ، وبلغت خسارة الصربيين ٥٠٠ بين قتيل
وجريح

اما القسم الصربي الثاني فقد استولى على ميتروفيتزا في ٢٦ اكتوبر ،
وسار الى مدينة ايبك بعد أن احتلها الجلبون بيوم واحد . ثم اخذت
الجنود الصربية تحتل المواقع العثمانية بعد معارك صغيرة لا يهم وصفها
على ان هناك معركة لا بد من ذكرها لانها أدت الى مشكلة سياسية
كما ستري . وذلك أن قوة من الجيش الصربي الثالث زحفت في ٢٧ اكتوبر
جنوباً الى جهة بريزراند فنشب قتال شديد بينها وبين عدد من الجنود
العثمانية المنظمة ومن الباب ليوما . ولما كان ٣٠ اكتوبر دخل
الصربيون المدينة فقابلهم عدد من العثمانيين فيها فتصادم الفريقان في
الشوارع ثم انتهى القتال بتغلب الصربيين على تلك القوة الصغيرة ، وقد
حدث في ذلك اليوم ان جماعة من الالبانيين لجأوا الى القنصلية النمساوية
فاكان من جنود الصرب الا أن دخلتها بالقوة وذبحت من كان فيها برغم

احتجاج الموسيو بروشاسكا قنصل النمسا ، واهانت الشعار النمساوي الذي كان معلقاً بالقنصلية (وسترى في الباب السياحي ما كان من نتائج هذا الحادث)

ثم ذهب قسم من الجنود الصربية فعضد الجبليين في اخذ دياكوفو يوم ٦ نوفمبر ثم اتجه الصربيون منها ومن بريزرند الى سواحل الادرياتيكا فاحتلوا دورازو (أو دراج) وغيرها . قال مراسل التيمس انهم لقوا في سيرهم مصاعب لا تخطر في بال ، فقد اضطروا غير مرة الى انهاض المدافع والخليل بايديهم من الثلج الذي بلغ علوه نحو متر في بعض الانحاء . كما اضطروا الى انقاص قوتهم اليومي لان الاراضي التي اجتازوها جلبة قاحلة ، وكانت درجة البرد ١٥ تحت الصفر

ولما بلغوا السواحل ، اخذ حلفاؤهم اليونانيون يرسلون اليهم المؤونة والذخيرة عن طريق البحر



زحف الجيش اليوناني

ومعارك

قُسمَ الجيش اليوناني الى قسمين ، وجعل معسكر القسم الاول في لاريسا تحت قيادة ولي العهد مباشرةً ، وُسِّي الجيش الشرقي ثم كتب له غرض معين ، هو ان يهجم على القوات العثمانية النازلة وراء الحدود اليونانية حينما يكون البلغاريون والصربيون والجلبليون عامدين الى الهجوم من الجهات الشمالية ، والشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية

اما القسم الثاني فعقد لواؤه للجنرال سبونديراكيس ، وُسِّي الجيش الغربي وجعل غرضه أخذ يانيه واعادة شرف الراية الاغريقية بعد ما أصابها سنة ١٨٩٧ من عار الانكسار لدى الاهالي اليونانيين في أيرسوس ، وقد صدر الأمر الى بعض البوارج اليونانية بأن تساعد من جهة بريفيزا التي جعلت قاعدة حربية لقوة هذا الجنرال

اما القوات العثمانية التي تمكنت الدولة العثمانية من حشدتها بقيادة تحسين باشا لصدّ الجيش اليوناني عند الزحف ، فلم يتمكن المراسلون الحربيون من تعيينها بالتدقيق ولكن الجنرال بوكايل يقدرها بنحو خمسة وثلاثين الف رجل منها خمسة عشر الفا كانت امام القسم اليوناني الاول ، وعشرون الفا امام القسم الثاني

ولما أعلنت الحرب في ١٨ اكتوبر تحرك القسمان اليونانيان معاً .

ونحن نتكلم اولاً على اعمال القسم الاول الذي قاده ولي العهد قلنا ان مهمة هذا القسم من الوجة الحربية انما هي التعاون مع حلفائه

على قهر الجيش العثماني الغربي (لان الجيش العثماني الشرقي اي جيش تراقية كان يكفيه معظم الجيش البلغاري و بعض فرق الجيش المصري) وسيرى امامه قوة حسن تحسين باشا المذكور ، وهو الذي كان والياً لياثيه يوم اعلان الحرب ، وعمره نحو من ٦٥ سنة . ومما يجب ذكره في هذا المقام أن نظام الجنود العثمانية كان مختلفاً كما رأينا في جميع الانحاء . فان المؤن والذخائر كانت قليلة ، والادارة غير منظمة ، والمدافع الجبلية غير موجودة ، والوسائل الصحية تكاد تكون معدومة ، وقلم المحاربات ليس له اثر

فولي عهد اليونان سيرى اذا امامه قائداً ضعيفاً بحكم الشيخوخة وجنوداً ضعيفة بقلّة العدد والعدد ، ونقص الميرة والذخيرة ، وفرط الخلل والعلل . واول ما وضعه الامير اليوناني نصب عينه هو احتلال سلانيك لان دخول هذا الثغر في وقت قصير كان يهم الدولة اليونانية من الوجه السياسي والوجه الحربي والوجه الديني

اما من الوجه السياسي فلأن سلانيك هي العاصمة العثمانية الثانية في تركيا اوربا وعدد سكانها اليونانيين نحو اربعين الفا ، فيجب على ولي عهد اليونان أن يبذل كل رخيص وغال ليتمكن من دخولها قبل الجنود البلغارية . واما من الوجه الحربي فلان احتلال سلانيك يسهل على الحلفاء ارسال المؤن والذخائر الى الجيوش التي تحارب عند مناستر كما يسهل قطع المواصلات بين الجنود العثمانية والاستانة من جهة ، وبينها وبين البحر من جهة اخرى ، واما من الوجه الديني فلأن سلانيك كانت مركزاً لرئيس اساقفة في غابر الزمن

معركة ألاسونا

سار ولي عهد اليونان (الملك الحالي) بعد ان قسم جيشه الى قسمين وسير أحدهما الى ألاسونا فلم يجد مقاومة يوم ١٨ اكتوبر . ولما تبسم فجر اليوم التالي تقدمت الفرقة اليونانية الاولى نحو موقع الجنود العثمانية فوجدت فيه قوة مؤلفة من نحو خمسة او ستة طواير وبطارتين فاخذت المدافع العثمانية ترميها بنار حامية ولكن القنابل لم تنفجر وبعضها كان ينفجر وهو مرتفع . اما القنابل اليونانية فقد كانت فعالة فتاكة فما عتمت أن اسكتت تينك البطارتين العثمانيتين ، وكانت الفرقة اليونانية الثانية تتقدم نحو ميمنة العثمانيين ، وقوة يونانية أخرى تزحف نحو الميسرة العثمانية لتقطع عليها طريق الرجعة فاضطرت الجنود العثمانية الى التقهقر قبل ان تتم حركة الاحاطة ، ولم تبق المعركة الا اربع ساعات ونحو الغروب دخلت الجنود اليونانية ألاسونا حيث وجدت سبعة مدافع واسرت اربعين جندياً . اما خسارتها فبلغت ثلاثة ضباط و ١٥ قتيلاً ومئة جريح

ثم ضم ولي العهد قواته وزحف في ٢١ اكتوبر . وما كان ٢٢ منه حتى التقى بمعظم القوة العثمانية فاشتد وطيس القتال منذ الصباح عند مضيق ساراندوبوروس فلبثت القوات اليونانية تهاجم العثمانيين من امام ومن الميمنة والميسرة حتى الساعة التاسعة مساءً فلم يسع القوة العثمانية الا التقهقر برغم مواقعها المنيعة . فغنم اليونانيون عشرين مدفعاً جبلياً ومقداراً كبيراً من الذخائر والمركبات ، ولكنهم دفعوا عنها ١٨ ضابطاً و ١٦٩ جندياً قتيلاً و ١٠٧٧ جريحاً بينهم ٤٠ ضابطاً

وفي اليوم التالي لتلك المعركة واصلوا السير الى سرفنجه ودخلوها
نحو الساعة العاشرة مساءً . وذكر الكولونل بوكايل انهم وجدوا فيها
سبعين جثة من نساء واطفال ورهبان فهاجوا اشد الهيجان ولبثوا يزحفون
ليلاً حتى كان صباح اليوم التالي اي ٢٣ اكتوبر فادركوا عدداً من الجنود
العثمانية متمهقة بلا نظام فاسروا ٧٠٠ رجل بينهم امير الالي وسبعة ضباط
وعدد من المدافع والاسلحة والمركبات ، واحتلوا البلاد التي كانت في
طريقهم لان الجنود العثمانية لم تقف لصدّهم وقفة تذكر هناك
ثم تمهل ولي العهد بجيشه ليتخذ اهبة الزحف الى سلانيك

معركة بلبيس واردة

تسليم سلانيك

تقدم ولي عهد اليونان قاصداً ينيجه واردار حيث تمكن حسن تحسين
باشا من جمع نحو ٣٠ الف رجل ونحو ٣٠ مدفعاً . وبعد مناوشات قليلة
الشأن ومصاعب جمة في الطريق وصل ولي عهد اليونان الى جهة العثمانيين
وانشب القتال في ٢ نوفمبر فظهر العثمانيون حزمًا وثباتًا ، ثم غابت شمس
ذاك اليوم والجيش اليوناني لم يقدر على زجرحه تلك القوة العثمانية
ولما لاح صباح اليوم التالي عاد القتال شديداً ، ووصلت فرقة يونانية
جديدة وهجمت على ميسرة العثمانيين فترك هؤلاء مواقعهم بعد خسارة
٢٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح و ٥٠٠ اسير و ١٤ مدفعاً و ٤ من طراز
الميترايوز

اما خسارة اليونانيين فقد بلغت حسب احصائهم الرسمي ٣٨ ضابطاً
و ٩٣٧ جندياً بين قتلى وجرحى

بعد تلك الواقعة بات موقف سلانيك من اصعب المواقف وانقطع
حبل الرجاء بين يدي تحسين باشا . فن جهة البحر هجمت سفينة
توربيدية على بارجة عثمانية كانت راسية في مياه سلانيك ومهددة لكل
عدو يأتي غرباً ، فأغرقتها وابتعدت الجنود اليونانية من خطرها ، ثم جاءت
الطرادة افيروف وثلاث سفن للتوربيد فضربت الحصون العثمانية . ومن
الجهة الشمالية الغربية برأ وصلت قوة من فرسان الصرب بعد أن طاردت
الجنود التركية التي حاولت الخلاص من تلك الجهات . ووصلت أيضاً قوة
بلغارية من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية . وزد على هذا كله أن قوة من
اليونان نزلت من طريق البحر وأخذت تتقدم نحو سلانيك ، فالاعداء
إذاً في كل جهة

لما رأى ولاية الامور الملاككيون وقناصل الدول ذلك الموقف
واستشعروا ان قلوب الاهالي انخلعت فرقاً من حدوث مذبة هائلة في
شوارع سلانيك شرعوا يبذلون الجهد لدى تحسين باشا ليجملوه على
التسليم واظهروا له أن وصول تلك القوات الزاحفة نحو المدينة لا يبقى املاً
في انتقاذها بالسيف ولا سيما ان الجنود العثمانية لم يكن عندها مدافع ولا
ذخائر كافية . وكتب مراسل البرلينر الالمانية في هذا الشأن قال ان عدداً
جماً من الجنود قدم سلانيك وهو في حالة تدمي العيون والقلوب ، فكان
منظر هولاء القادمين من ضعفاء وهارين يذكرنا بجنود نابوليون يوم

تقهقرت من روسيا ، وكنا حينما نذهب نجد اشلاء الرجال والخيول ،
واقدمت امس خمسون جندياً من شدة البرد » ...

نقف عند هذا الحد من الوصف ، لنكفي القارىء مؤونة الشعور

بما يخرج الصدور

اماتحسين باشافانه لما رأى ذلك الاحاح من القناصل وغيرهم ،
ورأى من وجه آخر ان القتال في شوارع سلانيك لا يجدي نفعا مع
ضعف قوته ، وافق على طلبهم وبدأ بالمفاوضة في أمر التسليم . واليك
تعريب التقرير الرسمي الذي ارسله ولي عهد اليونان الى اوسيو فزيليوس
رئيس الوزارة اليونانية في هذا الشأن . وهو

« جاءني امس قناصل انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وقومندان موقع
سلانيك ومندوب من تحسين باشا يعرضوا علي الشروط المتعلقة بتسليم
مدينة سلانيك والجيش التركي ، وطلبوا الي أن ادع لاجنود اسلحتها بعد
أن تتعهد لنا بالاتزام الحياد الى آخر الحرب ، فاييت الموافقة على هذا
الطلب واقتصرت على وعدم ارجاع الاسلحة اليها بعد انتهاء الحرب ،
وعينت الساعة السادسة صباحاً لقبول الجواب النهائي »

« ونحو الساعة الخامسة جاءني قومندان الموقع ومعه مندوب من
قبل القناصل وعرض القومندان علي شروطاً فخواها أنه يقبل تسليم
الاسلحة ما عدا ٥٠٠٠ بندقية معدة لتعليم الرديف الجديد فاييت ان
اوافق على هذا الشرط ايضاً . ثم سافر القومندان والمندوب بعد أن طلب
مهلة ساعتين للاتفاق مع القائد العثماني العام . ولما انقضت المهلة بدون أن
يعودوا الي ، أصدرت أمري الى الجيش بالتقدم فعمد الى الزحف نحو

الساعة التاسعة صباحاً . ولكن ما اقربت صفوفنا من مقدمة العدو حتى أرسل اليّ تحسين باشا ضابطاً ومعه كتاب في قبول شروطنا . حينئذٍ أمرت بالوقوف وأرسلت ضابطين ليكتبوا مع تحسين باشا شروط تسليم المدينة التي كان جيشنا واقفاً امامها » اهـ

وما بلغ الخبر اثينا حتى قابلته الملكة اليونانية بالابتهاج العظيم واقامت المظاهر في عاصمتها وغيرها احتفالاً بتحقيق امنيتها بعد ٤٥٠ سنة . ثم صدر أمرٌ ملكي بتعيين ولي العهد قائداً اكبر للجيش اليونانية كلها ، وكان الملك جورج (الذي قتل) في جيداً ، فلما وصله الخبر سافر الى سلاويك ودخلها باحتفال رسمي يوم ١٢ نوفمبر ، واصدرت الحكومة اليونانية امراً بتعيين حاكم يوناني لها على ان البلغاريين يدعون السبق الى احتلال سلاويك ، ولكن الأمر الثابت أن تحسين باشا سلم المدينة الى اليونان

نحو مناسير

وكان معظم الفرقة اليونانية الخامسة زاحفاً الى جهة مناسير فقاتل قوة من العثمانيين في ليل ٢٩ اكتوبر وتغلب عليها ، وكان من غرائب الاتفاق أن بعض العصابات البلغارية ولا سيما عصابة تراكالاروف الشهير بعداوتة الماضية لليونان وبمباركة الشديدة معهم ، كانت تساعد جنود اليونان في تلك الانحاء

وما بلغ قسم من الجنود اليونانية جنوبي بانيتزا في اوائل نوفمبر حتى

(٢٠)

باغته جاويد باشا بهجوم جعله ينكص مقهوراً . ثم حملت الجنود العثمانية في ٥ نوفمبر حملة صادقة على ميمنة الفرقة اليونانية الخامسة فاهلكت نحو ثلثها ، فعجزت القوات اليونانية هناك عن المقاومة وانخلعت قلوبها رعباً ونهكت اجسامها تعباً ، لان الجنود العثمانية كانت هناك وافية العدد قوية العزيمة . وذكر جاويد باشا في تقريره وقتئذ انه غنم ٢١ مدفعاً بينها خمسة من طراز الميتراليوز

ولكن جاويد باشا احجم عن مطاردة اليونانيين بعد فشلهم فتمكنوا من الانتظار على مسافة ١٥ كيلومتراً شمالي كوزياني الى أن جاءتهم النجديات فعادوا الى الهجوم ، وكان ولي عهد اليونان قريباً من تلك الجهة ، فاخذ يتقدم بحيشه نحو مناستر ، وحدثت عدة معارك في اثناء زحفه كان الفوز فيها لليونانيين . ولما وصل الى جهة مناستر كان الجيش العثماني امامها على اسوأ حال بعد المعركة الكبرى التي وقعت بينه وبين الجيش الصربي كما تقدم في باب معارك الصرب والجيش الغربي العثماني

وفي ٢٤ و ٢٥ من نوفمبر اجتمع ولي عهد اليونان وولي عهد الصرب في مدينة مناستر ، وكان هذا الاجتماع كختام للاعمال الحربية الكبرى في معظم جهات مقدونيا ، فاعاد ولي عهد اليونان فرقتين من جيشه الى سلانيك وترك ثلاثاً في الجهات المقدونية . ثم أرسلت تانك الفرقتان من سلانيك الى جهات يانيه التي زحف اليها الجيش اليوناني الغربي بقيادة الجنرال سابونديزاكيس كما قدمنا

حصار يانيه

وسقوطها

اوضحنا في بدء الكلام على زحف القوات اليونانية وتقسيمها أن الجيش الغربي الذي تقدم لواؤه للجنرال سابوندز اريس في اوائل الحرب زحف قاصداً يانيه ، وكان غرضه من الاعمال الحربية الاولى وقاية سهل ارطه الخصب والاستيلاء على بريفيزا لانشاء قاعدة حربية فيها وامداد الجنود التي تساق الى يانيه

فعبّر اليونان نهر ارطه ثم تقدموا فاحتلوا كيريوفو وصدوا الجنود العثمانية الى بريفيزا في ٢٠ اكتوبر . ثم عاد العثمانيون فاستأنفوا الهجوم واستردوها . ولكن اليونانيين عادوا ايضاً فجمعوا قوام وضموا اطرافهم وزحزحوا العثمانيين عنها

وظلت الحرب سجالاً بين الفريقين في تلك الجهات حتى ٢٤ اكتوبر فوقمت وقعة عظيمة في جهة قيافه فظفر العثمانيون اولاً ثم عاد اليونان الى القتال واستمرت الوقعة ثلاثين ساعة كادت تنحصر فيها المدافع لشدة الاطلاق وانتهت بنصر اليونان

وفي ٢٦ منه احتل الجيش اليوناني عدة مواقع جديدة مشرفة على الطريقين الممتدين من يانيه الى سهل ارطه ، ثم اخذوا يحملون على بريفيزا حملات شديدة ، فاستولوا في ٢ نوفمبر على استحكامات نيكوبوليس ، وانسفت قنابل مدفياتهم التي كانت في الخليج بطارية عثمانية . وفي ٣ منه

استولوا على بريفيزا نفسها ، واخذوا يتقدمون نحو يانيه فقاومهم العثمانيون
مقاومة عنيفة واحرقوا بهم خسارة كبيرة ثم تركوا الجهات الجبلية الجنوبية
وزحفوا الى يانيه

وما كاد ينتهي شهر نوفمبر حتى اصبح جيش الجنرال سابونندزا كيس
امام الخط الاول من حصون يانيه

وكانت حامية ذاك الموقع العثماني مؤلفة من الفرقة الثالثة والعشرين
فزيدت فرقة اخرى من رديف اهالي البلاد ثم انضم الى هاتين الفرقتين
افواج اللاجئين من مناستير وفلورينا قادمين من الاماكن التي استولى
عليها الصرب واليونان . ثم انضم الى هؤلاء واولئك فريق عظيم من
الالبانيين (الباشيزق) وكان مجموع هذا الجيش بقيادة وهيب بك
اما الجيش اليوناني فلم يكن له قبل في ذاك الحين بقاء تلك الحامية
لانه كان اقل عدداً منها . فجعل غرضه فصل يانيه من جهة الشرق وجهة
البحر

وفي ٧ ديسمبر انزل اليونان قوة من الجند والمدافع الى شاطئ ساني
كارا تافا احتلت بعض الجهات الشمالية ولكن العثمانيين هاجوها ودحروها
فاضطرت ان تتركب البحر وتعود من حيث أتت

على ان الصعوبة الكبرى التي لقيها الجيش اليوناني الغربي انما كانت
في جهة بيزاني أي قلب المواقع الهائلة . وكان عدد كبير من الجنود اليونانية
يموت برداً وتعباً او بالالتهاب الرئوي . قال الجنرال آيدو رئيس الوفد
العسكري الفرنسي الذي درب الجيش اليوناني « ان اوروبا بل الامة
اليونانية نفسها لا تدري كم قاست جنودها من شظف العيش وعذاب

البرد الذي جاوز الحد ، فاني اذكر لكم من جملة تلك الآلام مثلاً واحداً وهو أن ٨٠٠ جندي أجلدت أرجلهم لشدة الزمهرير وسيقطع أكثرها ، فتأملوا ان تلك الجنود التي كانت تقاسي هذا العذاب كانت مضطرة الى التنبه الدائم والى الهجوم على الاعداء او صد هجمتهم مدة شهرين ...

اما الجنود العثمانية فقد كان عذابها شديداً ايضاً ، بدليل أن المرضى كانوا يملأون المستشفيات ، وزد على ألم البرد أن ادارة المؤونة كانت مختلة في يانيه كما رأيناها في سائر الجبهات حتى اصبحت جنود الحامية جلدأ على عظم . ومع ذلك كله فان الحامية صبرت صبر الكرام وابلت بلاء حسناً في الدفاع والصدام . قال مراسل الثان في ٢٥ ديسمبر « اني رجعت من جهة امين آغا لان الايام متشابهة فاليونان يهجمون ويحتلون بعض المواقع المتقدمة فتضربهم البطاريات العثمانية فتدحرم وتطردهم . ثم يجيء الليل فيهجم العثمانيون تحت خافيته فتصدم القوة اليونانية ايضاً . ثم يحدث في اليوم التالي ما وقع البارحة وهلم جرأ . وطبيعي ان النتيجة الحاق الخسارة العظيمة بالفريقين ، غير ان اليونانيين يمكنهم أن يرسلوا النجيدات الى رجالهم بعكس العثمانيين فان قوتهم تضعف شيئاً فشيئاً »

« اما الحصون العثمانية فانها منيعة ومسلحة افضل تسليح ، ومدافعها تفوق المدافع اليونانية حتى الآن ، ولقد رسخ في ذهني منذ الايام الاولى ان يانيه لا تسقط الا بعد مدة طويلة برغم التفاؤل الحسن الذي يبديه القائد اليوناني العام والقناصل والوطنيون . ولا يستطيع اليونان أن يأخذوا الموقع في وقت قريب الا اذا اتهم القوة من الجهة الشمالية ولكن تموينها صعب جداً من تلك الجهة ، وقد وصل منذ اسبوع ١٢٠٠٠ ألف جندي قادهين

من اثينا وسلانيك»

وكان من اسباب عذاب اليونانيين أنهم لم يستطيعوا ارسال مدافع ضخمة كافية ، فلم يكن عندهم منها الا بطارية واحدة منصوبة في جهة امين آغا ، والمستفاد من رسالة مكاتب « الالوستراسيون » ان الاحوال والامطار والمسالك الوعرة كانت تضطرم الى حملها على الاكتاف بعد تفكيكها كل قطعة على حدة

فحسبنا ما تقدم للدلالة على المصاعب والاهوال التي كابدها المدوان من الطبيعة ومن الحرب ، ولا سيما ان الحكومة اليونانية أثبت أن توافق على الهدنة الاولى فبقيت تلك المتاعب متفاقمة حتى سقطت يانيه

كيف سقطت يانيه

سافر ولي عهد اليونان من مقدونيا الى جهة يانيه بعد تعيينه قائداً عاماً لجميع القوات اليونانية في مقدونية وأيروس ، فاستلم قيادة الجيش المحاصر لذلك الموقع وعين الجنرال سابونندزا كريس قائداً لليمينه ، ووافق على الخطة الحربية التي وضعها هذا الجنرال قبل وصوله ، الا أنه أدخل عليها تعديلات يقتضي تنفيذها مدة من الزمن ، وكان الثلج يتساقط ، والبرد يشتد ، والمؤونة لا تصل الا بصعوبة ، والحيوانات تموت عشرات ، حتى سدت اشلاء البغال والابقار اكثر الطرق أو ما يسمونه طرقاً

ولما تم استعداد ولي العهد اصدر أمره بالصدام صباح يوم الثلاثاء ٤ مارس ، وكان من خطته أن اليوم الأول يخصص لاطلاق المدافع على القوات العثمانية فمذفت البطاريات اليونانية في ذاك اليوم بنحو عشرة

وكان الجيش اليوناني مقسوماً الى ثلاثة اقسام ، فلبث يحارب وهو في خنادقه ليستبقي الحامية العثمانية في مواقعها ، واستمر اطلاق النار على هذا النحو سحابة ليل ه مارس . ولما كان فجر اليوم التالي أبقى ولي عهد اليونان ميمنة جيشه وقلبه في مواقعها لمشاغلة الحامية العثمانية وأمر ميسرته بأن تفاجئ العثمانيين بعد أن عززها بجزء من القلب والميمنة . وبينما كانت الحامية العثمانية توجه كل انظارها وافكارها الى ميمنة الجيش اليوناني وقلبه لاعتقادها أن الهجمة الكبرى ستكون من جهتها ، باغتها اليسرة اليونانية فاستولت على موقع تشوكا وغنمت فيه اربعة مدافع واسرت ٥٠ جندياً ، ونحو الساعة العاشرة قبل الظهر اخذت سلسلة جبال مانولياسا وغنمت ستة مدافع واسرت طابوراً ، ثم هب قلب الجيش اليوناني لتأييد ميسرته فاخذت الحامية العثمانية تنكص امام تلك القوة الكبرى . وما حلت الساعة الثانية بعد الظهر حتى ناب الحامية ضعف كبير واخذ رجالها يرجعون الى مدينة يانيه والقنابل تهطل فوقهم . ولما جاء المساء كانت المواقع الحصينة في ايدي اليونانيين ، فرأى قائد الحامية أن الدفاع اصبح عبثاً بعد ما جرى فاوفد رسولا الى ولي عهد اليونان ومعه كتاب من قناصل الدول في يانيه قالوا فيه « ان القائد العثماني العام طلب اليهم بعد ما حل بجيشه من الخسارة العظمى أن يتوسطوا لدى ولي عهد اليونان ليكف عن القتال » ، وكانت المقابلة نحو الساعة الخامسة بعد منتصف الليل

فاجاب ولي العهد واركان حربه بانهم يطلبون اولاً تسليم الجيش

العثماني بسلاحه فقبل اسعد باشا هذا الطلب ، وكان عدد الجنود العثمانية نحو ٣٥ الف على رواية الثان . وذكر اسعد باشا في حديث ان سبعة آلاف مريض وعليل كانوا بين اولئك الجنود ، وانه كان يتوقع هجوم اليونان من جهة الميسرة ولكن قوته كانت ضعيفة وذخيرته قليلة

وما وصل الخبر الى العاصمة اليونانية حتى سرى كتيار السكهرباء في جميع انحاء المملكة وارسل زعماء النواب احراً التهاني الى ولي العهد . واذا اراد القارئ أن يعرف مقام يانيه عند اليونان فحسبه ان يرجع الى التاريخ فيعلم انها كانت مهذاً لذوي التجارة وارباب العقول منهم ، فهي التي اخرجت نخبة من اساتذتهم وصفوة من شعرائهم ، كما ان البلاد المجاورة لها ولا سيما سولي اخرجت لهم جماعة من اكابر رجال الحرب فيهم . ولما عقد مؤتمر برلين اراد أن يعيد تلك الاراضي الى المملكة اليونانية ، ولكن البند المختص باعادتها بقي من المهملات . وأضيف الى هذا كله أن لهم حكايات وخرافات قديمة تتعلق بيانيه وتجعل ذكرها مألوفاً معروفاً عند الشاب والأشيب

عزاء بعد هذا

ويذمنا كان اليونان مسترسلين الى الفرح والابتهاج ، ناسين من حصدهم الحرب بمنجلها البائر من الآباء والابناء اذا برصاصة اهزت لها بلادهم وجاز صغيرها البر والبحر فالبتت أسرهم المالكة وغيرها من ملوك اوربا وأمرائها ثوب الحداد

ذلك أن ملكهم جورج الاول كان عائداً من قصر ابنه الامير نقولا في سلاتيك ومعه ضابط واحد فما اجتاز بعض الطريق حتى

تقدم اليه يوناني ضعيف العقل اسمه سكيناس وأطلق عليه الرصاص من
مسدس فسقط الملك يخبط بدمه، وأسرع الضابط الذي كان معه فقبض
على عنق القتال، وجيء بنقالة لحمل الملك الى المستشفى العسكري ولكن
روحه فاضت قبل الوصول اليه وكان من غرائب الاتفاق ان اختيار
هذا الملك كان في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣، وقتله كان في ١٨ مارس سنة ١٩١٣ ،
أي يوم كانت أمته ترغب في اقامة يوبيل له احتفالاً بهرور خمسين عاماً
على جلوسه ، وكان المنتظر ان يكون الاحتفال مضاعفاً لان الدولة
اليونانية بلغت في وقته ما لم تكن تؤمل ، فقد احتلت لسوء طالع الامة
العثمانية سلايك ويانيه ومعظم انحاء أيروس ، ورأت الدهر باسماء بعد
طول العبوسة

ولما انتشر الخبر في أوروبا احدث تأثيراً شديداً في عدة قصور ملكية
لان الملك القليل هو ابن كريستيان ملك الدنيمرك السابق ، وخال ملك
الانكليز وقيصر الروس الحاليين، ونجله الاكبر هو صهر امبراطور المانيا



معارك العثمانيين والجبلين

عرف المطالع قوة الجبل الاسود من فصل ماض . أما قوة العثمانيين التي قاومت الجيش الجبلي فقد كان معظمها في أشقودره واليك بعض الايضاح .

تمودت نظارة الحرية العثمانية ان تبقي فرقة واحدة باشقودرة في الظروف العادية ، ولما تراخت العلاقات بين تركيا والممالك البلقانية ، عززت تلك الفرقة بواحدة أخرى من الرديف ثم انضم اليها كثير من المتطوعين الالبانيين وعدد من جنود الفيلق السادس ومن فرقة دبرا وهي الجنود التي لم تذهب الى كومانوفو ، واذا رجعنا الى آراء الاختصاصيين الحربيين في موقع أشقودره ، وجدنا الكولونيل بوكايل وغيره يحكمون بان الجهة التي عند الطرف الجنوبي من بحيرة أشقودره لا تعد ذات قيمة حربية عظيمة . أما الجهات الجنوبية والشمالية الشرقية من الموقع فقد كانت محمية بعدة معازل وحصون ، وأما الجهة الغربية فكان يحميها حصن طرابوش الشهير وهو يشرف على مدينة اشقودره وبحيرتها ويعلوها نحو ٤٠٠ متر ، ومسافة مجموع الحصون تبلغ نحو ٢٥ كيلومتراً

وزد على هذا كله ان الجهة الشمالية عند الحدود الجبلية تشتمل على

مراكز محصنة ومحيطه بمدينة توزي من الشمال الى الجنوب . أما الاهالي فغالبيهم في سهول أشقودره من المسلمين ، وفي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من المايسور أي الجبليين ، وهم من الالبانيين الكاثوليك وعددهم نحو ثلاثين ألفاً ولما ثاروا على الباب العالي سنة ١٩١١ اضطر قسم منهم الى اللياذ بالجل ولبت هناك حتى نشبت الحرب فاخذوا يقاتلون مع الجبليين

﴿ تقسيم الاعمال الحربية ﴾

عند الجبليين

تلك هي حالة اشقودره يوم قصدها الجبليون في ١٨ أكتوبر ، وقد زحفوا أقساماً ثلاثة فسار الجنرال مارتينوفتش والفرقة الاولى من الجهة الجنوبية الغربية للبحيرة ، وتقدم الجنرال فليشو لازاروفتش والفرقة الثانية وبعض الرابعة من الجهة الشمالية الشرقية للبحيرة . وكان غرض هذين القسمين اشقودره نفسها

وسار الجنرال يانكوفو كوتيش ومعه الفرقة الثالثة وبقية الفرقة الرابعة لمقاتلة الجنود العثمانية النازلة في الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية وراء الحدود الجبلية . ونحن نتكلم اولاً عن اعمال هذا الجنرال وجنوده ، ثم ننقل الى الاعمال الحربية حول بحيرة أشقودره ، ثم الى حصار أشقودره نفسها ، فسقوطها في أيدي الجبليين

كان غرض الجنرال يانكوفو المذكور ان يزحف الى ابيك من

طريق برانا وبلافا ، وان يقاتل الحاميات العثمانية في شمالي سنجق بني بازار ويستولي على مواقعها ثم يمد يده الى القوة الصربية التي تأتي من تلك الجهة وان يزحف من ايبك الى ديا كوفو وبريزرند ، ومن هناك تذهب القوة التي يمكن الاستغناء عنها الى جهات أشقودره لتؤيد القوة المحاصرة لها ولقد نجح الجنرال يانكو في معاركه لان القوات العثمانية كانت قليلة . ففي ١٥ أكتوبر احتل المرتفعات القائمة غربي برانا بعد معارك صغيرة ومتاعب كبيرة

وفي ١٦ منه ترك الباشنق الالبانيون وعدد من الرديف مواقعهم في روجاي فلاحق بهم الجبليون وأسروا ٢٠٠ رجل وغنموا ثلاثة مدافع وفي برانا نفسها وجدوا قوة من العثمانيين فدافمت دفاع الابطال حتى أحاطوا بها من كل جهة فسلم معظمها وتركوا لاعدائهم ١٤ مدفعاً و ٧٠٠ بندقية ، وتمكن الباقون من الخروج بحملة مدافع

وفي ١٩ أكتوبر احتلوا بلافا بعد معركة شديدة لكنها قصيرة . ومما يذكرونه العثمانيين مع الفخر هنا ان الجبليين رأوا بعد دخولهم بلافا عدداً من جثث الصبيان والنساء والسلاح بأيديهم . وإن قومًا يدافعون عن موطنهم الى هذا الحد ليصح فيهم قول من قال « ورب انكسار يفضل الانتصار » ، وفي ٣١ دخل الجنرال يانكو وجنوده مدينة ايبك فلم يجدوا مقاومة أما في الجهات الشمالية من السنجق فقد نجحت أيضاً قوة الجنرال المذكور لضعف الحاميات ، على ان حامية بليفلي لبثت تقاوم الجبليين في الشوارع حتى المساء فخرس الفريقان خسارة عظيمة بالنسبة الى عددهما . ثم اجتاز ١٢٠٠ جندي عثماني و ٧٧ ضابطاً حدود البوسنة بعد ان عجزوا

عن المقاومة فاسرهم النمساويون وأرسلوهم الى بلاد المجر ليقيموا هناك الى نهاية الحرب

وبعد تلك المعارك وصلت قوة صربية فصار بين الصربيين وحلفائهم خط اتصال . ثم زحف الجبليون والصربيون من ايبك الى دياكو فاحتلوها بعد معركة لم تبق اكثر من بضع ساعات ، ثم سارت جنود الجنرال الجبلي الى أشقودره طبقاً للخطة التي رسمت لها وتبعها جانب من الصربيين ، وسار الجانب الآخر قاصداً درين وأرض المردة في البانيا . وهناك تمت المهمة التي انتدب لها الجنرال يانكو فو كوتيش في سنجق بني بازار . فلننظر الآن ما جرى حول بحيرة أشقودره ثم حول أشقودره نفسها

﴿ مول البعيرة ﴾

كانت حامية توزي في الاسبوعين السابقين لاعلان الحرب مؤلفة من نحو ستة طواير ، فاجاء اليوم السابع من اكتوبر حتى بدأت المعارك بينها وبين المالدسور الموالين للجبليين . ثم زحف الجنرال لازاروفيتش في ٩ منه نحو توزي أيضاً ، وأطلق الامير بطرس ابن ملك الجبل أول مدفع عليها والموسيقى تعزف بنشيدهم الوطني ثم أخذ الجبليون يتقدمون فاستولوا أولاً على أوائل المرتفعات ثم مدوا خط هجومهم من الشمال الى الجنوب ، وفي العاشر من اكتوبر استولوا على حصن دلتشيتش بعد معركة شديدة استمرت أربع عشرة ساعة وغنموا فيه أربعة مدافع ، وفي صباح ١٣ اكتوبر احتلوا فارنيا بعد

ان ضربوها بالمدافع سحابة النهار وهجموا عليها تحت جنح الليل ، ثم تمكنوا مع المالبسور من قطع خط الرجعة الى أشقودره على قسم من الجنود العثمانية وأسروه في ١٤ أكتوبر ودخلوا بلدة هيلم في ١٥ منه . ثم اجتازت فرقهم الثانية بحيرة أشقودره في أربعة أيام وعسكرت في قوابيق ومنها زحفت الى جهة أشقودره نفسها لتحصرها

وبينما كان هذا كله يجرى في الجهات الشمالية الشرقية من بحيرة أشقودره كان الجنرال مارتينوفتش ورجاله متجهين نحو طرابوش فوصلوا الى جهتها بعد وقعات صغيرة ، وفي ١١ نوفمبر تقدم ألف منهم ليلا الى حصن طرابوش المفاجأة فاهتدى العثمانيون اليهم بالمنيرات الكهربائية وسددوا عليهم المدافع والبنادق فزقهم كل ممزق ولم ينجح منهم الا مئة رجل (١)

مصار أسقودره

وسفوطرها

ولما حل هذا الفشل بالجنرال مارتينوفتش وفرقة ، قرر ان طرابوش لا تؤخذ فجأة كما أراد أولا ، وان الهجوم عليها يجب ان يكون منظماً بعد الاستعداد ، وهنا يجدر بنا ان نصف للقاريء ذاك الموقع ليدرك أهميته الحربية : قال مراسل الجورنال الحربي

« ان طرابوش ربوة دلوها ٥٧٦ متراً ، وجانباها محصنان طبقاً للخطة التي وضعها المارشال فوندرغواتز الالماني . ولايس فيها أبراج ولا مشارف

(١) الكولونل بوكايل

حرية بل هناك خنادق ومراصد على مستوى الارض تجد فيها سبعين مدفعاً كبيراً ونحو ١٠٠ مدفع من طراز الميتراليوز وخمسة عشر الف رجل نحو ثلثهم من الالبانيين المسلمين ونحو الثلث أيضاً من النظاميين والرديف والباقون من الباشيزق وجميعهم تحت قيادة أسعد باشا وحسن رضا باشا. أما عدد الجبلين والماليسور الذين كانوا أمامهم فنحو عشرين الف رجل « ذلك هو الموقع الذي كان ينشر الرعب ويرسل الموت على خط مستدير يبلغ عشرة كيلومترات من جهة البحيرة والسهل »

وبعد ان أرسل الجبلون ماقدروا على ارساله من مدافع الحصار ، أخذوا يهجمون على طرابوش فلم يفلحوا ، وكانت الحامية العثمانية تخرج فتقاتل فريقاً من المحاصرين قتالا مرأثم تعود . وقد حاول الجبلون أن يهدموا عزيمتها بالوسائل التي استخدمها البلغاريون أولاً مع شكري باشا بطل أدرنه فاففقوا سعيًا كما أخفق البلغاريون . قال مراسل الجورنال ان الملك نقولا رفع العلم الابيض في ١٢٨ أكتوبر وأرسل مندوباً الى قائد العثمانيين ليقول له بالنيابة عنه « ان مقاومة العثمانيين لجديرة بالاعجاب ولكن جهدكم يذهب ادراج الرياح ، اذ لا يمكنكم ان تقاوموا الجوع والزمان ، فسلموا واعدلوا عن القتال كما فعل اخوانكم في كومانوفو وقرق كليسا »

فاجاب أسعد باشا « ان الامر أمري في القلعة فانا لا أسلم مادمت حياً ... ان طرابوش أتقذت شرف السيف التركي »

وحدث يوماً ان حياً من مدينة أشقودره رفع الراية البيضاء لشدة ما قاسي من هول القنابل ، فما كان من أسعد باشا الا ان وجه نيران

طرابلس على ذلك الحي وضرب الذين ارتكبوا هذا العصيان
فلما رأى الجلبليون والصربون الذين كانوا معهم ان الحماية العثمانية
مصرة على الدفاع أرادوا ان يأخذوها بالجوع والهجمات المتوالية ولكنهم لم
يفلحوا . ولبثت الحماية العثمانية تخرج وتقاتل ثم تعود حتى الحقت بهم
خسائر عظيمة ومما يذكر خروجها في ٨ و ١٠ و ١١ من ديسمبر وهجومها على
سبروكا وأوبليكا . ثم خروجها في أول يناير ١١ منه ولم يتمكن الاعداء
من وصل حلقة الحصار الا في أوائل شهر فبراير . ثم كفوا في شهر
مارس عن الاعمال الحربية لسوء حالة الجو من جهة ولان الدول بدأت
من جهة أخرى تضغط عليهم لتحملهم على فك حلقة الحصار ، بعد
ان قرر مؤتمر السفراء ان يضم أشقودره الى البانيا التي أجمعت الدول على
منحها الاستقلال كما ستري بعد نهاية كلامنا على الاعمال الحربية . غير ان
الجلبيين لم يكثرثوا أولا لضغط الدول وما لبثوا ان عادوا الى الاعمال
الحربية فقررت حينئذ الدول ان ترسل أسطولاً ليقم مظاهرات ضد
الجلب فسار هذا الاسطول المختلط وهدد الجبل فكان جواب حكمته
وملكه « أشقودره أو الموت » . ثم اضطر الصربون الى ترك الجلبين
حول أشقودره بسبب ضغط الدول فلبث جيش الجبل وحده هناك حتى
سلمت أشقودره في ٢٣ ابريل ، وهذا بعض ما تضمنته رسائل التيمس
والتان والديلي تلاف

أذاع الجلبون في ٢٥ ابريل انهم استولوا على أشقودره عنوة بعد
ان هجموا عليها ليلاً وقتلوا حاميتها بالسلاح الأبيض ، ولكن الملحق
العسكري النمساوي في شتينة عاصمة الجبل أبطل دعوائهم . والواقع ان

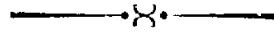
سبب التسليم هو الجوع، ونفاد الذخيرة، والتعب المضني الذي أصاب الحامية والاهالي . فقد روى مراسل الديلي تفراف في فينا انه لما دخل الجبليون المدينة وجدوا أهلها في حالة يرثى لها من العناء والاعياء . وكان الذين هدم الجوع قواهم وكاد يوردهم مورد التهلكة يقابلون الجنود الجبلية يوم دخولها ويتوسلون اليها ان تعطيهم ما تسد به الرمق ، وقد مات كثيرون من الطبقة الدنيا جوعاً في أواخر أيام الحصار وأصاب الجنون بعض الاهالي ، حتى ان أسعد باشا لم يعد يجرأ على السير في الشوارع مخافة أن يلتف حوله الناس ويطلبون منه اما الاكل واما التسليم . ولقد شاع بعد سقوط المدينة ان أسعد باشا عقد اتفاقاً سريعاً على التسليم ولكن هذا الخبر لم يثبت حتى الساعة

أما تأثير سقوط أشقودره فلم يكن عظيماً اليماً كتأثير سقوط أدرنه ، لان الدول قررت اخراجها من يد تركيا وضمها الى البانيا الجديدة قبل ان تسقط بمدة . وجل ما يقال أن طول مدة الدفاع اكسبت حاميتها خيراً وأثقت شرف السيف العثماني هناك كما قال أسعد باشا

على ان الجبليين الذين لبثوا يظنون ان الدول تدعهم في أشقودره ، أخطأوا كل الخطأ ، لان النمسا ووراءها المانيا وايطاليا ، أصرت على اخراجهم منها ، ثم أيدها سائر الدول حفظاً للسلم الاوربي الذي كادت تنقوض أركانه



المعارك البحرية



ذكرنا أهم ما كتبه المؤلفون والمراسلون الحريون حتى صدور هذا الكتاب عن المعارك البرية ، فبقي ان نعقد فصلا وجيزاً عن الاعمال البحرية ، وقبل الكلام عليها نذكر قوة كل عدو يوم اعلان الحرب

الاسطول العثماني

شرعت الحكومة العثمانية بعد اعلان الدستور في تنظيم أسطولها وكلفت جماعة من الضباط الانكليز ان يساعدوها في هذا العمل الخطير فتقدم الاسطول العثماني بعض خطوات في سبيل النجاح ، وبينما كان في ابان حركة التنظيم هجمت ايطاليا على طرابلس الغرب ، فكان اعلان الحرب الطرابلسية من الاسباب الجوهرية في ايقاف تنظيمه ولما قامت الحرب البلقانية كان الاسطول العثماني مؤلفاً من ثلاث مدرعات متوسط طنات الواحدة منها ١٠٠٠٠ وكان بينها اثنتان اشترتهما الحكومة العثمانية من المانيا وهما « خير الدين بارباروسا » « وطورغود » وتاريخ انشاء هاتين المدرعتين يرجع الى سنة ١٨٩٠ ، وعدد مدافع كل منهما ستة من طراز ٢٨٠ وثمانية من طراز ١٠٥ وسرعتها ٢٠ عقدة

وكشافة درعها ٢٠ سنتيمتراً . أما تاريخ المدرعة الثالثة المدعوة مسعودية فيرجع الى سنة ١٨٧٤ ، على انها أصلحت وجددت سنة ١٩٠٤ ، وعدد مدافعها الضخمة اثنان فقط ومعها ١٢ مدفعاً من طراز ١٥٠ . والمدرعات المذكورة، هي أفضل ما كان عند الدولة العثمانية من البوارج وكان عندها أيضاً أربع طرادات مدرعة أنشئت سنة ١٨٧٠ ثم أصححت سنة ١٩٠٧ وهي عصر توفيق وحميدية ومجيدية ، واثنان عشرة سفينة للتوريد، وتسع سفن مقاومة للتوريد وعدد من المدفعية، وسفن أخرى لا تعد ذات شأن في الهجوم أما البحارة فكان بينهم اكثر من الف ضابط و ٢٣٠٠ صف ضابط وجندي

الاسطول اليوناني

وكان عند اليونان طراد مدرعة من أقوى الطرادات الحديثة اسمها جورج افيروف (وهو اسم اليوناني الذي تبرع بمعظم ثمنها) ، وعدد طنائها ١٠٠٠٠ ، وتاريخ انشائها ١٩١٠ ، وعدد مدافعها الضخمة أربعة من طراز ٢٣٤ وثمانية من طراز ١٩٠ ، وكشافة درعها ٢٠ سنتيمتراً ، وسرعتها ٢٣ عقدة . ثم ثلاث مدرعات مصنوعة في فرنسا عدد طنائها الواحدة ٥٠٠٠ وتاريخ انشائها ما بين ١٨٨٩ - ١٨٩٠ وعدد المدافع الضخمة في كل منها ثلاثة ، والمدافع الاخرى خمسة ، وسرعتها ١٧ عقدة فقط وهي بسارا وهيدرا وسبتساي . ثم طراد صغيرة و ٨ نسابات سرعتها ٣١ عقدة ، واربع مصنوعة في انكلترا سرعتها ٣٢ عقدة . وغواصة مصنوعة في فرنسا ،

وعدة سفن أخرى لا تُعد ذات قيمة كبيرة
أما رجال هذا الاسطول فكانوا ٤٠٠ ضابط و ٣٦٠٠ صف ضابط
وجندي

الاعمال البحرية

في البحر الاسود ومرمر - وفي بحر الارخبيل والبحر الايوني

يمكننا ان نقسم الاعمال البحرية التي جرت الى قسمين أولهما كان
في البحر الاسود وبحر مرمر ، والثاني في بحر الارخبيل والبحر الايوني ،
وقد حصر الاسطول العثماني أعماله حتى يوم الهدنة الأولى في البحر
الاسود ، وكان غرضه أن يضرب بعض الثغور البلغارية ويحمي الجنود
العثمانية التي تبجر هناك أو تنتقل عند الشواطئ ، وان يمنع ارسال المؤونة
والذخيرة الى البلغار من تلك الجهة . وكان في البحر الاسود أسطول صغير
ضعيف للبلغار مؤلف من طراد صغيرة لا يزيد عدد طنائها عن ٧٠٠
ومن سبع سفن للتوريد ، فنحن نذكر أولاً ما فعله الاسطول العثماني
في البحر الاسود ثم تنتقل الى بحر الارخبيل فالبحر الايوني

أبحر قسم من الاسطول العثماني في اليوم الثاني لاعلان الحرب الى جهة
وارنه (أحد ثغور البلغار) واخذ يطارد سفينتين من سفن التوريد البلغارية
فاضطرهما الى اللياذ بذاك الثغر ، ثم ظهر في ٢١ منه أمام ثغر قوارنه
فضرب حامية بلغارية كانت هناك وأحدث اضراراً في الشكنة والمينا
ومحل التلغراف ومخزن المؤونة وبعض المباني

وبعد هذا العمل الحربي صرف الاسطول العثماني همه في البحر الاسود

الى حصر المواني البلغارية ومنع ارسال المؤونة والذخيرة اليها ، ولما وصل البلغاريون الى جتالجه بعد معركة لوله بورغاز ذهبت البارجتان مسعودية وبارباروسا الى خليج جكمجه حيث ضربتا ميمنة البلغاريين ، وكان الاسطول يتفاهم مع القوة العثمانية البرية باشارات مصطلح عليها ، فافلح في عمله وألحق ضرراً كبيراً بالبلغاريين

وبعد أيام حدثت معركة بين الطرادة حميدية وسفن التوريد البلغارية فاصيبت حميدية بضرر قاييل لم يتطلب اصلاحه زمناً طويلاً ، وقد أدت حميدية خدمة حميدة للجيش العثماني لانها حرست مؤخرة جناحه من الجهة الشمالية

ولما عقدت الهدنة الاولى في ٣ دسمبر ترك معظم الاسطول العثماني البحر الاسود وصرف همه الى بحر الارخبيل حيث كان الاسطول اليوناني لان اليونان أبوا الاشتراك في الهدنة

ماذا جرى في بحر الارخبيل؟

بينما كان الاسطول العثماني يفعل ما ذكرنا في البحر الاسود وحاصلاً على السيادة البحرية فيه كان الاسطول اليوناني حاصلاً على السيادة نفسها في بحري الارخبيل (ايجه) والبحر الايوني ، وقد جعل همه اولاً مساعدة الجيش اليوناني من جهة خليج أرطه (أنارده بالتركية) ومن جهة بريفيزا ، وتضييق الحصار على الثغور العثمانية لمنع ارسال الميرة والذخيرة والنجادات من سوريا وغيرها

وكان في مياه بريفيزا ثلاث مدفعيات عثمانية ضعيفة تخاف اليونانيون

أن تحول دون ارسال المؤونة والذخيرة الى جيشهم في ايروس فاصدر قائدهم أمراً بضرب تلك المدفيعات ، وفي أوائل نوفمبر تمكنت بعض المدفيعات اليونانية من اغراق اثنتين من المدفيعات العثمانية وأغرق العثمانيون الثالثة بأيديهم ، وما كان التاسع عشر من شهر نوفمبر حتى أعلن اليونان حصار جميع السواحل اليونانية هناك ومنعوا ارسال كل مدد الى يانيه وتمكنوا من تعضيد الصربيين بعد وصولهم الى شواطئ الادرياتيک ثم ذهب الاسطول اليوناني لحصر الدردنيل واحتل عدة جزر هناك ، وقبل وصول الجيش اليوناني الى سلايک ذهبت إحدى سفنه فاغرقت بارجة عثمانية قديمة كانت تهدد قسماً من الجيش اليوناني . وفي أواخر شهر نوفمبر احتل اليونان جزر عثمانية أخرى

وفي ٢٧ ديسمبر خرج الاسطول العثماني من الدردنيل وكان مؤلفاً من طورغود وبارباروسا ومسعودية وعصر توفيق وطراد وعدة سفن للتوربيد ، فلحظه الاسطول اليوناني وتقدم نحوه ، ولما صار على ١٢ كيلومتراً أخذ العثمانيون يطلقون النار فقابلهم اليونانيون بالمثل ، وظل القتال حامي الوطيس حتى رأى قائد الاسطول العثماني ان الطرادة أفيروف تقدمت من أحد جانبيه وأنه كاد يصبح بين نارين فامر أسطوله بالرجوع الى الدردنيل ، فأبى الاسطول اليوناني ان يلحقه مخافة أن يستهدف لنيران حصون المضيق

اما الخسارة فاهم ما يذكر منها ضرر بالغ اصاب رجل المدرعة العثمانية بارباروسا ، وضرر خفيف لحق بالطرادة اليونانية أفيروف ، وبضعة قتلى وعدد من الجرحى

ثم جرت بعض أعمال حرية أهمها خروج الطراد حديدية وتدميرها بعض السفن اليونانية واغراقها بعض البواخر التي كانت تقل جنوداً صربية في المياه اللبنانية، وكان ربانها البارع ينتقل بها من جهة الى أخرى في البحر المتوسط ويشغل أفكار الاسطول اليوناني، فحينما يأتي بورسعيد وآخر الاسكندرية، وتارة ينتقل الى حيفا أو يجتاز قناة السويس الى البحر الاحمر، وكان أركان حرب الاسطول العثماني يؤملون فيما يظهر أحد غرضين من طواف حديدية، اما ان يحملوا معظم الاسطول اليوناني على مطاردتها فيخرج حينئذ الاسطول العثماني من الدردنيل ويفتك بالقسم الباقي وبالشفور اليونانية، واما ان يلحقوا باعدائهم ما أمكن من الاضرار اذا أحجم معظم الاسطول اليوناني عن مطاردة حديدية وتركها تطوف في أنحاء البحار، ولكن اليونان اختاروا ان تبقى القوة الكبرى من أسطولهم على مقربة من الدردنيل، وهذا ما أمكن حديدية أن تفتك بعدد من الصربيين وتفعل ما فملت

على ان السيادة البحرية في جهات الارخبيل والبحر المتوسط بقيت حتى النهاية لاسطول اليونان فنشأ عنها لنكد الدنيا على الامة العثمانية ضررٌ كثير وشرٌ كبير، لان طريق البحر لبث مقفلاً أمام ألوف عديدة من الجنود العثمانية التي كانت مستعدة للسفر في دمشق ويروب وغيرها . كما لبثت الاستانة محرومة من ارسال أي شيء يسمى مؤونة أو ذخيرة عن طريق الدردنيل

وبقيت سلانيك وسائر الشفور العثمانية من جهة أخرى متروكة بلامدد وأخذ اليونان يرسلون ما أرادوا من المؤن والذخائر والسلاح من طريق

البحر الى جهات يانبا وغيرها من بلاد أيروس والى الجزائر التي احتلوها
وربما عجب المطالع من قدرة الاسطول اليوناني على حفظ السيادة
البحرية هناك لان البوارج العثمانية الكبيرة اكثر من البوارج اليونانية
ولكن الاختصاصيين لم ينلهم العجب لانهم عرفوا الاسطول العثماني
أقل من الاسطول اليوناني سرعةً وتجانساً وتمرنًا



باب الفظائع

وضعنا بين يدي المطالع جوهر ما كتبه المؤلفون الاوريون وما نشره المراسلون الحرييون حتى الآن عن معارك البلقان في البر والبحر ، فلم يبق منها ما يستحق الذكر الا المعارك القليلة التي حدثت في شبه جزيرة كليبولي وجتالجه بعد فشل مؤتمر الصلح الاول ، وهي وان كانت معارك دموية شديدة لم تحسن شيئاً من حال العثمانيين كما سترى واذا فكر المرء في تلك الحرب بل في جميع الحروب على ضروبها وجدها كلها فظائع في فظائع ولكن التقليد والعرف والقانون الدولي جعلها جائزة بين الجيوش ، وبات المفهوم من لفظة « فظائع » تعذيب الاسرى أو الجرحى ، والفتك بالنساء والاطفال والشيوخ ، والتمثيل بمن لزم الحياد ، وما اختلف منصفان في ان الحرب اذا كانت فظيعة في ذاتها لانها تجيز قتل فتية هم اكبر مظهر من مظاهر قوات الامم وأشد الاركان التي تعتمد عليها في بناء صروح النجاح ، فان قتل الضعفاء والابرياء هو أكبر الفظائع وادل الدلائل على أن نفس الانسان ما زالت حتى هذا القرن الموصوف بقرن المدنية والنور منطوية على غريزة وحشية تنزل به الى درك لا يليق بمن ميزه الخالق عن جميع المخلوقات وملكه البر والبحر

الهواء . ونحن ذا كرون هنا من الفظائع أخص ما ينسب الى كل فريق .
نعم تقول كلمتنا

﴿ ما ينسب الى البلقانيين ﴾

رأس الامور التي ننكرها مع كل حر على البلقانيين أنهم أرسلوا الى
ترافية ومقدونيا ألوفاً من رجال العصابات الذين اشتهروا بارتكاب
الفظائع في سالف الزمان وجعلوا تلك البلاد موطن الاهوال ، وقد روى
الموسيو رينيه يو مراسل الثانى الحربى خبر سفر العصابات البلغارى قبيل
الحرب واتخذ دليلاً في وقته على ان الحرب باتت أمراً مقررأ لا مندوحة
عنه ولا مناص منه . وليس هناك ريب ولا شبه ريب في ان سفر تلك
الالوف من سفاكي الدماء كان بامر حكوماتهم وتحت مراقبتها ، اذ لا
يعقل ان الحكومات التي حرمت على كل جندي أن يكتب كلمة الى أبيه
أو أمه أو حليته ، لا تراقب ألوفاً من رجال العصابات الذين أوفدتهم الى
جهات مختلفة ليقطعوا الصلات بين العثمانيين ويساعدوا الجيوش البلقانية
في مهمتها الحربية ، وهذا يهدم حجة المراسلين الذين اعتذروا عن حكومة
البلغار وغيرها بان العصابات هي التي ارتكبت الفظائع لالجيوش المنظمة .
واليك بعض ما طالعناه مأخوذاً عن جرائد ونشرات مختلفة ومذكوراً
مع مصادره :

قالت جريدة « فريستش » ان مئتين من النساء والاطفال لجأوا
الى جامع في دده أغاج فوضع البلغاريون تحته ديناميتاً ونسفوه بمن كان
فيه فلم ينج واحد ، وان غور حصاراً أصبحت مهداً للظلم والاعمال الوحشية ،

قد أحرق فيها المسلمون وهم أحياء ، وكُلف عدد منهم أن يدينوا بالمسيحية
والا أحرقوا بالنار ، ورُمي جماعة من كوملنجه في النهر وهم مكتوفو
الأيدي والجروح تقطر دماً من أبدانهم ورؤوسهم

ونشر مراسل « الالوستراسيون » في جتالجه مقالا تحت عنوان
« ما هُدم وما بقي من جتالجه » ذكر فيه ان حي المسلمين الذي كان عدد
أهله نحو ٣٠٠٠ خرب كله لآل البلغاريين أحرقوا كل شيء فيه قبل
مزايلتهم تلك البلدة، فكل ما تبصره العين جدران قائمة ومسجدان اثنان
محولان الى اصطبلين ، وما من شيء يبرر هذا التخريب المقصود بل هذا
التوحش المنكر . أما بيوت اليونانيين والبلغاريين فانها لم تُصب باذى ،
وكل من ينظر الى المدينة من جهة هذه البيوت يظنها سليمة لم تمس .
ولما وصل الاتراك مروا بالخرائب التي كانت بيوتاً عامرة لآخوانهم
المسلمين وأبصروا كل ما حصل فيها ومع ذاك كله لم يكسروا زجاج نافذة
واحدة من البيوت اليونانية والبلغارية ، بل أبقوا عليها وعلى المدارس
كما كانت ، فهم يستحقون الثناء ...

وقال مراسل الديلي تلفراف في كليبولي اني لا أستطيع وصف
البؤس الذي حلّ بمهاجري الباقمان في كليبولي فان معظم النساء فقدن
رجالهنّ اما بالحرب واما بفقد الوحوش والاصوص من رجال العصابات
أو من مواطنيهم اليونانيين والبلغاريين، فقد روت امرأة عجوز ان الاهالي
اليونانيين خانوا المسلمين في موطنها مع ان الفريقين تعاهدا على ان يحمي
كلّ منهما الآخر عند المقدرة ، فاذا دخلت الجنود التركية المدينة أولا
فان المسلمين يحمون المسيحيين ، واذا دخلتها رجال العصابات أولا فان

المسيحيين يحمون المسلمين ، ولقد حدث أن العصابات دخلت قبل الاتراك
فاخذت تسأل عن أعيان المسلمين ، وقبضت على سبعة وستين منهم ثم
قادتهم الى غابة فأنختهم طعناً بالرماح ثم قطعت حفيد تلك العجوز أرباً
أرباً (وهنا أخذت العجوز تقطع شعرها وترفع بنظرها الى السموات
وهي تستنزل الرجز واللعنة على أولئك الوحوش) ، ثم روى المراسل انه
سمع حكايات أشد فظاعة وهو لا من فاجعة العجوز كالفتك بالنساء والاطفال
وقال ان الفلاح التركي الساذج لا يكذب ولا يعرف ان يستنبط حكايات
من هذا الطراز

وروت شركة روتر في ٢٢ مارس سنة ١٩١٣ ان الجبليين شدوا وثاق
كاهن و ٣٠٠ شخص من الكاثوليك ثم وقف على رؤوسهم كاهن ارثوذكسي
فاراهم بنادق الجنود الجبلية وقال لهم ، اما ان تذهبوا المذهب الصحيح
الوحيد واما ان يرسل هؤلاء الجنود أرواحكم الى الجحيم . فقبل الثلاثمائة
مكرهين ورفض الكاهن ، فاخذوا يقطعون أطرافه ويعذبونه أشد
العذاب حتى لفظ روحه ، ولما انتهى هذا الخبر الى حكومة النمسا أرعدت
وابرت ، على ان الجبليين انكروا ما نسب اليهم ، والله أعلم

وذكر حضرة كامل بك تيمور التاجر الاسكندري الذي سافر الى
البلقان في مهمة خيرية أنه قابل قنصلي النمسا وانكلترا في مناستر فعلم
منهما ومن مفتي تلك المدينة ان مناستر كان فيها يوم وصوله خمسة عشر
الف مهاجر بلا مأوى ولا غذاء ، وان خمسة آلاف وستمائة فقط كانوا
ينالون جراية يومية من الخبز لا تزيد عن نصف أقة لكل واحد ، وذلك

على يد قنصلية انكلترا التي كانت تتلقى من جمعية الصليب الاحمر في اندرا ومن جمعية اعانة مقدونيا ما يكفي لاطعام ثمانمائة نفس . وعلى يد السيدة مكين التي كانت تتلقى ما يكفي لغذاء الف نفس ، (وكان عند السيدة المذكورة مستشفى للمهاجرين مشتمل على ثلاثين سريراً) ، وعلى يد جمعية المبشرين الاميركيين الذين كانوا يطعمون ثمانمائة شخص ، ثم على أيدي الراهبات اللواتي كنّ يطعمن الف نفس ، ويد قنصلية النمسا التي كانت تسعف ثمانمائة شخص . أما بقية المهاجرين وهم نحو عشرة آلاف ، فكانوا يموتون جوعاً وبرداً . والمرجح أن قيمة ما نهب من المسلمين في ولايات ادرنه وسلافيك ومناستر واسكوب يبلغ — على تقدير الكاتب — نحو مليار من الفرنكات

ونشر الموسيو ستيفان لوزان رئيس تحرير الماتين بعض رسائل من المبشرين المسيحيين مشتملة على وصف عدة فظائع اقترفها البلقانيون . وهذا موجز ما كتبه البعثة الكاثوليكية بمقدونيا في ٢١ نوفمبر من يانيجه

لما دخل اليونانيون المدينة كان عندنا وعند الراهبات نحو الف نفس فجاء اليونان وانتزعوهم من أيدينا برغم تضرعنا اليهم ثم أخذوا يذبحونهم أمامنا وأمام الراهبات جماعات جماعات ، وبعد ذلك جعلوا يحرقون الاسواق التركية التي نهبها الاهالي . وما زال في يانيجه حتى الان بضعة آلاف من اليونان وهم ينهجون نهج اخوانهم في سلافيك فيسرقون وينهبون وينهكون حرمة النساء ، ولا تنحصر فظائعهم

في يانينجه وحدها بل تعداها الى الدساكر والقرى المجاورة لها ، ثم انهم
يظهرون التعصب الشديد على كل انسان لا يذهب مذهب الارثوذكس ،
بل هم يتعدون هذا الحد باساءتهم الى البلغاريين الارثوذكس ،
فقد أخذوا من شيخ بلغاري مسكين ستة وثمانين خروفاً ولم يدفعوا ثمنها
ثم قالوا في كتاب ثان من تلك المدينة أيضاً ان اليونان والبلغار
يسلكون مساكاً دينياً في مقدونيا ، والنصارى الساكنون في القرى
يذبحون المسلمين وينزعون الحلي من آذان النساء ويعتدون عليهن . وحدث
في براجوتوفو ان النساء والفتيات لجأن الى الاديرة بعد قتل الرجال
ولكن الاهالي المسيحيين هجموا عليهن وقتلوهن ، وفي دولني يورسي
أخذ المسيحيون يضربون الترك رجالا ونساءً وصبيةً بالسياط ثم يزقونهم
جرحاً وطعناً ، وفي جالدينوفو لم يبق المسيحيون من الترك أحداً وهلم
جرا . قال رئيس تحرير الماتين - وصدق في قوله - « ومما يزيد تلك
الفظائع هولاً » ان رجال الدين المسيحي هم الذين يشهدون بها »

وكتب أحد مراسلي جريدة كيلوزيتويغ ان جماعة من القسوس في
مقدونيا نشروا رسالة قالوا فيها ان الواجب المفروض على كل مسيحي ان
يقدم روحاً اسلامية على هيكل الكنيسة ، فكان لتلك الرسالة صدى
عظيم عند البلغاريين ثم أخذوا يعملون بوصيته ، وقد امتد الاعتداء
الى المساجد فنكست المنابر والقيت خزائن الكتب ، فآثر في نفسي هذا
العمل تأثيراً شديداً ، ولعنت تلك المدينة « الحمراء »

وذكر مراسلي جريدة المساجيرو الايطالية ان الصربيين أفرغوا

كل جهدهم في قتل المسلمين الالبانيين وضربوا المدن التي احتلوها بدعوى
انهم وجدوا فيها مقاومة ، وذبحوا كثيرين بينهم عدد كبير من النساء
ونشرت جريدة كونيشت زيتونغ كتاباً في شأن الفظائع التي
ارتكبها البلغاريون « في قوله » قال كاتبه « وصلت خمس عصابات بلغارية
منذ شهر فاسرت الحاكم وأعلنت ان مدينة قوله صارت بلغارية فابتهج
الاعيان بقدم هؤلاء اللصوص . ثم وصل أيضاً نحو ثلاثين لصاً من
الطراز نفسه وأخبروا بان ألياً بلغارياً وصل الى هناك ، فخرجت المدينة
في ١٠ نوفمبر لاستقبال ذاك الالاي وسار مطرانها في مقدمة المستقبلين
ثم أخذت النساء تزين بنادق الجنود واللصوص البلغاريين بالازهار
والرياحين، وقرعت جميع الكنائس أجراسها . ولما كان اليوم الثاني شرعوا
يطاردون الاتراك ويقتلون أعيانهم بلا محاسبة ويرتكبون أعمالاً وحشية
في معاملة أناسٍ ليس لهم من ذنب الا كونهم مسلمين ، وعند نصف
الليل كانوا يخرجون بالسجناء فينزعون قصائهم وكل ما يستر عورتهم ثم
ينحون عليهم طعناً بالحراش في أدق الجهات شعوراً من أجسامهم
ويضربونهم باخشاب البندقيات حتى يخرجوا أرواحهم . وقد أعدموا
على هذا النمط ستة وثلاثين في الليل الاول لوصولهم ، وخمسة عشر في
الليل الثاني، وثمانية في الليل الثالث وهلم جرّاً ، حتى بلغ الذين قتلوا في قوله
وحدها مئة وخمسة عشر ، ثم اعتدوا على أعراض النساء والبنات اللواتي
قتل رجالهنّ

أما في سرس فان الاتراك أخذوا يدافعون عن أنفسهم فقتلوا جنديين
من الصربيين ، فلما علم الضابط الصربي بقتلها فتح ساعته وقال لجنده « نحن

في الساعة الرابعة بعد الظهر فيمكنكم ان تفعلوا ما تريدون منذ الآن حتى الساعة نفسها بعد ظهر غد» فما صدر هذا الاذن الى تلك الوحوش الكاسرة حتى هجموا على الاتراك قتلوا منهم في أربع وعشرين ساعة ١٢٠٠ أو ١٩٠٠ على رواية أخرى «

« ولما دخلوا دراما قطعوا رأس أحد الاتراك ونصبوه على صندوق ثم وضعوا بين شفتيه غليوناً «

وقبض جماعة من الجبلين على ضابط عثماني فقطعوا أنفه وأذنيه وققأوا عينيه قبل موته ، فرسمته جرائد الاستانة وبعض الجرائد الاوربية ووضع بيير لوتي الكاتب الفرنسي ذاك الرسم الفظيع على صدر كتابه « تركيا المحتضرة «

« وأحرقت العصابات ٣٨ قرية من ٩٨ في قضاء كلوردار . وذبحت جميع أهالي درينوفو . وحفرت بين هذه القرية وباليكورا عدة قبور دفنت فيها الذين عذبتهم وهم في قيد الحياة أو على وشك الموت ، فكان عابر السبيل يبصر رؤوس تلك الضحايا نابتة من الارض على شكل فطيع «

« وحدث ان إحدى السيدات المسلمات رأت بعينها رجال بعض العصابات البلغارية يعتدون على ابنتها فاخذت بندقية وأطلقتها على البلغاريين فكان عماها سبباً في مذبحه هائلة ، ومما فعله أولئك الوحوش انهم حبسوا النساء والبنات في إحدى القهوات وأحرقوها بهن ، ثم ارتكبوا مثل هذا الجرم في كور كوتوفو ، فأحرقوا نساءها وهن داخل مسجد «

ونشرت جريدة ريشبوست تقريراً مفصلاً عن الفظائع التي ارتكبتها الصربون في البانيا ، وخلاصة ما تضمنه ان الصربين أبادوا أهالي مدن باسرها وأنهم ذبحوا في ولاية قوصوه وحدها ٢٥٠٠٠ نفس . ثم طلب واضع التقرير من الدول الاوربية ان تؤلف لجنة تحقيق للتثبت من حقيقة تلك الفظائع

وقال مراسل الديلي تلغراف ان المراسلين الحربيين من نمساويين وانكليز وإيطاليين ورومانيين أظهروا الفظائع التي ارتكبتها الجنود الصربية في كثير من جهات مقدونيا . أما الفظائع التي ارتكبتها في البانيا فيظهر ان الخوف من امكان نشوب حرب أوربية عامة حوّل عنها الافكار . ولكن الاهتمام بها عاد في هذا الوقت (أوائل يناير) فجمعت الحكومة النمساوية جميع التقارير المشتعلة على أخبارها ، وقد سنحت لي فرصة للاطلاع عليها فوجدت ان جنود الجنرال يانكوفتش أعادوا في القرن العشرين جميع ضروب الاضطهاد القاسي التي رواها التاريخ فانهم لم يكتفوا أيام زحفهم في الانحاء الالبانية بذبح الالبانيين المسلحين غيلة وخداعاً بل دفعهم التوحش الى قتل أناس عزل من السلاح والفتك بالشيخ والنساء والاولاد حتى الاطفال الرضع ، ومما قاله الضباط الصربون وهم في سكرة النصر ان خير وسيلة لنشر لواء الراحة والسلام في البانيا انما هي ابادة المسلمين فيها ، وما اتصل هذا الكلام باذان الجنود الصربية حتى أسرعوا الى انفاذه فبلغ عدد الذين أعدموا فيما بين كومانوفو وأسكوب ٣٠٠٠ نفس ، وعند برشتينا ٥٠٠ ، وما كان هذا الفتك بم

في معركة شريفة بل في عدة مذابح لا يمكن تبريرها ، وقد اخترعت الجنود الصربية لتبريد شوقها الى الدم أساليب جديدة فكانت تحيط بالمنازل وتشعل فيها النيران ثم ترمي بالرصاص كل من يطلب الخلاص ، وتعتمد الى قتل الرجال أمام نساءهم وأولادهم ثم تضطر الوالدات البائسات الى حضور مشهد الفتك بابنائهن وتقطيعهن ارباً ارباً

وكان الاعدام اليومي سلوان الجنود الصربية ، فانها كانت تقبض على كل من تجد عنده سلاحاً ثم تقتله شنقاً أو رمياً بالرصاص ، وقد أعدمت في يوم واحد ثلاثين نفساً وبلغ توحشها الى حد أن الصربيين المقيمين في بلاد المجر أظهروا استياءهم من المذابح التي ارتكبتها اخوانهم في البانيا ، فان الموسيو توميتش الذي كان سكرتيراً للموسيو باسيتش رئيس الوزارة الاسبق روى انه لما سافر من بريزرند الى ايبك لم يجد على جانبي الطريق الا قرى محرقة ومهدمة حتى مستوى الارض ، وكانت الدروب مزروعة من المشانق والجثث معلقة بها ولا سيما درب ديا كوفيتزا

وروت جرائد باغراد نفسها بعض ما كانت جنود الصرب تجترمه من القسوة والتوحش ، فن الروايات التي لم تخل من نشرها ان الكولونل أوبستش لما دخل بريزرند مع ألابيه صاح في جنوده « ألافأقتلوا » فهجمت الجنود على المنازل وفتكت بكل من وقع تحت يدها ، ولوعدت الجنايات التي ارتكبتها الجنود الصربية في برله وقوسي وفرسيرزا لعادلت كل ما قاساه الالبانيون في مدة الحكم التركي

ثم روى المراسل نفسه في موضع آخر نقلا عن تقارير الحكومة النمساوية أيضاً ان الصربيين كانوا يذبحون الشيوخ والنساء والاطفال

وان الجنرال ستفانو فنتش أوقف مئتي أسير صفين متناسبين وأخذ يطلق عليهم قنابل الميتراليوز ، وان الجنرال زيفكو فنتش قتل ٩٥٠ عينا من الالبانيين والأتراك بحجة أنهم أبدوا بعض المقاومة وأرسل المستر مرمدوك بكثول الكتاب الآتي الى جريدة التيمس :

« ان شهرة التيمس باستقلال الرأي تحماني على الرجاء منكم ان تسمحوا لي بتوجيه الخواطر على صفحات جريدتكم الى حالة مسامي مقدونيا . فقد دلت الاخبار التي جاءتني وجاءت غيري ان هناك مكيدة مدبرة لذبح غير المقاتلة من الرجال والنساء والاولاد، وقد بدأت المذابح منذ أسابيع ولا تزال قائمة حتى الآن ، وليس لها غاية الا ابادتهم عن آخرهم ، ويقال ان عدد الضحايا (وفي جملتهم الهاربون) زاد كثيراً حتى الآن على نصف مليون نسمة ، والواقع (اذا صحت الأنباء التي وصلتني وليس هناك ما يحماني على الارتياب في صحتها البتة) ان أفضع المذابح في العصور الحديثة تجري باسم المسيحية

« انا آخر من ينتظر المحافظة على أصول المروءة في الحروب الشرقية ولكن ما يجري ليس بحرب بل هو مجزرة . وكلما انتشرت أنباء تلك المذابح عم السخط الشديد من ميل الحكومة الانكليزية الى اخفائها على ما يظهر ، وهذا ما لا يدرك سره رجل مثلي كان يتصور ان تربية حسن الظن والشعور بين المسيحيين والمسلمين هي جزء من سياسة انكلترا الثابتة ، ولا ريب ان سكوتنا عن تلك الفظائع الهائلة يقع أسوأ وقع في صدر كل مسلم يعلم قيامنا وقعودنا من جراء مذابح محلية

صغيرة أقدم عليها الا كراد أو الالبان

« ألا كم كان عدد المسلمين منذ شهرين في البلاد التي فتحتها الجيوش
البلغارية وكم عددهم الآن ؟ وما هي الآلام التي حلت بتلك الخلائق
البائسة من رجال ونساء ؟ وما هي العصابات البلغارية ؟ أليست ممثلة
لعصابات الباشيزق العثمانية التي ملأنا الآفاق ضجيجاً بسبب أعمالها في
الماضي ؟ فهل شنق البلغاريون رجلاً من رجال تلك العصابات ؟ ثم ماذا
فعلت الجنود النظامية من بلغارية وصرية ؟

« تلك المسائل وغيرها (أي تعذيب اليهود) تتطلب تحقيقاً مختلطاً .
وشرف المسيحية والحضارة أيضاً يتطلب تحقيقاً كاملاً »

وهنا نجس القلم عن ايراد بقية الاخبار المؤلمة ونؤكد للقاريء ان
بين أيدينا من الرسائل الشبيهة بما ذكرنا ما يملأ مجلداً كبيراً ، وجلدها من
مصادر غير عثمانية تختلف في مبانيها وتتفق في معانيها ، أي الاحراق
والاغراق والنهب والسلب وهتك أعراض النساء والفتك بالضعفاء
والأبرياء ، وما شاكلها من الاعمال التي تنزل بالانسانية وتحط من قدر
المدنية وتظهر حقيقة الذين سلوا سيوفهم لخدمة العدل والحرية ...

﴿ ما ينسب الى العثمانيين ﴾

أما الجنود العثمانية فقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب انها
فتكت بجماعة من الأبرياء أيام تقهرت أمام الجيش اليوناني . ثم طالعنا
في كتاب المونسير رينيه ييو مراسل الطان الحربي الصحيفة الآتية

« رأيت مشهداً فاجعاً ، رأيت أوتومبيلا فيه ضابطان جريحان ماتا من شدة البرد ، وبلغ عدد الذين ماتوا في هذا الليل نحو ٢٠٠٠ ، أما أنا فلم أسر على « طريق النزع والاحتضار » الذي اتبعه الجيش التركي المتقهقر » بل درت دورة تبلغ نحو ١٠ كيلومترات من الجهة الجنوبية راكباً على جوادي بقصد ان أرى قرية أصبو ، وهي إحدى القرى المسيحية العديدة التي أحرقتها الجنود التركية ، ولما بلغت لم أجد الا أطلالا وخرائب ، ولم تكثف تلك الجنود بأحراق المنازل بل ذبحت الاهالي المخلدين الى السكينة ، ولقد رأيتهم يدفنون ثمانين من أولئك الساكنين وأبصرت بعيني بعض الجثث مطروحة ، وطفلاً رضيعاً سُحقت ميمنة وجهه بضربة شديدة من خشبة بندقية أو رفسة بكعب ، وفتاة بين السادسة والسابعة من العمر مخروقة الجسم بحربة ، وكان الناظر يبصر أيضاً بعض جثث أخرى تحت الانقاض ، لان الجنود ذبحت كل من وجدت ولم تبق الا على عشر من الفتيات ...

« وحدث ان خمسين من الاهالي لجأوا الى إحدى الكنائس فحاط الجنائون بهم ثم أحرقوهم فيها ، وكان أدلائي جماعة من الشيوخ الذين هربوا قبل وصول الجنود وبينهم واحد يبكي بكاء يفطر الفؤاد لانه خسر كل آله وماله

« أما في سراي فان الجنود التركية لم تجد وقتاً لسفك الدم ولكنها صبت جام الانتقام على كنيسة يونانية صغيرة فكسرت ثرياتها بالعصي ومزقت الصور ورمت بالاقذار في المحل المقدس وشوت اللحم هناك ومزقت الانجيل »

وأشار الموسيو هوشوخر في كتابه الى احراق القرى أيضاً .
وطالعنا عدة رسائل في وصف فظائع العصابات الالبانية ، وهي كلها لا
تخرج عما ذكرنا من تلك الاعمال الوحشية

غير انه يجب علينا أن نثبت هنا خدمةً للحقيقة والتاريخ ان الرسائل
التي وقعت الينا منذ ابتداء الحرب في شأن الفظائع البلقانية هي اضعاف
اضعاف الرسائل والفصول المتعلقة بالفظائع التركية والالبانية ، ولذلك
ارتفعت اصوات كثيرة من بلاد الحرية والمدنية اعتراضاً على البلقانيين .
فقد نشر الموسيو بيير لوتي الكاتب الفرنسي الكبير رسائل عديدة
في الطعن علي جمود أوربا أمام الفظائع البلقانية ثم الف منها ومن غيرها
كتابته المسمى « تركيا المحتضرة » . واذا قيل ان بيير لوتي مشهور بغلوه في
الدفاع عن الاتراك ، قدمنا للمعترض شطراً من المقدمة الآتية التي وضعها
السير ادام بلوك رئيس مجلس ادارة الديون العمومية فان هذا المالى الذي
لم يشتهر بتطرف أو غلو كتب في صدر تقرير عن الفظائع يقول

« كان من المنتظر ان الضغائن الجنسية والدينية التي أوقظت في
مقدونية مدة الخمس والعشرين سنة الماضية والتي لا تعزى الى سوء
الادارة العثمانية وحده — تزداد شدةً عند نشوب الحرب . واسدج
ساذج كان يستطيع الانباء بالنتائج التي لا بد ان تتبع التجاء ممالك البلقان
الى السيف

« قاست مقدونية في الاشهر القليلة الماضية اكثر مما كانت تقاسيه

من سوء الادارة العثمانية لودانت سنين حمرة . فقد أضيف الى فظائع حرب هلك فيها مئات ألوف من الرجال إبادة سكان مقدونية المسلمين . فان الحرب الحاضرة قامت سوقها بلا اكتراث لقواعد الحروب المعترف بها عند الامم المتعدنة . وليس من السهل ان نجد لها مثيلا في الحروب الحديثة بين الممالك الحضرية

« وان عدم استطاعة المنصورين منع القتال والنهب وسائر الفظائع لا يمكن ان يعود عليهم بالسمعة الحسنة . ولست أعزو اليهم العزم على ابادة العنصر الاسلامي عمداً ، ولكن هذا ما جرى تقريبا . وسيندم الحلفاء لان مقدونية باتت الآن شبه « بيضة فارغة » — بلاداً أكلها السيف والنار وأقصي عنها أهلها المسلمون حرّاث الارض ، بسبب ما نالهم من الضيق والفاقة ، وكثير من الذنب على الحلفاء أنفسهم

« ان الحرب وأخذ البلاد انما يبرران اذا عادا بالخير والرخاء على أهل تلك البلاد . ومن الممكن — وان يكن ليس من المؤكد — ان تبديل الحكم يعود بالفائدة على أهل مقدونية المسيحيين ، ولكن من الواضح وضوح النهار ان الحرب لم تفد المسلمين بتاتا ، وخرابهم لا بد ان يكون عظيم الضرر علي مستقبل البلاد

« ولست أزعّم ان الترك كانوا بريئين من الجرائم والفظائع في الماضي أو انهم لم يسفكوا دما بريئا في الاشهر القليلة الماضية . على انه لا يمكن ان يكون ميزانان ومقياسان . وصحف أوروبا وفي جملتها صحف انكلترا التي ذمت فظائع الترك في أزمانها شديد الذم صمتت في هذا الوقت

« لطالما احترم الشرقي وخصوصاً التركي الرجل الانكليزي ووثق به لما اشتهر عنه من حب العدل والانصاف . ولكنني أخشى ان يكون هذا الاعتقاد آخذاً في الزوال ، وعندى ان شعور التركي بذهاب روح العدل والانصاف من الانكليزي انما يستأصل بالالاحاح في طلب تحقيق تلك الفظائع ومعاقبة المجرمين

« اني لم أشارك في البحث والتحقيق اللذين أفضيا الى نشر هذا التقرير . ومهما يبد الناس من الشك في صحة جميع التفاصيل المذكورة فيه فانه يبقى ما يكفي ليحملنا على الامل أن أوربا التي كانت سريعة التصديق لانباء فظائع الترك لا تنبذ جانباً تلك الادلة المعروضة عليها نبذ المستخف بها »

وخطب لورد كرومر في مجلس اللوردة عند تناقش المجلس في مسألة ذبح الجنود البلقانية غير النظامية للمسلمين فقال :

« مهما تكن نتيجة الحرب فاني لا أشك أن المسئلة المقدونية تبقى بيننا ، فقد كان الناس يرجون ويؤكدون انه متى زال الحكم العثماني من مقدونيا لم نعد نسمع بالمذابح ، ولكن خابت آمال الذين يظنون ان الجهاد في سبيل المسيحية هو جهاد في سبيل المروءة والفلاح . واني أبريء الحكومة الانكليزية من كل تهمة اهمال ولكن لا يسعني الا المقابلة بين الفيظ الشديد الذي كان بعض الطبقات يظهرونه في بلادنا لما كانت المسئلة مسألة ذبح الترك للمسيحيين — وبين ما يظهرونه الآن من شدة الجمود

لما صارت المسئلة مسئلة ذبح المسيحيين للترك »

تلك قطرةٌ من بحر عن الفظائع التي صبغت هضاب البلقان بدم
الانسان وجلبت على مرتكبيها من العار ما لم تجلبه فظائع القرون
الوسطى لان أهل ذاك الزمن كان لهم عذر الجهل والهمجية ، فما هو اليوم
عذر أهل هذا العصر الذين طلعت عليهم شمس العلم وقاموا يدعون المدنية ؟
انا طالعنا بحكم مهنتنا الصحافية جميع الاعذار التي انتحلها أصدقاء
البلقانيين لهم ، وهي تنحصر في ثلاثة وجوه أولها ان جنود الاتراك
والباشيزق فتكوا بالبلقانيين في سالف الزمان فلا تجد بلغارياً ولا صربياً
ولا يونانياً ولا جبلياً الا ويسمع من والديه وأجداده وجداته أقوالاً
تُشيب الاطفال قبل الرجال ، ولا يفتح صحيفة من صحائف تاريخه الا
ويجد فيها ما يضر من نار الحقد في صدره على تركيا . والثاني ان جميع الجنود
في معظم الحروب لم يسلم شرفها من المذمة ولم يخل تاريخها من أخبار القسوة
والحوادث المؤلمة في ابدان تحمّسها . والثالث ان ما نُشر عن تلك الفظائع
كان فيه غلو كبير ، وان العصابات هي التي اقترفت معظمه فلا يصح أن
يُنسب كله الى الجنود المنظمة

فنقول في الوجه الاول ان مثل من ينتحل لهم هذا العذر مثل من
يرى السارق أو القاتل لان أناساً آخرين سرقوا وقتلوا . ثم ان البلقانيين
ادعوا دعوى عريضة يوم زحفهم ، وهي انهم يريدون رفع المظالم والمغارم
عن رعايا تركيا في مقدونيا ، فكيف يجوز لمن يدعي تلك الدعوى أن يظلم
(٢٥)

الابرياء والضعفاء وينهك الاعراض ويتفنن في ارتكاب الفظائع ؟ فهم
ينهون عن خلقٍ ويأتون مثله ، وهو عار كبير

ثم انهم فوق ذلك كله أعلنوا الحرب باسم الصليب ، ورمز الصليب انما
هو الرحمة والرافة ، فإن الرحمة في احراق الشيوخ والنساء والاطفال في
الجوامع والقهوات ، أين الرحمة في دفن الشبان وهم أحياء ، أين الرحمة
في تعذيبهم وتقطيعهم ارباً ارباً أمام والداتهم وفي تدنيس عفة البنات ؟
اننا لا ننكر والتاريخ شاهد أن الجنود التركية من باشباز وغيرها فتكت
بالبلقانيين فتكا ذريعاً في أوقات مختلفة ، ولكن مذبحة البلقانيين قبل
معاهدة برلين ، تلك المذبحة التي اهتزت لها أوروبا من شرقها الى غربها
وشمالها الى قبلها بلغ عدد ضحاياها ما بين ١٥ و ٢٠ ألف نفس ، والمأخوذ
اليوم من عدة روايات غير عثمانية ان الذين ذبحتهم الجنود المتحالفة في
ولاية واحدة يربو على هذا العدد

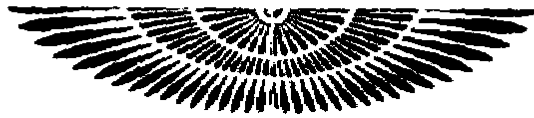
ونقول في الوجه الثاني - وهو ان جميع الجنود في جميع الحروب
لا يخلو تاريخهما من أنباء القسوة والحوادث المؤلمة - أجل ان الروسين في
حرب بولونيا والالمانيين في حرب السبعين والانكليز في حرب الترنسفال
لم تخل أعمالهم من ضروب القسوة والخشونة ، ولكن الفرق كبير بين
حوادث معدودة تقع هنا وهناك وبين فظائع عامة شاملة يراد بها استئصال
جنس من الاجناس أو انقاص عدده الى حيث يتولاه الضعف فلا تقوم
له قائمة ، ولو كان مبلغ الفظائع البلقانية في حرب البلقان كمبلغ الفظائع
العثمانية فيها أو مبلغ فظائع الالمانيين في حرب السبعين لقلنا ان الجيوش
المؤلفة من مئات الالوف لا يمكن ان تكون كلها مدنية مهذبة الطبع

كريمة الخلق ، بيد أن متسع الفظائع التي تنسب الى الحلفاء بلغ حداً قصياً حتى قال فيه بعض الكتاب الاحرار « انه اذا صحت جميع أخبارها فان البلقانيين ارتكبوا في خمسة أشهر بقدر ما ارتكبه الباشيزق والجنود التركية في خمسة قرون »

أما الوجه الثاني أي كون الاخبار المنشورة لا تخلو من غلو كثير وان العصابات هي التي اقترفت معظم الفظائع فهو ما يعجز مثلنا عن تكذيبه قبل التحقيق ، ونحن لم نرَ لسوء طالع الانسانية ولسوء سمعة أوربا ان أصوات الاحرار الذين طلبوا التحقيق وقعت في آذان مصفية مفتوحة ، على انا نعود فنذكر هنا الملاحظة التي قدمناها ، وهي ان تلك العصابات مشيت الى تراقية ومقدونيا باوامر من حكوماتها التي جعلت لها مهمات معينة ، وحكوماتها أعرف الناس بالفظائع التي ارتكبتها سحابة أعوام في القرى المسيحية نفسها لاجل النفوذ السياسي . فان العصابات اليونانية كانت تفتك بالاهالي البلغاريين ، والعصابات البلغاريين كانت تجر ذيل الخراب والدمار على القرى اليونانية وهلم جرا . أفما كان الواجب الانساني يقضي على تلك الحكومات التي رفعت الصليب يوم زحفها بان تأمر زعماء تلك الشراذم القاسية بالوقوف عند حدها ؟ لا ننكر ان ضبط زمامها صعب ولكن الحكومات كان يمكنها بما عندها من الحول والقوة ان تخفف كثيراً من جرائمها وفظائنها ولسكنها لم تفعل ، فلم يجد المنصفون لاهالها مبرراً

على ان اللوم ليس كله عليها بل يجب ان يلقي شطر كبير منه على أوربا لانها لو تحركت للفظائع التي جرت في الشهرين الاولين كما فعلت أيام

ارتكبت الجنود العثمانية آثامها قبل معاهدة برلين في بلاد البلقار
لاضطرت الحكومات البلقانية الى ايقاف تيار الهول ، ولكن نصرها
باهرًا نقيًا من الشوائب والمخجلات



الصحافيون

بين النار والحديد

منشئ هذا الكتاب صحافي يحب الصحافة وآلها والبراعة ورجالها
فليسمح له المطالع ان يقول هنا كلمة عن أعمال الصحفيين وهم في ساحات
القتال بين الحديد والنار:

يروون ان هو ميروس صاحب الالياذة الشهيرة كان أعظم مراسل
حربي في قديم الزمان ثم يتطرقون الى ذكر أشهر المراسلين وأعلام كعباً
فيذكرون عدة أسماء حديثة منها الرحالة ستانلي الذي راسل نيو يورك
هيرالد، وجورج فيلون الذي عين مديراً لشركة هافاس في فرنسا،
وستندال، وفرنسوا دلونكل، وجورج غولي، وجان بارير وغيرهم من
الذين لا يسع المقام أسماءهم

ولا يذهبن عن المطالع ان الكلام في هذا الباب ينحصر بحكم
الضرورة في الصحف الأجنبية لان صحفنا العربية لم تبلغ حتى الآن
من الثروة والرقي ما يمكنها من ارسال مندوبين اختصاصيين على نفقتها
الى ساحات القتال، وأسمدها حظاً هي التي تعرف صديقاً يحضر حرباً
فتكافئه ان ينفجها برسائل مأجورة أو غير مأجورة، ولا يهمها ان يكون

اختصاصياً أو غير اختصاصي ، ولا يسع المنصف الا ان يلتمس لها عذراً
ما دامت الجريدة التي تتفوق على جميع رصيفاتها في البيع والنشر لا تبلغ
درجة احدى جرائد المديريات في أوروبا ، فهل يمكن واحدة منها أن
تفعل كالتي باريزين التي كانت تنفق كل يوم على رسائلها الحربية ٣٠٠٠
الى ٤٠٠٠ فرنك . فكيف بالتيمس وغيرها من سيدات الجرائد
في العالمين

وهناك عذر آخر لجرائدنا وهو انه لو أرادت احداها ان ترسل
اختصاصياً كفؤا الى الحروب لما وجدت ، فان المراسل الحربي لا يحتاج
الى مال كثير فقط بل هو يحتاج الى معرفة فنية وصحة قوية وشجاعة
كبيرة ، قال جان بارير في رحلته الى حرب الترنسفال « أعترف لكم بان
يدي أخذت ترتجف حين وصلت الى الخنادق الاولى وأخذت أسمع صفير
الرصاص لأول مرة ، فقد كنت لا أستطيع ان أضع نظارتي على عيني
لما أصابني من الارتجاف . واني لمي تلك الحال اذا برفاقي هبوا للهجوم
فاضطرت الى التقدم معهم نحو العدو وكان الرصاص يمر من فوق رأسي
كالمصفور الصافر ، ثم نظرت يمينا فاذا الجندي القريب مني طرح فظننت
ان رجله عثرت بحجر ولكني تحققت بعدئذ انه قتل . ثم واصلت العدو
نحو العدو فوجدت في طريقي جثة أخرى ثم وقف جندي آخر وما لبث
أن وقع . وكسرت احدى الرصاصات حجراً كان على بعد سنتيمتر
واحد من رجلي ، ومع ذلك كله فقد بقينا نتقدم وكأننا نتحامل

وقال الموسيو ريمون ريكولي الذي كان مراسلاً للثان في حرب
الصين « أول ما يحتاج اليه المراسل الحربي هو بنية كالحديد ليتمكن من

مقاومة الاتعاب والامراض والانفعالات النفسية ، ثم يلزمه كثير من الحزم في سلوكه فقد كدت أقع أسيراً لاني قضيت ليلة في أحد البيوت المنفردة . ولو وقعت في قبضة الاعداء لاعدوني بحجة اني جاسوس روسي أما المشاهد التي يراها المراسل الحربي فهي من أشد الاهوال على النفوس فقد رأيت بعيني ان قنبلة أصابت راهبة كانت تداوي الجرحى فقطعتها قطعتين ورأيت ان خادمي أصبح مجنوناً ورأيت ورأيت ... تالله ان حرفة المراسل الحربي هي مهنة قاسية كهنة العسكري وكبيرة عظيمة مثلها ويظهر ان المراسلين الحقيقيين يخافون المراقبة بقدر ما يخافون الرصاص « قال الموسيو ريمون المذكور » لا يخفي ان كل جيش يجعل للصحافة ادارة مخصوصة وأهم رجالها المراقبون وهم الجلادون الذين يخافهم المراسلون الحربيون أشد الخوف ولا يرتعدون من صفيح الرصاص ودوي المدافع بقدر ما يرتعدون منهم »

ويؤخذ من أقوال مراسلي الجرائد الذين حضروا حرب البلقان ان المناظر الهائلة التي رأوها لم يسبق لها نظير . فقد كانت المدافع تحصدها فرقاً بأسرها في بضع ساعات فتتراكم الجثث هنا وهناك وتسيل الدماء جداول بل أنهرأ . وكأنما أولئك المراسلون لا يكفهم ان يقاسوا تلك المصاعب العاتية ويروا تلك المناظر التي تقذي العيون وتفتقر القلوب حتى يروا في بعض الاحيان مصاعب أخرى من اخوانهم وزملائهم . فقد حدث في حرب الصين ان المراسلين الاميركيين بعد ان أرسلوا تليفرافاتهم قطعوا الاسلاك التليفرافية فتأخرت تليفرافات المراسلين الاوربيين ريثما أصلحت تلك الاسلاك . ولكن الجرائد الحرة قسحت عملهم لانه لا يدل

على براعة معجبة فقد كان يكفيهم انهم سبقوا غيرهم في ارسال التلغرافات
أما البراعة الصحافية التي حيرت السياسيين ورمت العلة في قلب
بسمرك ، فهي التي أبداهها المستر بلويتز مراسل التيمس أيام مؤتمر برلين .
فان هذا الصحافي الطائر الصيت كان يرسل الى جريدته كل ما جرى في
ذاك المؤتمر العظيم يوماً فيوماً حتى تميز البرنس بسمرك غيظاً وملاً
جهات القصر الذي كان يُعقد فيه المؤتمر عيوناً وجواسيس . وكان
يذهب بنفسه فيرفع كل ستار ليرى هل اختبأ أحد وراءه . وكان
عند جلوس المندوبين يضرب بكمب رجله تحت الطاولة لان بعضهم
أذاع في ذاك الوقت ان أحد لصوص الاخبار كان يختبئ تحتها . أما ما قيل
من ان المستر بلويتز نفسه كان يختبئ هناك فهو قول لا يعول عليه لان
الرجل كان عظيم البنية كثير السمن

وعلى الرغم من تلك الاحتياطات بقي ذاك المراسل الكبير يرسل
الى جريدته نتيجة المباحث اليومية في المؤتمر حتى ختمها بعمله الشهير وهو
ارسال معاهدة برلين الى التيمس قبل ان تصل الى الحكومات نفسها .
فكيف كان يفعل ؟

قال الموسيو جورج ميشيل ان صديقاً قديماً لذك المراسل خبرني مع
التحفظ انه « اشترى » عضواً من أعضاء المؤتمر ، وهذا الخبر لا يقبل
التصديق لاول وهلة ولكن من يتذكر ثروة التيمس الطائلة وبراعة
مراسلها الهائلة ثم يتذكر من جهة أخرى ان بعض أعضاء الحكومات
البلقانية كان فقيراً ، يجد الامر ممكناً

وقيل ان البرنس بسمرك بقي بعد المؤتمر مهتماً شديداً بمعرفة

الوسيلة التي توصل بها مراسل التيمس ، وكان يعرف انه يحب الحسان
فارسل اليه جاسوسة أجنبية جميلة لتعشى معه ، ولما ظنت ان الفرصة
موافقة لسؤاله عن السر حاولت استطلاعها ، ولكن الموسيو بلويتز لحظ
من جهة ان في المحل مرآة مكسورة وظن ان وراءها أحداً ، وكان من
جهة أخرى يعرف استخدام النساء في التجسس فالتفت الى الجاسوسة
الحسنة وقال لها « أيتها العزيزة لا يمكنني ان أخفي عنك شيئاً فاعلمي اني
حصلت على أخباري من البرنس بسمرك نفسه ... »

وروى ان البرنس دي بسمرك صار يفيض الصحفيين بغضباً شديداً
من أجله ، ولكن هذا البغض لم يكن لينعه من اللياذ بهم في ترويج
الافكار السياسية والمشروعات الاقتصادية التي كان يراها مفيدة لالمانيا

وليس بمنتقد على كبار السياسيين ولا سيما قواد الجيوش أن يكون
خوفهم كبيراً من الصحفيين في بعض المواقف الحرجة ، فان الصحافة على
كونها قوة كبيرة محترمة في أوروبا لا يستطيع أقطاب السياسة وأمرأه
الجيوش أن يدخلوا أصحابها في جميع مجالسهم أو يوقفوهم على سرائرهم
حين تكون المسألة لدى وطنهم مسألة موت أو حياة ، لان من يفكر
في الحالة النفسية التي طبع عليها الصحفي الحقيقي ويعلم أن له من نفسه
دافعاً قوياً الى التنقيب عن الاخبار ، ووصف المشاهد ، وانتقاد الامور
أو استحسانها ، وان هذا الدافع كثيراً ما يشتد الى حد لا يمكن معه
كتمان ما حُرِّم نشره ، يعلم أيضاً ان السياسي الذي يمهّد السبيل لاتفاق
أو محالفة دولية ، والقائد الذي يضع خطة حربية ربما كان علمُ المدوِّبها

(٢٦)

مجلبة لفشل جيشه ، لا يمكن لومه اذا بالغ في التكتم كما فعل اليابانيون
وأخذ عنهم البلغاريون

تصور مثلاً ان القواد البلغاريين الذين كان لديهم أربعة وثمانون
مراسلاً حريباً على رواية الموسيو رينيه ييو مراسل التان الحربي ، والذين
كانت مصلحتهم الحيوية تقضي -- كما اشتهر -- بان يضربوا ضربة
سريعة قبل ان يتم حشد الجيش العثماني -- تصور ان هؤلاء القواد
سمحوا للمراسلين ان يفعلوا ما فعلوه في حرب السبعين بين الفرنسيين
والالمانيين فهل كان في وسعهم ان يبقوا خطتهم سرية ويسيروا عليها بتلك
السرعة التي بدت منهم أمام الجيش العثماني الشرقي ؟ ان الجواب
لا يحتمل التردد

على ان الصحافي من جهة أخرى يلزمه أن يقوم بواجبه ويرضي
جريدته وقراءه ، والصحافة دولة في الدولة عند الغربيين فلا مندوحة
عن التوفيق بين المهنة الصحافية والمصلحة الكبرى المعرضة للخطر ، ولا
وسيلة الى هذا التوفيق الا بقبول الصحافيين في الحروب وتقييدهم
بشروط . واذا أراد المطالع ان يعرف مبلغ الصعوبة التي يقاسونها في ارسال
الاخبار فليقرأ هذا الامر الذي أصدره رئيس أركان حرب الجيش
البلغاري :

الى المراسلين الحربيين

لا يجوز للمراسلين الحربيين أن يرسلوا الى جرائدهم أخباراً عن
الامور الآتية :

أولاً نظام الجيوش أو تفريقها أو عددها أو مقاصد قوادها
ومشروعاتهم الحربية

ثانياً ترتيب الجنود، والمحلات التي تقيم فيها، وأشخاص قوادها
وأركان حربها، ومؤخرة الجيش، والجنود الاحتياطية التي عنده
ثالثاً تسليح الجيوش والقلاع، وأحوال المواقع، وإدارة الميرة
والذخيرة، والحالة الصحية

رابعاً تأثير المقذوفات، وصحة رماية الاعداء
خامساً الاستعداد، وإرسال الجنود الى إحدى الجهات، والطرق
التي تتبعها أو وصولها، أو تعزيزها، وما يتعلق بالقوة البحرية التي تشارك
في عمل حربي

سادساً حالة الخطوط الحربية التي تنقل عليها الجنود والاثقال،
وحالة الجسور والطرق القديمة والحديثة في منطقة الاعمال الحربية
سابعاً الاخبار التي حصلت عليها « إدارة المخابرات » البلغارية أو
بلغتها من الاهالي عن جيش العدو حينما يكون نشرها مضرراً بعمل تلك
الإدارة

ثامناً أسماء القتلى والجرحى قبل نشرها في البيان الرسمي
تاسعاً وصف الاعمال الحربية التي لا تكون في مصلحة جيشنا
وأيضاً انتقاد الاوامر والتدابير التي يتخذها القواد »

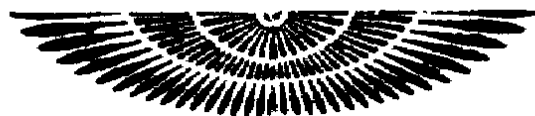
وهناك نظام شديد مشتمل على ثلاث وعشرين مادة، وخوفاً ان
المراسل الحربي يلزمه ان يكون كتماثيل متحركة، لكن حركتها
منوطة بإرادة غيرها . ولذلك رأينا أروع المراسلين وأصدقهم نظراً

وأوفرهم اطلاعاً في الحرب البلقانية وغيرها لم يفيدوا التاريخ الا بالرسائل التي وضعوها بمنزل عن كل رقيب حزبي ثم أعادوا النظر فيها بعد رجوعهم من ساحة القتال، ولذلك أيضاً تجد بمد التحقيق ان بين الرسائل التي نشرتها الجرائد الاوربية ما كان اختلاقاً محضاً، والباعث عليه أحد امرين: اما ان يكون المراسل نفسه عريض الدعوى يشق عليه أن يكون غير سباق بين المراسلين فيكسب على الخريطة الحربية ساعة حدوث احدى المعارك فيضع البطاريات ويحذف بالسرايا ويدعي الوقوف على مقاصد القواد ويرتب المعركة من أولها الى آخرها، وربما اكتشف وهاداً وهضاباً وحزوناً ليتمكن من تدبير معركته الخيالية، حتى اذا انتهت المعركة الحقيقية اصباح بعض الاقوال العامة وقرب بين المعركتين على قدر المستطاع... واما تكون بعض ادارات الجرائد لاهمها أن تخدم الحقيقة بقدر ما يهمها الرواج الوقي الذي تلقاه عند حصولها على تفصيل مخترع قبل ان تصل رسائل الجرائد الاخرى، فتصدر أمرها مشدداً الى مراسليها بالعمل على هذا النحو. قال الموسيو رينيه يوان ان احد المراسلين وصف معركة قرق كليسا ودفع ثلاثة أضعاف الرسم التناغرافي اي ٩٠ سنتيماً عن كل كلمة، مع ان تفصيل المعركة لم يصل في ذلك اليوم الى احد لان البلاغ البلغاري كان محصوراً في كلمات قليلة وهي « دخلت الجنود البلغارية قرق كليسا وغنمت مقداراً كبيراً من الذخائر والمدافع » فاخذ صاحبنا المراسل هذه الكلمات ثم أخذ خريطته ووضع علامات على القرى المحيطة بقرق كليسا وسير الطلائع ونصب بطاريات هنا وبطاريات هناك ثم شرع يصف رماية القنابل من الجانبين، وختم بوصف

معركة شديدة بالسلاح الأبيض في شوارع قرق كليسا ، غير انه لسوء طالع هذا المراسل ثبت بعد ذلك ان الجنود العثمانية تركت قرق كليسا قبل وصول البلغارين اليها بعدة ساعات لما وصفناه من حدوث الرعب بين صفوفها ...

ولما شك المراسلون الى المراقب البلغاري من السماح لبعض زملائهم بارسال تلك الملفقات أجابهم قائلاً « ليس من وظيفتنا ان نراقب هنا صحة أخباركم ، فنحن ندعكم تختلقون ما تريدون من الحكايات ولكننا لا نسمع بارسال أخبار صحيحة تفيد أعداءنا »

على ان أمثال أولئك الملفقين لا يمكنهم ان « يطيلوا حبل الكذب » لان أهل الجدة وطلاب الحقائق لم يلبثوا ان فضحوا أمرهم وهتكوا سترهم ، وربما كان اختلاقهم مرة مضرراً بالقول الحق الذي نشره مراراً كما وقع لمراسل الريشبوخت النمساوية



تأثير الفشل العثماني

—٨٠—

✽ في العالم الاسلامي ✽

الهلال الاحمر العربي

لقد اكبر العالم الاسلامي كله فشل الجيش العثماني في البلقان ، وجاءت الانباء تترى من الهند وافغانستان والصين وسائر البلدان التي يقيم فيها الموحدون بان خبر ذاك الفشل كان فيها اليماً والتأثير من وقوعه عظيماً ، وأفاد بعض أبناء الهند ان كثيراً من مسلميها كانوا يحيون الليالي بالبكاء والضراعة في المساجد . ثم أخذ كل بلد يجمع ما يستطيع من المال ويرسله الى صنف البوسفور أعانة للجيش العثماني الذي كثرت جرحاه ومرصاه أو أعانة لآلوف المهاجرين من نساء وأطفال وشيوخ لان دخول المتحالفين بلادهم سحب عليهم ذيل الخراب وذهب باموالهم ورجالهم ، فلم يبق لهم من وسيلة الا الهجرة الى جهة يطلع عليها الهلال ، ولا غرو فان المهاجر اذا كان لم ينل من هجرته الرخاء فقد حقن على الاقل ما بقي من الدماء وكان في طليعة الامم التي كبرت حميتها وفاضت أرميحيتها وتحرك فؤادها عطفاً وشفقة الامة المصرية الكريمة ، فانا نعرف أناساً منها باتوا وأحشاؤهم مطوية على الطوى يوم ورد خبر معركة لوله بورغاز ، الا ان

المصريين على اختلاف طبقاتهم تسلطوا على عواطفهم كما أثبت جناب
لورد كتشنر في تقريره فلم يظهروا الا الحكمة والتبصر في اظهار حميتهم
الاسلامية وعاطفتهم الانسانية

أما الاموال التي جمعوها للاعانة فقد بلغت نحو ثلاثمائة واربعين
الف جنيه منها نحو مئتين واربعين الفا وصلت الى يد اللجنة العليا، ونحو
مئة الف جنيه الى يد جمعية الهلال الاحمر المصري، وهناستأذن المطالع في
تخصيص جمعية الهلال بكلمة خليفة بها، فهي بشهادة العثمانيين والاجانب
أدت من الخدمات الجليلة ما خلد للقائمين بها ذكراً طيباً يرويه الخلف عن
السلف. وحسبنا للدلالة على غرضها الشريف ان نذكر هنا مواد
الفصل الاول من قانونها، وهي

المادة الاولى — تأسست بمصر جمعية الهلال الاحمر المصري .
ومركزها العمومي مدينة القاهرة تحت حماية الحضرة الفخيمة الخديوية
ورعاية صاحبة السمو والدة الجناب العالي الخديوي ورأسة صاحب الدولة
الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي

المادة الثانية — تستند جمعية الهلال الاحمر المصري في معاملاتها

الخارجية

أولاً على ما جاء بقانون الهلال الاحمر العثماني في معاملاته
ثانياً على المعاهدة التي عقدت بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٨٦٤
في جنيف وعلى أحكام التعديلات التي قبلتها الدولة العلية
بمجمع السفراء الذي عقد في المدينة المذكورة بتاريخ (٦ تموز

سنة ١٩٠٦) يولييه ١٩٠٦

ثالثاً على أساس قرارات مجتمع السفراء الذي عقد بشأن الحروب البحرية في مدينة (لاهاي) في بلاد الفلندك بتاريخ (١٨ تشرين أول ١٩٠٧) أكتوبر ١٩٠٧

المادة الثالثة — الغرض من جمعية الهلال الاحمر المصري معالجة الجرحى ومداواة المرضى من الجنود البرية والبحرية في زمن الحرب وتغذيتهم اذا اقتضى الحال ثم تخفيف آلامهم بجميع الوسائل الممكنة ويجوز للجمعية اسعاف عائلات الجنود والبؤساء من المجاهدين

المادة الرابعة — تعد الجمعية مستشفيات ثابتة وسيارة بحسب مقتضيات الاحوال ولها اعداد قطارات برية أو سفن بحرية أو حملة من الدواب أو غير ذلك من المعدات لنقل الجرحى من ميدان القتال الى موائلهم

المادة الخامسة — يجوز للجمعية في زمن السلم ان تعاون البؤساء من الذين يصابون في مصائب عامة في انحاء القطر المصري ويكون ذلك بقرار من المجلس الاعلى

المادة السادسة — تعاون جمعية الهلال الاحمر المصري جرحى الجنود الاجنبية المحاربة وفقاً لاساس معاهدة مدينة جنيف وتعديلاتها الاخيرة وطبقاً لاحكام قرارات مجتمع السفراء الذي عقد بشأن الحروب البحرية في (١٨ تشرين أول سنة ١٩٠٧) أكتوبر سنة ١٩٠٧

المادة السابعة — تشتغل الجمعية في وقت السلم بتعليم مأموريها وتدريبهم واحضار جميع لوازمهم اذا تراءى لها ذلك وان تهيء المعدات اللازمة لتدريب العمال

المادة الثامنة — تتكون أموال الجمعية من الاشتراكات والتبرعات

والا ككتابات العمومية وما يوقف عليها من أهل الخير وغير ذلك »
وتتألف الجمعية من جمعية عمومية ، ومجلس أعلى ، ولجنة إدارية ،
ولجنة مالية ، واليك أسماء الكبراء والوجهاء الذين كان المجلس الأعلى
يتألف منهم أيام الحرب تقلا عن قانونها

رئيس الجمعية دولة البرنس محمد علي باشا

نائب الرئيس » يوسف باشا كمال

عضو » محمد علي بك حسن

وكيل الجمعية سعادة عزيز باشا عزت

وكيل الجمعية » حسين باشا واصف

سكرتير عام عطوفة ادريس بك راغب

أمين الصندوق عزتو ميشيل بك لطف الله

عضو سعادة يوسف سابا باشا

» فضيلة السيد عبد الحميد البكري

» سعادة محمد باشا نسيم

» محرم باشا جاهين

» محمود باشا رياض

» صالح باشا ثابت

» قليني باشا فهمي

» محمد باشا يكن

» موسى باشا قطاوي

» منصور باشا يوسف

عضو	» عمر باشا سلطان
د	عزتلو محمد بك أبو شادي
»	» حنفي بك ناجي
»	» حسن بك سعيد
»	» الدكتور محمد بك أمين نظيم
»	» محمود بك ناشد
»	» الميرالاي سليم بك موصللي
»	» علي بك ابراهيم
» ومساعد السكرتير العام	» مدحت بك سامي

	واليك أسماء الذين كانت تتألف منهم اللجنة الادارية
رئيس	دولة البرنس يوسف باشا كمال
وكيل	صاحب السعادة عزيز باشا عزت
وكيل	» حسين باشا واصف
عضو	عطوفة ادريس بك راغب
»	سعادة محمد باشا نسيم
»	» موسى باشا قطاوي
»	عزتلو ميشيل بك لطف الله
»	» حسن بك سعيد
»	» حنفي بك ناجي
»	» الدكتور محمد بك نظيم
»	» محمود بك ناشد

» مدحت بك سامي «

أما أعضاء اللجنة المالية فهم :

سعادة موسى باشا قطاوي

رئيس

عزتو حسن بك سعيد

عضو

» حنفي بك ناجي «

وبلغ عدد إِمَاشات الجمعية سبعة بعضها يسمى بعثة ميدان أي غير
ثابتة وبعضها ثابت كبعثة بكربكي ، وأخرى لنقل الجرحى والمرضى
والمهاجرين كباخرة « البحر الأحمر » . والمستفاد من تقاريرها أنها
أعانت عدداً عظيماً من الذين نكبتهم الحرب الطاحنة . ولا ريب في أن
جميعات الهلال الأحمر والصليب الأحمر والسيدات الكراشم اللواتي
تطوعن لخدمة الجرحى وإعانة المنكوبين على اختلاف الأجناس والأديان
هم الذين أبقوا على بقية من شرف الإنسانية والمدنية والمروءة التي كادت
تقضي عليها فظائع الإنسان في هذا العصر ، عصر الماديات

ويحسن بنا في عرض الكلام على صنع الخير أن نشير إلى كرام
المصريين الذين أرسلوا ما تبرعوا به إلى الاستانة مباشرة كصاحبي السعادة
محمود سليمان باشا وعلي شعراوي باشا اللذين أرسل كل منهما مبلغاً وافراً
إلى عاصمة السلطنة العثمانية أسعافاً للجرحى والمرضى . أثاب الله جميع أهل
المروءة خير ثواب

﴿ تعليل هذا التأخير ﴾

أمر طبيعي أن كل إنسان يميل إلى أبناء دينه ويمطف عليهم والشذوذ

لا يقاس عليه . وكلّ ما رأيناه من عطف المسلمين في انحاء المعمور على تركيا لا يخرج عن دائرة هذا الامر الطبيعي الذي سبقت ما بقيت الاديان والمذاهب

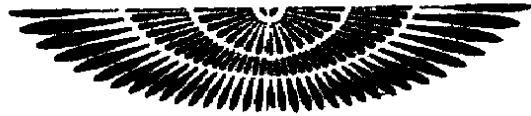
وهناك باعث آخر لا يحسن اغفاله ، وهو ان رؤية المغلوب ورغبة كثيرين في الاجهاز عليه تدفعان على الغالب أهل الشعور من الناس الى تعضيده بما تسمح به حالهم . والدولة العلية كما عرف القاصي والداني لم ترَ طالعتها سعيداً في الحرب البلقانية ولم تجد من الاعوان الا أفراداً قلائل من الكتاب الاحرار أو من أهل الخير الذين تنحصر مساعدتهم في معالجة الجرحى والمساكين بل هي لم تجد من أوروبا انجازاً لوعده أو حفظاً للعهد . فاي الناس أولى من المسلمين في العطف على الدولة وتلك حالها ؟ ...

وأهم من كل ما تقدم عند أهل الورع منهم ما قاله لنا أحد العلماء المسلمين وهو « ان المسلم الذي تعلم قواعد دينه يعتقد ان وجود الخلافة واجب كل الوجوب . فلما حدثت معركة لوله بورغاز ثم زحف البلغاريون الى باب الاستانة اهتز العالم الاسلامي لذلك النبأ الخطير لان كثيرين من أبنائه خافوا ان توضع مسألة الخلافة المقدسة على بساط البحث عند دخول الاعداء عاصمة السلطنة ومقر الخليفة ، ولكن هذا الخوف كان في غير محله »

« أما قولهم ان أوروبا عرفت بعد حرب البلقان ان الجامعة الاسلامية التي كان يهول بها عبد الحميد لا توجب خوف الدول ، فهو قول يسرنا نحن المسلمين الذين ننظر الى المستقبل لان أوروبا التي كبرت أوهاماً في

هذا الموضوع كانت تظهر الخوف من نجاحنا واجتماعنا لافلاق بالها. أما الآن فقد عرفت ان المسلم مثلاً يميل الى أبناء دينه ميلاً طبعياً كغيره، والمأمول بعد زوال هذا الشبح ان تترك أوروبا المسلمين يسرون في سبيل النجاح الطبيعي »

وخلق المصنف ان يعترف هنا بان المسلمين بمصر لم يأتوا ما يوجب الانتقاد من الوجهة المشار اليها . بل اتبعوا نهج الحكمة والتبصر في اظهار شعورهم وفي طريقة اعانتهم للسلطنة فوققوا بين مصريتهم وعاطفتهم الطبيعية





﴿ دولة الامير محمد علي باشا ﴾

(رئيس جمعية الهلال الاحمر)



اسباب الفشل العثماني

—٨—

أركان الحرب ثلاثة : حسن التأهب، وحسن الادارة، وحسن التنفيذ .
وتقصان واحد منها يكفي على الغالب لاجداث فشل عظيم كما قرر
الاساتذة الحرييون . فكيف لا يفشل اذاً الجيش العثماني والاركان
الثلاثة تكاد تكون مفقودة عنده ؟

كان التأهب قبل الحرب عدماً أو شبه عدم . وحسبنا برهاناً دامعاً
على هذا القول أن الميرة والذخيرة والطرق والمعدات الحربية والمخترعات
العلمية وتدريب الرديف وسائر ما يجب اعداده للجيش قبل الايام
العصيبة كان مختلاً أو معدوماً . قال المستر اشمد برتليت مراسل الديلي
تلفراف الحربي الذي كان مرافقاً للجيش العثماني « ان ولاية الامور
الحريين في الاستانة حاولوا ان يخذعوا العالم بأسره آمليين أن تعوضهم
شجاعة الجندي التركي من كل شيء ، لكنني ما وصلت الى حيث كانت
الجنود العثمانية حتى سقطت غشاوة الوم عن بصري . أجل ان الجندي
التركي ما زال بأسلاً شجاعاً كما كان في سالف الزمن ، ولولا صبره المعجب
في معمران الحرب ما بقيت معركة لوله بورغاز ثلاثة أيام ، فلا يجب اذاً ان
تُلقى التبعة على هذا الجندي بل يجب ان تُوضع على رؤوس كبار الموظفين
الذين انتفخوا بالكبرياء والخيلاء ، واحتقروا أمم البلقان ، وظنوا ان العدد

العظيم المكتوب على الورق موجودٌ حقيقةً لديهم . وليس في وسعي ان أبسط للقاري، فكرةً تدله على متسع الخدعة الغريبة التي خدعنا بها في مسألة الجيش العثماني ، واني لمتنع كل الاقتناع بأنه لو كان الجندي التركي يحصل كل يوم على قطعة بقسماط لما تقهر أمام العدو المهاجم ، فان الجوع هو الذي قهره

ثم تناول بجراح القول أركان حرب الجيش العثماني والقواد العثمانيين وولاية الامور وذكر أنهم لم ينظموا ادارة الميرة والذخيرة بل تركوا أربعة فيالق بين مغالب الجوع الذي كان ينهش في احشائها ، وقذفوا بضحاياهم الى المجزرة قبل الالهبة، فكان الجندي جائعاً عارياً وموقناً ان من يجرح في المعركة يبيت نصيبه من الحياة ضئيلاً جداً لنقص المستشفيات الحربية وقلة الاطباء والادوية ، وكانوا يرسلون البطاريات الى مواقع الحرب ولا يلاحقون بها المقدار اللازم من القنابل لقتال بضع ساعات ولا يعينون لها الاحتياطي اللازم على مسافة طويلة، فنشأ عن هذا الخلل ان الجيش كان يفقد مدافعه في اليوم التالي

وقال المراسل نفسه أنهم جاؤا بفلاحين جهلاء من الاناضول والتفوا منهم آلايات كاملة ثم ساقوهم الى الاستانة حيث البسوهم الملابس العسكرية وأعطوهم بنادق موزر - وكثيرون منهم لم يروها في حياتهم - وبعد استعراضهم وعدهم أرسلوهم الى ساحات القتال ووصفوهم بهذه العبارة المنتفخة « مشاتنا الذين لا يغبون »

وروى الموسيو ستفان لوزان رئيس تحرير الماتن ان ضابطاً من الملحقين العسكريين ذهب الى جهة سراي ثم اضطر الى الرجوع مع تيار

المهاجرين ، ولما التقى به بعد رجوعه قال له ذاك الضابط ما فواه « كانت حياتي منوطة بساقي حصاني وما ذقت في أربع وعشرين ساعة الا قطعتين من الشكولاته ، وكنت أحفظ في جيبي كسرة من الخبز كذخيرة احتياطية لأصعب الاوقات . فلما أشرق النهار وقفت والتعب أخذ مني أشد مأخذ ، وأخرجت قطعة الخبز من جيبي ، وبينما كنت مستعداً لالتقامها وقع نظري في أحد جانبي الطريق على جريح ممتقع اللون كالجثث المطروحة في السهول . ولما رأاني وقف ومد اليّ يدين داميتين على شكل هائل كمن يتضرع اليّ ان أسد رمقه ، فأثر هذا المنظر تأثيراً شديداً في نفسي وسقطت قطعة الخبز من يدي فالتقطها الجريح والتمها وهي ملطخة بالدم والوحل

وذكر الكاتب نفسه انه زار مستشفى ييرا الفرنساوي حيث كانت جماعة من الراهبات الفرنساويات يخدمن الجرحى العثمانيين ، فسأل الجرحى « هل كنتم تتألمون » فكانوا يجيبون كلهم على التقريب هذا الجواب المحزن « نعم ولكن ألمنا لم يكن من الجروح ولا من التعب ولا من البرد بل كان على الاخص من شدة الجوع » وحدث مرة ان احدى الراهبات سمعت هذا الجواب فقالت للكاتب ان كلمة « اكلك » (أي الخبز) لا تفارق أفواههم ، ولما كنت أضع لهم ميزان الحرارة لاعرف درجتها كانوا يقولون « اننا نفضل أن تعطينا قطعة من الخبز »

ونقل عن جميل بك قائد احدى الفرق انه استل سيفه وهجم نحو شرذمة من الجنود الهاريين وسألهم « لماذا تهربون » فاجابوا قائلين « لانا

(٢٨)

ولم يكن الجندي وحده ضحيةً للجوع المبرح ، فان عبد الله باشا القائد العام للجيش الشرقي كان يشكو مثل أفراد جيشه بدليل ما رواه السير أشمد برتليث ، وهو ان هذا القائد الذي كان تحت امرته نحو ١٧٠ ألف جندي لم يجد لديه في ١٢٩ أكتوبر ما يدفع به آفة الجوع ، فلما رآه على تلك الحال أهدى اليه بعض علب من اللحوم المحفوظة فشكره عبد الله باشا وقال « لولاك ما استطعت الوقوف على قدمي »

ولم يكن عبد الله باشا بلا اكل فقط بل كان أيضاً بلا أخبار عن المعركة العظمى الفاصلة في تراقية . ولا عجب فكيف يمكنه ان يحصل على الاخبار في وقتها وليس عنده تليفراف سلكي ، ولا تليفراف ماركوني ، ولا أوتوموبيل حربي ، ولا طيارات ولا شيء مما يجب كل الوجوب لاستطلاع طلوع العدو واصدار الاوامر اللازمة في حينها ؛ و روى عبوق باشا (و ذكر رئيس تحرير الماتن روايته) ان البلغاريين هجموا ليلاً وكانوا يملكون في تلك المعركة منيرات كهربائية ، فلما صاروا على مسافة ٣٠٠ متر من الجنود العثمانية أرسلوا عليها أنوار تلك المنيرات فبهرتها ، فلم يعد في وسع الجندي العثماني ان يرى أو يرمى أو يدافع ، في حين ان البلغاريين كانوا يرون كل حركة وكل ترتيب في صفوف العثمانيين

ونشرت الجرائد الاوربية حديثاً لختار باشا الغازي (الذي كان صدرأ أعظم يوم اعلان الحرب كما تقدم) قال فيه ان ولاية الامور الذين

تقدموا وزارته أحوالاً بعد الدستور عدداً عظيماً من الضباط على المعاش وعينوا بدلاً منهم شبانا غير محنكين، ولما أعلنت الحرب لم يكن للطابور المؤلف من ٨٠٠ رجل الا سبعة ضباط بدل ١٦ أو ١٧ ضابطاً كما كان قبل النظام الجديد . فإذا يفعل جنودنا الشجعان وهم لا يجدون ضباطاً يقودونهم ؟

ثم قال ان الضباط القديم كان يعني بأمر جنوده ويفعل كل شيء من أجلهم بعكس ضباطنا الشبان ، فانهم أرادوا ان يخذوا حذو الضباط الالمانيين في برلين ، فكنت ترى الضباط منهم بعد التمرين يضع سيفه في غمده ويظن ان شغله انتهى . ولا يخفى ان الالمانيين عندهم طرق وخطوط حديدية وكل ما يلزم لنقل الميرة والذخيرة ، أما نحن فلم يكن عندنا شيء »

ثم انتقل الى القوة التي تمكن من جمعها لمقاومة البلغار فقال ان مجموعها بالغ ٢٠٠ ألف جندي (منها نحو ٧٠ ألفاً كانوا في أدرنه) ولكن عدداً عظيماً منها بقي يومين أو ثلاثة بلا أكل »

واذا رجع المطالع الى ما نقلناه في فصل سابق عن الماجور فون هوشوختر وجده مؤيداً لمجمل ما تقدم ، ونحن ذا كرون هنا عبارات أخرى من كتابه ، قال بعد ان ذكر نقص المواصلات التلغرافية والتلفونية وسوء حالة الطرق « ان القواد وأمرأه الا لايات الخ لم يمينوا الا وقت اعلان الحرب فلم يكونوا يعرفون أركان حربهم ولا جنودهم بل كان القائد منهم يمين في ٢١ أكتوبر ثم يذهب في اليوم التالي الى ساحة القتال ، وقد عرض الاساتذة الالمانيون خدمتهم على الحكومة العثمانية فرفضتها لانها

أرادت — كما بدأتُ أعتقد — ان تخفي عنهم ضروب الخلل (كذا)
وكان تحرير الاوامر بطيئاً وتقلها صعباً والاهالي الذين من أصل
بلغاري مسلحين ومعادين للجنود العثمانية فاذا التقوا بافراد منها عمدوا في
الغالب الى الفتك بهم ، وكانت المواصلات مختلفة بين الفيالق ، ومقدمات
الجنود ممتدة على مسافات طويلة جداً ، والطلائع الامامية غير موجودة
فكانت المعارك تبتديء بوصول الفرق بعضها تلو بعض ، وقد لحظت ان
البلغاريين كان عندهم مثل هذا العيب ، ولذلك حدث ان الفريقين كانا
يتصادمان بغتةً فينشأ عن ذلك الصدام الفجائي قتالهما بالسلاح الابيض «
ثم ختم بقوله ان الذين خسروا الممارك هم الرؤساء المسئولون لا
الجنود العثمانية

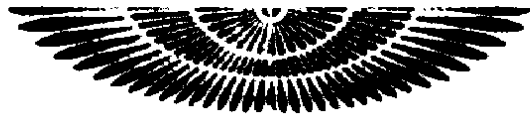
وعثرنا على مقال نشره الموسيو رود مراسل الثان أيد به ما ذكرناه
في فصل سابق وهو ان وجود الذين من أصل بلغاري أو يوناني أو صربي
أثر تأثيراً سيئاً في الجيش العثماني . ومما قاله هذا الكاتب انه رأى في
شورلونحو الف جندي من الذين هربوا بعد معركة قرق كايسا وهم
يأبون التقدم الى الامام ، وأن أحدهم — وهو يوناني — قال لخادمه
« نحن نموت جوعاً ، وقيادتنا سيئة جداً فلا نريد ان نزحف الى الامام ،
واذا أرادوا اجبارنا على التقدم فان عندنا بنادق وخرطوشاً ... » ثم أبصر
بعد معركة لوله بورغاز أن بعض أولئك الجنود وقف على طاولة في
احدى القهوات وأخذ يحرض الهاريين على العصيان

وأضف الى كل ما ذكر ان عقارب السياسة كانت تسمى الى قلوب الضباط فتنتفث سمها في عواطف الالفة وتصرف الضابط عن واجبه المقدس ، فكنت ترى الضابط الصغير ينظر بعين الحقد الى رئيسه إن كان من غير حزبه ، وربما استخف بأوامره . وقد اكد لنا ضابط كبير من أركان الحرب ان الشقاق والتنازع كانا واقعين بين كبار القواد قبيل المعركة الكبرى في تراقية

فانت ترى مما بدا ان الجيش العثماني لم يقاتل الجيوش البلقانية الاربعة فقط ، بل كان يقاتل جيوشاً أخرى أشد هولا وأعظم فتكاً وأقسى عوداً ، أولها جيش من الالهال الفاضح الذي أدى به الى شلل عام ، والثاني جيش من الجوع الذي بقي ينهش في احشاء جنوده حتي هدم عزائمها وأعمى أبصارها وبصائرهما ، وجيش من الدسائس السياسية التي فرقت بين القواد والضباط والاقرباء والاخوان . وهي كلها من أب واحد — لعن الله أباهما — وهو الخلل الذي تمشى في جميع فروع الإدارة

وهنا تخطر لنا حكمة اجتماعية قررها مونتسكيو الكاتب الفرنسي العظيم حيث قال « ان أسباباً عامة ، اما أدبية واما مادية ، تؤثر في كل مملكة وترفعها أو تحفظها على حالها أو تقذف بها من حالق . وكل ما يطرأ من الحوادث يرجع الى أحد تلك الاسباب العامة فاذا وقعت مثلاً وقعة جرت وراءها الخراب — أو بعبارة أخرى — اذا

حدث سبب خاص ، فان هناك سبباً عاماً أدى اليه»
فما هو السبب العام في ذاك الفشل العثماني ؟ هو بلا شك ذاك الخلل
الشامل المؤدي الى الفساد القاتل



مرسح السياسة

﴿ وقت الحرب - وبعدها ﴾

ذكرنا ما فعله السيف بعد اعلان الحرب فبقي أن نذكر ما فعلته

السياسة

أخذت السياسة تجول جولاتها وتصول صولاتها وترينا غرائبها ومفارقاتها منذ حل الفشل الاليم بالجيش العثماني الشرقي في لوله بورغاز وزحف الجيش البلغاري الى جتالجه ، فان أول طفرة طفرتها أنها انتقلت بعد تلك المعركة من رأي الى ضده ، فقررت ان لا يُحرم البلقانيون من ثمرة انتصارهم ، فالقى هذا القرار اعلانها الرسمي الشهير الذي نشرناه في باب سابق ، وهو انها لا تسمح بتغير خريطة البلقان ، لكن الجرائد الشبيهة بالرسمية كالتان ما لبثت ان نشرت « بالقلم العريض » ان الدول كانت تريد بذلك القول أن تُفهم الحكومة العثمانية وحدها بان أوروبا لا تسمح لها باخذ شيء من أراضي أعدائها ولورأت النصر معقوداً بهلالها .

ثم اتفقت الدول من جهة أخرى عملاً برأي الموسيوي بو انكاره على أن تعلن عفة قلبها من الطمع في أية أرض عثمانية . كما اتفقت بعد ذلك على اقتراح السير ادوارد جراي وزير خارجية انكلترا وهو ان يعقد سفراء

الدول العظمى مجتمعاً في لندن بجانب مؤتمر الصلح لدرس ما يهّم الدول في البلقان ، وتوطئة السبيل لحل المشاكل ، والحيلولة دون انفراد احدى الدول بسياسة محفوفة بالخطر على السلم الاوربي ، وتمهيد طرق الاتفاق بين المندوبين العثمانيين والمندوبين البلقانيين كما ستري

المرحلة الاولى

ومؤتمر الصلح الاول

طلبت وزارة كامل باشا منذ ١٥ نوفمبر الى قواد البلغار في جتالجه أن يقدموا هدنة ، فاحال القواد هذا الطلب الى حكوماتهم ، وبعد ان تفاوض المتحالفون بضعة عشر يوماً وتوسطت الدول العظمى في الموضوع قررت حكومات صوفيا وبلغراد وستينه ان تعقد الهدنة في ٣ ديسمبر ، أما حكومة اليونان فابت ان توافق على الهدنة لسببين أولهما أن قائد الجيش اليوناني كان يؤمل أخذ يانيه في وقت قريب فلم تشأ حكومته الاشتراك في الهدنة قبل ان تسقط تلك المدينة التي أظهرنا مقامها التاريخي عند اليونان ، والثاني ان بقاء اليونان في حالة الحرب كان نافعا للمتحالفين لانه مكّن الاسطول اليوناني من حصر مواني بحر الارخبيل والبحر الايوني في مدة المفاوضات وحال دون ارسال المؤن والذخائر الى يانيه وأشقودره من جهة البحر ، كما حال دون ارسال النجيدات العثمانية من سوريا وغيرها ، فلهذين السببين لم يعترض البلغاريون والصربيون والجليون على احجام الحكومة اليونانية عن الاشتراك معهم في الهدنة ، بل كانوا

مؤيدين لها بدليل أنهم أصرّوا على قبول المندوبين اليونانيين في مؤتمر الصلح .

أما عقد الهدنة فقد تمّ توقيعه في ٣ ديسمبر بين الموسيو ستويان دانيف رئيس مجلس النواب البلغاري والجنرال سافوف وكيل ملك البلغار في القيادة العامة والجنرال ايفان فيتشيف رئيس أركان حرب الجيش البلغاري ، وكانوا نائين عن الصرب والجبل الاسود - وبين ناظم باشا وزير الحرية العثمانية ووكيل جلالة السلطان في القيادة العامة ، واليك تعريب الشروط :

أولاً - تمّ عقد هدنة بين جيوش البلغار والصرب والجبل الاسود من جهة ، والجيوش العثمانية من جهة أخرى للتمكن من الشروع في مفاوضات الصلح بين الفريقين المتحاربين

ثانياً - تبقى الهدنة ما بقيت مفاوضات الصلح وتنتهي عند البلوغ الى نتيجة حسنة أو عند قطع المفاوضات

ثالثاً - تجري مفاوضات الصلح في اندرا وتبتدى بعد التوقيع على هذا الاتفاق بعشرة أيام

رابعاً - اذا لم تنجح مفاوضات الصلح فان كل فريق من المتحاربين ملزم بان يعلن انتهاء الهدنة للفريق الآخر قبل استئناف الحرب بأربعة أيام ، وان يعين له ساعة الرجوع الى القتال . وتبتدى أربعة الايام المذكورة منذ الساعة السابعة مساء بعد البلاغ الذي يرسله القائد العام لاحد الفريقين الى قائد الفريق الآخر

خامساً - تبقى جنود كل فريق من المتحاربين في مواقعها الحاضرة

(٢٩)

وتُعين بينهما شقة حرام بمقتضى اتفاق يُعقد بين الضباط الذين ينتدبون
لعقده من الفريقين

سادساً - تبتديء الهدنة فعلاً منذ التوقيع على هذا الاتفاق، وإذا
تجاوزت جنود احد الفريقين خط التحديد وجب عليها ان تعود الى
مواقعها الاولى

سابعاً - تتعهد الحكومة السلطانية بان ترفع الحصار عن ثغور
البحر الاسود، وتدع البواخر حرة في الذهاب اليها، ولا تعارض في
ارسال الميرة والذخيرة الى الجنود البلغارية من طريق البحر المذكور. ثم
تتعهد أيضاً بالسماح للقطارات الحربية البلغارية التي تأتي من بلغاريا أو
تذهب اليها بان تمر حرة على الخط الحديدي الواقع في منطقة أدرنه
ثامناً - تبتديء الهدنة الساعة السابعة مساءً من يوم ٢٠ نوفمبر
(على الحساب الشرقي) سنة ١٩١٢

وعليه تمّ التوقيع على هذا الاتفاق وكتب منه أربع نسخ في
جتالجه

ثم عينت الحكومة العثمانية وحكومات البلقان مندوبيها في مؤتمر
الصالح، فانتدبت وزارة كامل باشا رشيد باشا وصالح باشا، وكلاهما
من الوزراء السابقين وعثمان نظامي باشا الذي كان سفيراً في برلين،
ونابي بك الذي كان سفيراً في روما (وهو الذي وقع على معاهدة
الصالح بين تركيا وإيطاليا في لوزان) وصفوت بك وعلي رضا بك
ورشيد بك

وانتدبت الحكومة البلغارية الموسيو دانييل رئيس مجلس نوابها
(وهو رئيس الوزارة البلغارية الآن) واثنين من كبار رجالها
وانتدبت الحكومة الصربية الموسيو نوكا كوفتش رئيس وزارئها
سابقاً والمرسيو نيقوليتش رئيس مجلسها ومعهما معتمدها في باريس
وعينت ملكة الجبل الاسود رئيس مجلسها النيابي واثنين آخرين .
وأنابت درلة اليونان عنها الموسيو فنزيلوس رئيس وزارئها ومعه اثنان أيضاً

ولما كان اليوم السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩١٢ (على الحساب
الغربي) اجتمع المندوبون العثمانيون والمندوبون البلقانيون في قصر
« سنت جيمس » وافتتح السير ادوارد غراي وزير خارجيته انكلترا
جلستهم الاولى فراح بهم بالنيابة عن الملك وحكومته ، وأمل ان يجدوا
ردهات القصر رحيمة أمامهم ، وجو البلاد ساكناً خالياً من غيوم الهوى
والغرض ، ثم حضهم على بذل الجهد في سبيل الصالح واكد لهم انهم
يجدون عند انكلترا نية حسنة لتحقيق الامنية التي جمعتهم في العاصمة
الانكليزية . فشكر رؤساء الوفود للوزير الانكليزي هذا الشعور
وعرضوا عليه ان يكون رئيس شرف لمؤتمر الصالح فقبل شاكرًا ثم
خرج . وبعد ذهابه قرر المندوبون ان تكون الرئاسة الفعلية لرؤساء
الوفود كل في دوره على ترتيب الاحرف الهجائية

على ان المندوبين العثمانيين ابوا ان يفاوضوا المندوبين اليونانيين
لان الدولة اليونانية اُبت ان تشارك في الهدنة ، وبعد أخذ ورد ، وجزر
ومد رضيت الحكومة العثمانية بان تفاوضهم

وكل من وقف على الاحاديث التي نطق بها في ذلك الوقت الموسيو
دانييل كبير مندوبي البلفار والموسيو فنزيلوس كبير مندوبي اليونان
وجماعة من ساسة العثمانيين ، لم يبق عنده شك في ان مسافة الخلف كانت
متسعة جداً بين مطالبهم والشروط التي كانت تراها الحكومة العثمانية
مقبولة عادلة . وأهم وجوه ذلك الخلاف ان البلفاريين كانوا يصرون على
طلب أدرنه والحكومة العثمانية لم تكن تريد ان تسمع بمثل هذا الطمع
ولا سيما ان أدرنه مدينة قديمة ذات تاريخ محترم عند المسلمين لما فيها من
المساجد الفخمة وقبور السلاطين . ومن وجوه الخلاف أيضاً ان الحكومة
العثمانية كانت تطلب استقلال الولايات المعروفة باسم مقدونيا واستبقاء
يانيه وأشقودره اللتين كانتا تدافمان الى ذلك الحين ، والمتحالفون كانوا
بالعكس يريدون ان تكون يانيه وأشقودره داخليتين في جملة غنائمهم
كأدرنه لان الدولة البونانية كانت تصرّ كل الاصرار على طلب الاولى
والجبل الاسود على طلب الثانية . ومن وجوه الخلاف ان الحكومة
العثمانية لم تكن تنوي التنازل عن جميع الجزر ولا سيما المجاورة للدردنيل
والاملاك العثمانية في آسيا

غير ان كل فريق كان يعتقد ان الفريق الآخر بدأ يطلب كثيراً وهو
لا يؤمل الحصول على كل مطلوبه كما يقع للمساومين . ومما دفع الحكومة
العثمانية الى اطالة المقاومة في تلك المساومة ان جو السياسة لم يكن صافياً
لتفاهم الخلاف بين النمسا والصرب من جهة وبين بلغاريا ورومانيا من
جهة أخرى ، واسكون روسيا من جهة ثالثة أخذت تنهج نهج النمسا في
التأهب الحربي كما ستري . فتلك الغيوم السوداء في جو السياسة الاوربية

ولدت في الاستانة أملاً غامضاً بوقوع مشكلة دولية قريبة يكون من ورائها فائدة للدولة العلية ولا سيما ان حالة الجيش العثماني في جتالجه كانت متحسنة تحسناً ظاهراً ، فلو انشبت اذ ذاك حرب ثانية ووجدت الحكومة العثمانية أنصاراً ، لكان في استطاعتها ان تجني فائدة كبيرة

على ان ربح السياسة لم توافق سفينة ذلك الامل لان الدول العظمى ضغطت على رومانيا فحملتها على قبول التحكيم الدولي بينها وبين بلغاريا وقد عقد مجلس التحكيم في بطرسبرج وحكم على البلغار بان تعطي المملكة الرومانية ساستريا لقاء حيادها في الحرب البلقانية وان تعدل حدودها على وجه موافق لمصالحها ، ثم دارت المفاوضات من جهة أخرى بين روسيا والنمسا وانتهت بان صرفت كل دولة جانباً من جيشها المعبأ واكدت نيتها السلمية

فكان هذا التحسن السياسي مضعفاً لذلك الامل العثماني ومقويّاً لآمال البلقانيين ، فبقي هؤلاء مصرين على معظم شروطهم وخلاصتها ان تستقل البانيا كما طلب مجتمع السفراء الذي كان ينعقد بجانب مؤتمر الصلح ، وان تكون جميع الولايات العثمانية الاوربية غنيمة للبلقانيين فلا يبقى للدولة العثمانية الا عاصمتها وعشرات قليلة من الاميال عند بابها فارسل رشيد باشا المندوب العثماني الاول تلك الشروط الثقيلة الى الحكومة العثمانية فقررت رفضها وبعثت الى مندوبيها بشروط أخرى وهي :

أولاً ان تبقى ولاية أدرنه عثمانية ، ثانياً ان تحول مقدونيا الى اماره تحت السيادة السلطانية وتجعل سلايك عاصمة لها ويكون أميرها

انجيمياً يختاره المتحالفون ثم يصدر جلالة السلطان أمره بتعيينه . ثالثاً ان تستقل البانيا تحت السيادة العثمانية ويكون أميرها من الاسرة السلطانية لمدة خمس سنوات ويجوز تجديد مدته . رابعاً ان تبقى جزر الارخبيل للدواة العالية ، خامساً ان لا يبحث المؤتمر في مسألة كريت بل يكون البحث في شأنها بين الباب العالي والدول العظمى

وكانت الجلسة التي عرضت فيها هذه الشروط تحت رئاسة رشيد باشا فدافع عن مطالب دولته دفاعاً قوياً، لكن مندوبي الحكومات البلقانية أصروا على رفضها

ولما رأى أولئك المندوبون ان الحكومة العثمانية بقيت مصرة على طلب أدائه من وجه أخص قرروا إيقاف المفاوضات ، ثم أخذت الدول من جهة أخرى تلح على الباب العالي في وجوب الاذعان وأرسلت اليه مذكرة أفهمته بها انها لا تضمن سلامة الاستانة والاملاك الاسيوية إن بقي على هذا الاصرار

فوقعت وزارة كامل باشا في حيرة شديدة لانها كانت تخشى الرأي العام اذا قبلت ، وتخشى سوء المغبة اذا رفضت . ثم ارتأت أخيراً ان لا تستقل بامر السلم والحرب بل تعقد جمعية وطنية من أقطاب السياسة وشيوخ الوزراء لتشاورهم في الامر

﴿ الجمعية الوطنية ﴾

فعمدت الجمعية في قصر ضامة بفجه برآسة كامل باشا وحضور ولي عهد الدولة وأمراء الاسرة السلطانية ، ولبي الدعوة جميع الكبراء الذين

دعوا اليها ما عدا كبار الاتحاديين وفي مقدمتهم محمود شوكت باشا
ثم افتتح كامل باشا الجلسة وأمر سعيد بك مكتوبجي وزارة الخارجية
بان يقرأ المذكرة الاجماعية التي بعثت بها الدول الى الباب العالي . ثم
تكلم ناظم باشا وزير الحربية فظهر تشوق الجيش الى القتال واستعداده لبذل
دمه في سبيل الوطن ، ولكنه ألمع الى صعوبة استرجاع ما فقدته الدولة
العلية من الاملاك . وتكلم بعده عبد الرحمن افندي وزير المالية فظهر
الحالة التي صارت اليها خزانة الدولة من الضيق وتلاه وزير الداخلية فشرح
للجمعية الحالة الداخلية في السلطنة

وكان نوردنجيان افندي وزير الخارجية منحرف الصحة فاعوز الى
سعيد بك المذكور ان يقرأ بالنيابة عنه مذكرة وافية عن الحالة العامة أوضح
فيها أسباب الحرب والأطوار التي دخلت فيها وتطرق الى الموقف الاستثنائي
الذي وقعت فيه السلطنة

وروت صباح ان كامل باشا قال للجمعية انه لا يمكن الاعتماد على
مشاكل خارجية أو على تعاضيد من جانب المانيا والنمسا لانهما لو كانتا
تنويان حقيقة مساعدة الدولة العلية لما اشتركتا في ارسال المذكرة الدولية .
ثم قال انه يسلم بالتنازل عن أدركه ولكنه يطلب في الوقت ذاته شروطاً
من شأنها ان تجعل الحكم الفعلي فيها مشتركاً بين العثمانيين والبلغاريين .
وشرح الخطر الخارجي الذي ينجم عن اصرار الدولة على الشروط الاولى
مع الاحوال الحاضرة

وخطب الداماد شريف باشا والمشير فؤاد باشا وعبد الرحمن افندي
ومحمود أسعد افندي ورشيد عاكف باشا وارستيدي باشا واحمد هرما

افندي ومختار باشا الغازي واسماعيل حقي بك فوافقوا كلهم على رأي الحكومة الا اسماعيل حقي بك فانه خالفها في الرأي . ثم ارفض المجتمعون نحو الساعة الرابعة و ١٠ دقائق . ونحو الساعة السادسة مساء أرسل الى الصحف بلاغ رسمي جاء فيه ما يلي

« عقد مجلس كبير من رجال مجلس الاعيان وأصحاب المقامات السامية من ملوكيين وعسكريين وعلماء . فقدم الصدر الاعظم ووزراء الحربية والمالية والخارجية باسم الحكومة ايضاحات متعلقة بالحالة الحاضرة . ثم دارت مناقشة طويلة في شأن تلك الايضاحات وكانت دلائل الاخلاص والاستقامة تبدو عليها . وبعد انتهائها وافقت الجمعية على رأي الحكومة وأفصحت عن ثقتها بالدول العظمى وأملت ان تحقق فعلاً ما وعدت به من المساعدة . ثم طلبت الجمعية من الحكومة ان تصرف كل جهدها الى حفظ سلامة الدولة في المستقبل ، وان تهتم بترقيتها من الوجهة الاقتصادية »

واذا رجع القارىء معنا الى سنة ١٨٧٧ أي سنة اعلان الحرب بين الدولة العلية وروسيا ، وجد ان عقد جمعية وطنية من أقطاب الدولة ليس بمجديد ولا وحيد في تاريخ الساطنة العثمانية ، فان كامل باشا تذكر ولا ريب ما فعله المرحوم مدحت باشا قبل اعلان الحرب الروسية العثمانية في تلك السنة فرآه من الصواب بمكان ، يخفف عنه أعباء المسؤولية ويكون وسيلة لبسط آراء ناضجة من رجال عرکهم الدهر وذاقوا منه الحل والمر

أما خلاصة ما جرى في عهد مدحت باشا، فهي أنه لما قامت الحرب بين تركيا من جهة والجبل الأسود من جهة أخرى، عُقد مؤتمر دولي للنظر في الحالة فعرض مندوبو الدول مقترحات اصلاحية وطلبوا تحقيقها فأبى المندوبون العثمانيون أن يقبلوها وقالوا لمندوبي الدول العظمى « أن الحكومة السلطانية قررت أن تنشئ دستوراً، والدستور من شأنه أن يعود بالنتائج التي تتفق مع رغائب الدول »

وفي أثناء اجتماع ذلك المؤتمر اقترح مدحت باشا أبو الدستور العثماني (وكان وقتئذ صدرراً أعظم) على السلطان عبد الحميد أن يعقد جمعية من صدور الدولة وعيون الأمة ليشاورهم في الأمر ويطلعهم على مذكرة بعثت بها الدول إلى الباب العالي وصرحت فيها بأن وعدها بالدستور لا يكفي وطلبت اصلاحات فعلية . لكن الجمعية أبت أن تقبل هذا الطلب فأدى رفضها إلى اعلان الحرب بين روسيا والدولة العلية في افريل سنة ١٨٧٧ . وكان من نتائجها فشل الجيش العثماني لأن يلدز كانت تدير حركانه ولا تدع الحرية الواجبة لقواده ولأن الخلل كان ملازماً للإدارة كلها لسوء الطالع، فجرى ما جرى من وصول الجيش الروسي إلى سان استفانو وعقد روسيا للمعاهدة الشديدة التي عدلها مؤتمر برلين في السنة التالية . ومن تلك النتائج أيضاً قتل الدستور العثماني وقتل أبي الدستور مدحت باشا



﴿ فترة الاسنان ﴾

قتل ناظم باشا - وسقوط وزارة كامل باشا

رأى المطالع فيما تقدم ان شوكت باشا وغيره من كبار الاتحاديين لم يحضروا الجمعية الوطنية لانهم كانوا ينوون الايقاع بوزارة كامل باشا حين تعلم الامة انها قررت التنازل عن ادرنه، ولقد وقع أن تلك الوزارة قررت فعلاً ان تترك أدرنه بشرط ان تبقى لها صفتها الاسلامية وتنال شبه استقلال اداري

وبينما كان مجلس وكلاء الدولة مهتما في ٢٣ يناير بدرس الجواب العثماني على مذكرة الدول التي تقدم ذكرها، هجم جماعة من الاتحاديين على الباب العالي، فحاول أحد الضباط منعهم فقتلوه . ولما سمع ناظم باشا وزير الحربية والقائد العام دوي العيار الناري خرج وانتهرهم فقتلوه أيضاً . وهنا نترك الكلام لكامل باشا نفسه قال (١)

فاضطر حينئذ بقية الوكلاء الى دخول غرفة أخرى لينتظروا ما يكون . أما أنا فقد لبثت في غرفة الصدارة ومعى باشكاتب المايين الذي حمل الي بعض ارادات سنية، وعلمت أن الثائرين ملأوا الباب العالي وانهم قتلوا أيضاً ستة من الياورية والحجاب الذين كانوا يحافظون على الوكلاء، وان اثنين من الثائرين أنفسهم قُتلا . ثم دخل علي جماعة من الضباط لا أعرفهم

(١) من حديث جرى بين السيد علي يوسف وكامل باشا ونشر في الموقيد



البرنس سعيد حاييم باشا
الذي عين وزيراً
للخارجية بعد سقوط وزارة
كامل باشا

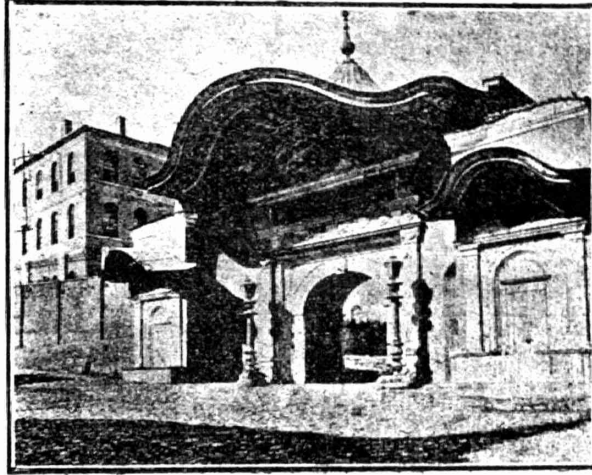


عزت باشا الذي
تولى القيادة العامة
بعد مقتل ناظم باشا

وهم أشخاص بلباس ملكية فاقرب مني ضابط جسور وقال « ان
الخواطر هائجة هياجاً عظيماً خارج الباب العالي وانه يجدر بي ان اكتب
استقالي » فخطر لي اني اذا ترددت في أمر الاستقالة تجاسر هؤلاء
على الايقاع بي ليتسنى لهم احتلال مقام الصدارة فكتبت عريضة
ورفعتها الى جلالة السلطان ملتسماً منه اقالتي من منصب الصدارة .
ولم تمض ساعة حتى جاءني رئيس قرناء الحضرة السلطانية وأبلغني كدر
جلالته من الحادثة ورجا مني ان لا أترك منصبى قبل ظهور النتيجة
فامتثلت »

« وكان الاتحاديون يدخلون ويخرجون في تلك الاثناء وجاءني
أنور بك فأكّد لي انه كان في تمرين العسكر وما علم بالواقعة الا في
الطريق . وبعد حين صدرت الارادة السلطانية بتعيين محمود شوكت
باشا صدراً أعظم فاجتمع بي وفاوضني في الحالة العامة وما تمكنت من
مغادرة الباب العالي الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات . وكان البرد شديداً
قارساً فآثر في صحتي وأصابتنى حمى شديدة »

وذكر كامل باشا ان جثة ناظم باشا وجثث بقية القتلى باتت مطروحة
ذاك الليل ثم دفنت في اليوم التالي ، وقد كان لمقتل ناظم باشا وقع شديد
في نفوس خصوم الاتحاديين وأنهم بهم بقتله عمداً وقالوا انه لو لم يكن
قتله مقصوداً لآظرت الوزارة الاتحادية قتاله وأنزلت به عقاباً اليماً . أما
الاتحاديون فينكرون ضربه عمداً



﴿ الباب العالي ﴾

ولما صارت مقاليد الامور الى أيدي الاتحاديين ، وطير البرق خبر
ذاك الحادث الى انحاء أوروبا ، وأذاعت صحف العالمين ان حجتهم في
اسقاط الوزارة الكاملة انما هي رغبتها في تسليم ادرنه ، أخذ المندوبون
البلقانيون في مؤتمر الصلح يقولون ان المفاوضات أصبحت ضرباً
من العبث مع وزارة شوكت باشا وأعلنوا العزم على قطع المفاوضات
واستئناف الحرب . وكانت الدول العظمى من جهة أخرى تنتظر من
وزارة شوكت باشا جواباً على المذكرة التي بعثت بها في عهد وزارة كامل
باشا . وبعد أيام قليلة أرسل الامير سعيد باشا حليم الذي عين وزيراً
للخارجية جواباً الى الدول قال فيه « ان الحكومة العثمانية تطلب قسمة أدرنه
الى قسمين قسم يأخذه البلغار وهو الذي يشتمل على الحصون والمعقل

وقسم يبقى لتركيا وهو المشتمل على المساجد والقبور السلطانية»
على ان البلغاريين أصروا أشد الاصرار على رفض هذا الطلب ، ولما
رأوا وزارة شوكت باشا مصرة عليه قطعوا المفاوضات وعادوا الى القتال
حول أدرنه وفي جتالجه وشبه جزيرة كليبولي ، وعاد الصربيون والجلبليون
الى مهاجمة أشقودره (وكان اليونان يواصلون أعمالهم الحربية عند يانيه
وفي أنحاء البحر لانهم لم يشتركوا في الهدنة كما قدمنا) فحدثت عدة معارك
شديدة في شبه جزيرة كليبولي وجتالجه خسر فيها العثمانيون والبلغاريون
عدة آلاف ، وحاول أنور بك ان ينزل بقوة عثمانية وراء البلغاريين فاخفق
سعيًا وخسر كثيرًا . ثم تقهقر الجيش الباغاري بضعة كيلو مترات لشدة
ما رآه من مقاومة العثمانيين ولرغبة قواده في انتظار نتيجة الاعمال الحربية
التي كانت تجري وقتئذ حول أدرنه

وما مضت أيام حتى استولى الجيش اليوناني على يانيه ثم سقطت
أدرنه كما وصفنا ذلك كله ، فخافت عندئذ الدول ان يرسل البلغاريون مئة
الف الجندي الذين كانوا حول أدرنه الى جهة جتالجه وان يتفانوا في أخذ
الاستانة فتضطر الدول الى فتح مسألتها ومسألة تركيا آسيا ، وهو ما تود
اجتنابه في هذا الوقت . فالتحت على البلغار في وجوب الكف عن الزحف
الى جهة العاصمة العثمانية وأفهمتهم ان كل خسارة يكابدونها في تلك الجهة
لا تجديهم نفعًا ، ثم الحوا على الحكومة العثمانية في وجوب الرضى بالصلح
على شروط من جهاتها ان تعطى أدرنه للبلغار ويكون خط التجديد بين
الاملاك البلغارية والاملاك العثمانية ممتدًا من اينوس (على بحر ايجه) الى
ميديا (على البحر الاسود) ، فقومت الوزارة العثمانية ما استطاعت ،

ولسكنها عادت فاضطرت الى قبول هذا الخط ، واجتمع مجلس الوكلاء
وكلف الامير سعيد باشا حليم وزير الخارجية ان يرسل الى الدول مذكرة
في قبول مقترحاتها

﴿ الهبة الثانية - ومقررات الصلح ﴾

والمؤتمر المالي

فقابل الباغاريون وسائر البلقانيين هذا الاستعداد السلمي بالسروور
والارتياح ، وعقد قواد البلغار وقواد العثمانيين هدنة شفوية ، وسافر
مندوبو الحكومات العثمانية والبلقانية الى لندن للتوقيع على مقدمات
الصلح طبقاً لما اقترحته الدول وهالك بمجملة :

أولاً ان يكون خط التحديد بين تركيا والبلغار ممتداً من اينوس الى
ميديا كما قدمنا ثانياً ان تستقل البانيا كما قرر مؤتمر السفراء . ثالثاً ان
يفوض أمر الجزر في بحر ايجه الى الدول العظمى ، وان تتنازل الدولة عن
جميع حقوقها في جزيرة كريت

ولما اجتمعوا في لندن أظهر البلغار يون رغبتهم في التوقيع بلا مهل
على المقدمات المذكورة خلافاً للمندوبين الصريين واليونانيين فانهم
أرادوا ان يدخلوا عليها تعديلات قبل التوقيع ، فوقف عندئذ بينهم السير
ادوارد غراي وزير خارجية انكلترا وألح في وجوب التوقيع على تلك
المقدمات وقال لهم ان من يأبى التوقيع يمكنه ان يبرح العاصمة الانكليزية ،
فوقع البلغار يون والصربيون والجبليون بعد هذا القول الشديد ، ونكص



الغازي شكري باشا بطل ادرنه

مندوبو اليونان ، وستعقد الشروط التكميلية بين تركيا وكل دولة
من أعدائها على حدة

ثم قررت الدول ان يعقد مؤتمر مالي في باريس لينظر في أمر الغرامة
المالية التي طلبها المتحالفون ، وفي مقدار الدين الذي يجب عليهم ايفاؤه
من الديون العثمانية بعد أخذ الولايات العثمانية في أوروبا ، وفي الامتيازات
المعطاة في تلك الولايات وسائر ما يتعلق بالامور المالية ، وقد بدأ هذا
المؤتمر بعقد جلساته في العاصمة الفرنسية ويُنْتَظَر ان تبقى أشغاله
عدة أشهر

ولما ذاع خبر رضي الوزارة الاتحادية بكل ما تقدم أخذنا نسمع همساً
ما يدل على تأهب خصوم الاتحاديين لعمل كبير ، وأخذوا ينشرون على
صُدُور الصحف ان تلك الشروط التي رضيت بها وزارة شوكت باشا
هي أشد واثقل على الدولة من الشروط التي رضيت بها الوزارة الكاملة .
على ان الاتحاديين يردون على هذا النقد بقولهم ان الدولة التي تقع في
خطر يجب عليها ان تدافع عن نفسها ما دامت تجد للدفاع سبيلاً ، حتى
اذا فازت استرجعت ما فقدت مع الفخر ، واذا فشلت انتقدت شرف
سيفها وشهد لها التاريخ بانها فعلت كل ما استطاعت

بمقتل شوكت باشا

الصدر الاعظم الاتحادي

وبعد أيام لا تزيد عن اصابم الكفين طيرت الشركات التلغرافية
لى أنحاء العالم نبأ خطيراً توقع كثيرون منه شراً مستطيراً . وهو ان

جماعة من خصوم الاتحاديين ركبوا أوتوموبيلاً وباغتوا شوكت باشا الصدر الأعظم في ساحة بايزيد أمام نظارة الحربية فقتلوه واحد الضباط رمياً بالرصاص ليثأروا للمرحوم ناظم باشا، فاشتد الخوف وعظم الهرج في دار الملك على أثر هذا الحادث، وأخذت الوزارة تقبض على الذين تتهمهم بتلك الجناية الفظيعة، ثم حاكمتهم في مجلس عرفي رئيسه من صميم الاتحاديين فحكم على عشرين بالاعدام منهم اثنا عشر كانوا تحت يد الحكومة الاتحادية فاعدمتهم شنقاً في ساحة بايزيد حيث قتل شوكت باشا وكان بينهم صالح باشا أحد أصحاب الاسرة السلطانية . أما الثمانية الباقون فقد كان بعضهم مختبئاً والبعض مقيماً في أوروبا وبينهم الأمير صباح الدين وشريف باشا صاحب جريدة « مشروطية » التي تصدر في باريس وما ذاع نبأ هذا الحكم الهائل حتى تضاربت الأقوال في موضوعه فوصفه قوم بالمجزرة البشرية وتوقعوا له مغبة سيئة لان الشدة تزيد الاحقاد وتدفع الخصوم الى الانتقام عاجلاً أو آجلاً . وقال آخرون بل هو عبرة مفيدة لمن تحدته نفسه بطلب الإصلاح من طريق القتل وسفك الدماء . وعندنا ان جميع العقلاء لا يسعهم ان يجادلوا في وجوب العقاب غير انه ربما كان من المصلحة والعدل ان يُكْتَفَى باعدام القاتلين وبتعديل الاحكام على سائر المتهمين

ولقد أخطأ الذين دبروا تلك المسكيدة بظنهم ان مقتل شوكت باشا يسقط الوزارة الاتحادية ويرفع أعداءها الى كراسيها، فان الامن العام بقي وطيداً في عاصمة السلطنة ثم رقي نخامة سعيد باشا حليم الذي كان وزيراً للخارجية الى مقام الصدارة العظمى وهو من أكابر أمراء الاسرة

الخدوية ومن الذين بذلوا المال والوقت واستهدفوا للخطر في سبيل
الدستور العثماني ، وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً أن جمعية الاتحاد والترقي أقدر
من سواها على الحكم

وكان ممن استوزرهم جلالة السلطان في وزارة الامير سليمان
افندي البستاني معرب الياذة هوميروس وأحد مؤلفي دائرة المعارف
البستانية والعضو في مجلس الاعيان . وكان يومئذ في عاصمة الفرنسيين
مهماً بقضاء مهمة للدولة وبعيداً عن مسرح السياسة المحزن الذي تعددت
مشاهدته في عاصمة السلطنة ، فرضي ان يكون وزيراً للتجارة والزراعة
على أمل الاصلاح . وكانت الحكومة العثمانية وقتئذ تفاوض لجنة المؤتمر
العربي الذي عقد في باريس بقصد أن تتفق معه على الاصلاحات المطلوبة
فكانت للبستاني يد بيضاء في تلك المفاوضة كما ستري في باب آخر



منازع الدول العظمى

ومؤتمر السفراء

عرف المطالع من فصل سابق أن الدول العظمى كلها وافقت بعد التناقل الذي يلزم كل عمل دولي على ما اقترحت فرنسا من اعلان التنازل التام عن كل مطمع خاص . ثم اجتمع مؤتمر سفراء الدول يوم عقد مؤتمر الصلح الاول في عاصمة الانكليز طبقاً لما اقترحه السير ادوارد غراي وزير خارجية انكلترا ، وكان غرض ذلك المؤتمر — أي مؤتمر السفراء — أولاً أن يكون واسطة العقد بين الدول العظمى فتبقى كلها متضامنة لا تنفرد واحدة منهن عن الاخرى ولا تأتي عملاً يكدر صفو السلم العام ثانياً أن ينظر في المصالح الخاصة لبعض الدول العظمى فيتخذ من الوسائل ما يصونها ويقضي عنها الضرر . ثالثاً أن يسهل سبيل الاتفاق بين المندوبين في مؤتمر الصلح ويضبط عليهم ليحملهم على كل ما يراه واجباً للسلم العام وحفظ التوازن

وهنا يجمل بنا ان نقول كلمة عن سياسة كل دولة لنظهر النحو الذي نحته في مؤتمر السفراء :

ان لدى كل دولة من الدول العظمى مصلحة تسمى المصلحة الاوربية الكبرى في عرف السياسيين ، وكل ما عداها من المصالح السياسية يأتي في المقام الثاني . والمصلحة الاوربية الكبرى عند روسيا تقوم بأن تحفظ

التوازن الاوربي وتجنب كل ما من شأنه ان يضعف الاتفاق الثلاثي امام المحالفة الثلاثية ، ولذلك رأيناها مضطرةً من جهة الى مراعاة هذا الامر الخطير الذي لا يتوطد بدونه السلم الاوربي ، ومجبرةً من جهة أخرى على تعضيد الصقالية الذين صبغت دماؤهم هضاب البلقان مخافة أن يثور الجمهور الروسي ثورةً تقذف بحكومته من حائقه . وكان التوفيق بين هذين الواجبين على روسيا بالغاً منتهى الصعوبة لان مصلحة النمسا كانت معارضة اشدّ المعارضة لمصلحة الصرب والجليل الاسود أي مصلحة الصقالية الذين تريد روسيا حمايتهم وانالتهم ثمر النصر . وما يوضح للمطالع بعض وجوه السياسة الروسية في تلك الظروف مذكرة نشرتها وزارة الخارجية الروسية في النصف الاول من شهر ابريل سنة ١٩١٣ قالت فيها « ان حصر الحرب في شبه جزيرة البلقان لم يكن مستطاعاً الا بشرطين أولهما أن لا تطلب الدول العظمى أرضاً أو منافع أخرى لانفسها ، والثاني ألا تنفرد واحدة منها بعمل ما . وهناك شرط ايجابي يأتي بعد هذين الشرطين السلبين وهو النظر في الحالة التي تنشأ عن الحرب والتوفيق بينها وبين مصالح الدول العظمى التي لا تستطيع التنازل عنها ، وكل قرار في هذا الشأن انما يناط بالمجتمع الذي ينطق بلسان اوربا كلها »

على ان دولة القيصر مع رغبتها في حفظ الوحدة الاوربية امام الحرب البلقانية ، لم تتردد في تعبئة قسم من جيشها حين اشتد الخلاف بين النمسا والصرب من أجل حادثة القنصل بروشاسكا الذي تقدمت الاشارة اليه ، ثم من أجل اصرار الصرب على أخذ بعض السواحل في جهات الادرياتيك . ولقد مرت أيام كانت فيها كل دولة عظيمة ساهرة أشد السهر وواضحة

يدها على مقبض السيف لا كفهرار الجوّ السيّاسي، فإن مليون عسكري من جيش النمسا والمجر لبثوا زمناً غير قصير وهم نازلون في المواقع التي يحسن منها الزحف على عاصمة الصرب وحدود الروس . والجيش الروسي من جهة أخرى قام يتأهب للطوارئ فدل استعدادة دلالةً ساطعةً على أن روسيا لم تكن تسمح للنمسا باغتنام فرصة الحرب لسحق الصرب . وحسب القاريء أن يفكر قليلاً في اتقسام أوروبا إلى قسمين هائلين بمقتضى المحالفات والصداقات ليعلم قلق الدنيا ولا سيما الاندية المالية من بلوغ الجفاء إلى ذاك الحد

وما تحسنت الحالة إلا بعد أن قرر مؤتمر السفراء في لندن أن تعطى الصرب ثغراً تجارياً على بحر الأدرياتيك ، وبعد أن نالت النمسا الترضية في مسألة القنصل بروشاسكا ، وفيما طلبته هي وإيطاليا من استقلال البانيا — بعد ذاك كله صرفت النمسا وروسيا جانباً من جيوشهما المعبأة وليس بعجيب أن نرى الدولة النمساوية تتميز غيظاً على الصرب وتغالي في معارضتها ، لأن النمسا كانت تطمع في سنجق نوى بازار وتنوي أن تهبط إلى سلانيك ، فخرمتها الصرب من السنجق وأبطلت حلمها بسلانيك . وزد على ذاك كله أن الصرب كانت أسيرة النمسا في شؤونها الاقتصادية ولطالما وقع الجفاء بينهما من أجل التشديد الذي كانت تأتيه النمسا في معاملة مواشي الصربيين حتى لقب أحد الظرفاء الحرب البلقانية « بحرب البقر والخنازير » يريد أن الصرب ما تفانت في الفتح وطلب منفذ إلى البحر إلا لتصدر منه بقرها وخنازيرها التي كانت النمسا تتحكم بها وتفعل ما تشاء

ولما أُصرَّ الجبل الأسود على اخذ اشقودره عادت النمسا تُرعد
وتُبرق وتهدد الجبل بالزحف إن بقي مصرّاً عليها ، ولكن الدول أفرغت
كل ما في وسعها مرة أخرى لمنع انفراد النمسا بالعمل ، وبعد مناقشات
طويلة بين السفراء تمكنت روسيا من أن تبقى لآخوانها الصقالية مدن
بريزرند وايبك وديا كوفادبرا التي كانت تلح النمسا في إلحاقها بالباينا
المستقلة ثم وافقت على حرمان الجبل الأسود من اشقودره ، وقالت في
مذكرتها التي أشرنا إليها « ان الجبلين الحريين لم يتمكنوا من الامتزاج
بعدة آلاف من الالبانيين المسلمين والكاثوليك الذين اختلطوا بهم منذ
٣٥ سنة كما أثبت فيس قنصل روسيا في اشقودره ؟ فهل يرجى أن يمتزجوا
بمئة الف الباني مقيمين في سنجق أشقودره ؟ ان مملكة الجبل اذا ضمت
قسما من السنجق كما طلبت تبنت مهدة بالتحوّل الى « البانيا جبلية »

ثم ذكرت وزارة الخارجية الروسية ان ملك الجبل لم يشاور روسيا
قبل اعلان الحرب كما تعهد لها . ومع ذلك فانها ساعدته وقرر مجلس أمتها
أن ينفخ بمملكته بتسعين الف جنيه بعد اخراج الجيش الجبلي من أشقودره
وكما دقق الباحث النظر وأعمل الفكر في حالة النمسا ، رسخ عنده
ان مسألة الصقالية التي تريد روسيا الاشراف عليهم - ومن جملتهم
الصربيون والجبليون - هي مسألة داخلية وخارجية معاً عند الحكومة
النمساوية . وما كتبته يد المقدور للنمسا انه كلما ازدادت اراضيها ازداد معها
ضعف الوحدة الجنسية ، وأن عظمتها في البلقان تكون دلي حساب تلك
الوحدة . قال الموسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً : ان الربح
الذي نالته النمسا بضم البوسنه والهرسك الى أملاكها ذو قيمة كبيرة ،

فإنها ضمت إليها أوسع أرض نالتها دولة أوربية عظيمة منذ سنة ١٨٧٠ من غير أن تطلق رصاصة أو تمتشق سيفاً . ولكن هذا الربح لم يأتها إلا مصحوباً بالمسؤولية ، لأنها زادت العنصر الصقلي في داخلية بلادها من جهة ، وأغضبت العنصر الصقاي الخارجي من جهة أخرى «
« ثم أرادت أن تتوج تلك السياسة البلقانية بفوز آخر فذالت من أوربا ترصية عظيمة وجديرة بالنظر ، وهي تأسيس البانيا مستقلة فوطدت مطامعها في قلب شبه الجزيرة وعلى الهضاب التي تشرف عليها من كل جانب . ولا غرو فإن إنشاء البانيا جديدة تحت حماية النمسا يجعل للنمساويين النفوذ الأكبر في البلاد البلقانية ، على أن كل انسان يدرك ما يقابل تلك المنافع من الأضرار بالوحدة الجنسية في سائر الامبراطورية النمساوية . وإذا كانت براعة الإدارة تخفف الأضرار التي تنشأ من هذا الوجه في البوسنة والهرسك ، فكيف تكون الحال في البانيا المستقبلية التي تقاصر بها حكومة النمسا في هذا الوقت «

تلك صفوة ما يقال عن تنافس الدولتين اللتين ظهرتتا كثيراً في صدر المرسح السياسي مدة الحرب . وهناك دولة تُعد مصالحها حيوية في بعض تلك الأنحاء وتسير مع النمسا خطوة فخطوة لا حياء فيها بل خوفاً من طمعها وهي حليفها الدولة الايطالية ، فإن منافستها للنمسا في جهات البحر الادرياتيكي مشهورة . وأصعب عقدة من عقد التنافس الادرياتيكي بين ايطاليا والنمسا ، ذاك التنافس الذي يتعلق أمره بالسلم الاوربي ، إنما هي في جهة البانيا ، ولذلك ترى الحكومتين اللتين تخيفهما نتائج ذاك

التنافس تتسببان بالحالة الحاضرة حبا في السلم .
واذا كانت النمسا تعتبر نفسها صاحبة السيادة في أشقودره وغيرها
بفضل حمايتها للكاثوليك وبمساعدة رؤساء الاساقفة والاساقفة والنسوس
الفرنسيسكانيين والديور التي تنفق من مال النمسا وبالمعاهد والعمال
والمدارس التي انشئت حتى في آخر قرية ألبانية ، أو بالبنك النمساوي -
فان ايطاليا من جهة أخرى أقامت معهداً امام كل معهد نمساوي ، وعندها
مستشفى ايطالي امام المستشفى النمساوي في أشقودره ، وجمعية دانتى
انشأت « المدارس الملكية » الايطالية لدى المدارس النمساوية ، ولغة
ايطاليا هي اللغة التجارية في جهات الادرياتيک ، والتقاليد الايطالية متبعة
هناك . فلذا يصعب علينا ان نسلم بأن ورثة جمهورية البندقية يتنازلون عن
التركة التي خلفتها لهم ، واذا كانت ايطاليا والنمسا تسيران كثفاً
لكتف في مجال السياسة كما ظهر من أقوالهما وأعمالهما في الاطوار التي
دخلت فيها الحرب ، فليس هذا التكتف الا لفرضين أولهما صيانة المصلحة
الاوربية الكبرى التي تقضي على ايطاليا بأن تحتفظ بها ، ولا يمكن
هذا الاحتفاظ الا بالتضامن مع حلفائها ، والفرض الثاني هو منع النمسا -
تلك الحليفة المنافسة المشاكسة - من العمل وحدها على احتكار المنافع
في البانيا والادرياتيک ، وما دامت المصلحة الاوربية الكبرى تقضي
بابقاء التحالف معها ، فلا وسيلة الى ذلك المنع الا السير بجانبها ومراقبة
كل ما تفعله عن كسب حتى لا يحرم الظليان من الغنائم المستقبلية ، ولا يشك
احد صادق النظر في ان غيرة النمسا وايطاليا على البانيا لم تكن لوجه الحق
الكریم ، فقد يأتي يوم تحصر فيه كل واحدة من هاتين الدولتين عن

ساعدها فتقلب منافستها السلمية الحاضرة الى منافسة عدائية ، وهو
أمر راجح تتوقعه صحف الطليان منذ الآن

أما فرنسا وانكلترا والمانيا ، فقد كانت الاولى منهن تؤيد روسيا
بحكم المحالفة الثنائية ، والثانية تؤيدها بحكم الاتفاق الودادي ، والثالثة
تؤيد النمسا وايطاليا بحكم المحالفة الثلاثية

على ان كل دولة منهن لم تكن تدفع تأييد حلفائها واصدقائها الى
حد مضر بالسلم العام . بل كانت كلها - ولا سيما فرنسا - تشتغل بيمينها
لحفظ ذاك السلم وتعمل يسراها على تأييد حزبها الدولي .

بيد أن جملة من الكتاب - ومنهم الموسيوي هانوتو وزير خارجية
فرنسا سابقاً - كانوا يعتقدون أن السلم والحرب في تلك الازمة كانا
منوطين بسياسة انكلترا والمانيا على الاخص ، وان وقوف هاتين الدولتين
العظيمتين وراء مرسح السياسة اشد تأثيراً عند المفكرين من ظهور روسيا
والنمسا في مقدمة المرسح واكثارهما من صليل السلاح ، وليس هذا الرأي
يبعد عن الصواب لان النمسا لا تقدم على المخاطرة الا اذا رأت من
المانيا دافعاً ، كما ان روسيا تلتفت مراراً الى انكلترا لتعرف رأيها قبل أن
تجعل القول الفصل للسيف والمدفع . ولقد دلت الحوادث على ان
الدولتين ارادتا التوازن لا الحرب

والخلاصة ان المنازع الدولية كانت تدل اولاً على سعي روسيا في
حماية الصقلية ومنع النمسا من الايقاع بهم . ثانياً على رغبة النمسا

وايطاليا في تمهيد السبيل لغنائم مستقبلية ما دامت الغنائم الحاضرة غير
ميسورة لهما . ثالثاً على رغبة جميع الدول في حفظ السلم الاوربي . وافضل
طريقة وجدها مؤتمر السفراء للتوفيق بين تلك المنازع الدولية هي أن
يقرر استقلال البانيا وادخال اشقودره فيها كما طلبت النمسا وايطاليا ، وان
تبقى للصقالة جملة مدن مما طلبته النمسا عند الحدود الشمالية والشمالية
الشرقية من البانيا (وهي المدن التي تقدم ذكرها) ثم يعطى الصربيون
تفراً تجارياً على الادرياتيک بدلا من ثغر حربي ، وأن يفوض أمر الجزر
في بحر ايجيه الى الدول العظمى

وهناك اعمال أخرى ايدها مجتمع السفراء كجمل خط اينوس
وميديا حداً فاصلاً بين مملكة البلغار والاملاك العثمانية الاوربية وغيره مما
يؤدي الى عقد الصلح في زمن قصير
على ان رغبة الدول في اعادة السلام الى البلقان في وقت قريب لم
تتحقق كما ستعلم



نتائج الحرب

من الوجهة السياسية

أرثنا مقدمات الصلح التي أمضيت في اندرا أن النتيجة المادية لتلك الحرب المشؤومة هي خسارة الدولة العلية لمعظم املاكها في تركيا أوروبا، فبقي ان نبحت في النتائج السياسية التي اسفرت عنها ، وهي قسمان داخلي وخارجي . واليك ماأراه جديراً بالذكر من القسم الداخلي :
كان من نتائج الحرب في انحاء السلطنة كلها أن الامة هالها ماظهر من الخلل في ادارة الجيش الذي كانت تحسبه قوياً سليماً قادراً على صد كل عدو مفاجيء . ثم التفتت الى بلادها فوجدت طلائع الخراب تهددها من كل باب ، ومما زادها خوفاً وهولاً أن الجرائد الاوربية الكبرى أخذت تنشر افصول السابغة عن قرب اضمحلال الدولة العثمانية - صانها الله - فهب عند ذاك طلاب الاصلاح ينادون بالاسراع ، واتفقوا كلهم على تعميمه في اقصر مايمكن من الوقت ، لكنهم اختلفوا في الطرق المؤدية اليه ، فمن الجمعيات التي أسست للسعي في سبيله « الجمعية البيروتية الاصلاحية » وهي موءلفة من المسلمين والمسيحيين وجامعة لنخبة من الوجهاء والكتاب . ومنها « جمعية اللامركزية » في مصر واركانها من افاضل المسلمين والمسيحيين العثمانيين ، واسمها يدل على غرضها ، وفروعها كثيرة الآن في سوريا والعراق وسائر بلاد العرب

وأمركا. ومنها الجمعيات الارمنية، واخص مطالبها اجراء الاصلاح
تحت مراقبة الدول العظمى

واجتمع في شهر يونيو سنة ١٩١٣ مؤتمر عربي في العاصمة الفرنسية
 حضره مندوبون من قبل « اللامركزيين » وسافر وفد من
 « الاصلاحين » البيروتيين الى تلك العاصمة ايضاً للسمي في سبيل
 الاصلاح، فانتقد عليهم جماعة من انصار الحكومة الاتحادية ذاك
 السمي في البلاد الخارجية قبل أن تفرغ الدولة العلية من حلّ مشاكها
 على أن طلاب الاصلاح ردوا ذاك الانتقاد بقولهم « ان اجتماعنا
 في بلاد الدولة غير ممكن لشدة ما تظهره الحكومة من الضغط، وليس
 يضر عثمانيتنا أننا اجتماعنا في بلاد أجنبية، فقد كان رجال تركيا الفتاة
 أنفسهم يجتمعون مثلنا أيام كانت الحكومة السابقة تحول دون اجتماعهم
 تحت سماء عثمانية. ثم نحن لانوقف فتنة على الحكومة العثمانية بل نريد
 حملها على الاتفاق معنا على الاصلاح الذي كثرت به الوعود الماضية
 ولم يُنجز منها وعدٌ واحد »

واتفق في ذلك الوقت ان سليمان افندي البستاني كان في العاصمة
 الفرنسية وان الامير سعيد باشا حليم الذي ارتقى الى منصب الصدارة
 بعد مقتل شوكت باشا رغب اليه ان يكون وزيراً للتجارة والزراعة،
 فاغتم البستاني تلك الفرصة وباحث مندوبي المؤتمر العربي ومندوبي
 بيروت، ثم ابلغ مطالبهم الى الحكومة العثمانية، واظهر لها وجوب
 الاتفاق معهم على الاصلاح ارضاء للامة العربية الكريمة. فأرسلت
 الوزارة الاتحادية مندوبين من قبلها فاتفقوا مع رجال المؤتمر على اجراء

الاصلاح ، فكان لعمل الوزارة السعيدية أثر جميل في النفوس وقالوا
انها اذا انجزت ما وعدت ، وجب ان يُسَطَّر لها التاريخ أجمل صحيفة
لانها تفتح وقتئذ عهداً جديداً لاتفاق العنصرين العظيمين اللذين
لاتعيش السلطنة الا بتضامهما واتفاقهما

اما صورة الاتفاق الذي قبلته الحكومة العثمانية فهي :

« أولاً يكون التعليم في جميع البلاد العربية باللسان العربي في القسم
الابتدائي والاعدادي ويكون بلسان الاكثرية في القسم العالي
٢ يشترط ان يكون جميع رؤساء المأمورين ماعدا الولاية عارفين
اللغة العربية ، اما من عداهم من المأمورين فيعينون في الولاية وانما يعين
في العاصمة القضاة ورؤساء العدلية الذين ينصبون بادارة سنية
٣ الاوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية تترك ادارتها لمجالس
الجماعات المحلية

٤ تترك الامور النافعة للادارة المحلية

٥ العسكري يخدمون في البلاد القريبة منهم ولكن العسكري الذي
يلزم ارساله الى اليمن والحجاز يكون على نسبة عادلة من جميع المملكة
العثمانية

٦ مقررات المجالس العمومية تكون نافذة على كل حال

٧ يُقبل مبدئياً ان يكون في هيئة الوزارة ثلاثة على الاقل من
ابناء العرب ، وكذلك يؤخذ منهم عدد مثله بصفة مستشارين او معاونين
في النظارات ويؤخذ اثنان او ثلاثة منهم في كل مجلس من مجالس شوري
الدولة ومحكمة التمييز ودائرة المشيخة وجميع الدوائر ويؤخذ اربعة او

خمسـة على الأقل في مرا كز أخرى مختلفة في كل نظارة

٨ يعين خمسـة ولاية على الأقل من ابناء العرب وعشرة متصرفين وتزال « مغدورية » الذين لم يتركوا اسوةً بامثالهم من مأموري الملكية والعدلية والعلمية

٩ يعين في مجلس الاعيان عدد من ابناء العرب بنسبة اثنين من كل ولاية

١٠ يستخدم مفتشون اختصاصيون من الاجانب في الدوائر المقتضية في كل ولاية وتعين وظائفهم وصلاحياتهم بنظام مخصوص
١١ يعطى مقدار من المال لسد عجز الدوائر التي تترك ادارتها للولايات فيضاف هذا المقدار الى ميزانية الولاية ويعطى غير ذلك نصف رسوم العقارات على ان يصرف للمعارف

١٢ يقبل مبدئياً ان تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية بالاسان العربي وينظر في أمر تنفيذه بالتدريج

١٣ توسع سلطة المجالس العمومية ويكون نصف المجلس العمومي في بيروت من المسلمين ونصفه من غير المسلمين هـ

ثم صدر هذا الكتاب والفريقان مهتمات بتنفيذ هذا الاتفاق ، واللسنة تلج بذكر الوزارة السعيدية التي أقدمت عليه

اما الارمن فما زالوا حتى الآن يفرغون الجهد للحصول على مطالبهم ولكن وجه الصعوبة الكبرى انما هو المراقبة الاجنبية التي يطلبونها بلسان وفد منهم يحول في عواصم اوربا ويسمى الى تحقيق تلك الامنية

برآسة بوغوص نوبار باشا كبير الارمن في القطر المصري ونجل نوبار
باشا الشهير

وليس في وسم المؤرخ الذي يقرر الحقائق ان ينكرها حقيقة راهنة
هي أن بين طلاب الاصلاح الذين هاتهم نكبة السلطنة وهبوا يطلبون
لها الاصلاح باخلاص ليساعدوها على الخلاص، اناساً من ذوي الاغراض
التي لا تتفق مع المصاحبة العثمانية الحيوية لكنهم قليلون لحسن الطالع .
وهناك اناس محبوبون للدولة راغبون في خلاصها واصلاحها ، إلا أن
الحوادث الالمية التي وقعت أخرجت صدورهم واضعفت، نورهم فشدوا
في أحكامهم ، وأسترسلوا الى أوهامهم، حتى رأينا بينهم من طلب الدواء
من الداء . أجل ان بينهم من طلب الحكم المطلق ، وامل هذا الفريق
الضئيل من الناس ذهبوا هذا المذهب بعد ما نشرته الجرائد من أن السلطان
المخلوع قال يوم نقلته الحكومة من سلانيك في ابان الحرب « ان
وقوع حريين وحدث فشلين للدولة في سنة واحدة لشيء كثير وامر
جليل » فما انتهى كلام ذاك الطاغية اليهم حتى صعدوا الحسرات قائلين
« آه لو كان عبد الحميد على سرير السلطنة لما اصاب الدولة ذاك الخطب »
مهلاً ايها القوم ، ونظرة الى التاريخ منذ سنة ١٨٧٧ الى اليوم ،
فان التفكير القليل بعد التغلب على المواطنين يكفي للرجوع عن هذا
التمني . ألا ما هي المسألة المقدونية التي امتلأ البلقان من اجلها حديثاً
وناراً ودماً بريئاً ؟ اليس اراثا من العهد الحميدي الذي كانت فيه لفظة
الاصلاح مشاكاة للفظه الخيانة ؟ بل ما هي مملكة البلغار ؟ إن هي إلا
ولاية عثمانية قديمة كان سوء الحكم من اسباب فصلها عن السلطنة

ثم تنبّهت ونحن غافلون وصعدت ونحن نازلون حتى صار لها من الحول والقوة ما يمكنها من تجريد الحسام على سيدتها القديمة ؟

وليس هذا الخسران كل ما أصاب الأمة من العهد الحميدي الذي تنناه بعض العثمانيين همساً . فان العاقل المفكر يجد فوقه ضرراً أعظم وأقرب ، يجد الضرر الهائل الذي أصاب الاخلاق ، فجعل نصف العثمانيين في دار الملك وغيرها جواسيس على النصف الآخر بل جواسيس بعضهم على بعض . وجعل السرقة والرشوة مورداً مألوفاً حلالاً عند الالوف من الموظفين كباراً وصغاراً ، كما جعل الفضيلة والرياسة منساويتين وربما عد صاحب الاولى أحق ، لا يدري كيف يسترزق

وأضف الى هذا الفساد العام الجهل المطبق الذي كان اصحاب العهد الحميدي يعدونه من مصلحة الحاكمين ، ولا يحسبون الأمة الابقرة حلوباً يؤخذ درها وهي تحت النير . وليس من نتيجة طبيعية لذاك الفساد وتلك الجهالة الا الخلل في جميع الدوائر العسكرية والمالية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وتقطع اسباب اللفة بين العناصر

فاذا ارادت الأمة العثمانية أن تعرف نعمة الدستور فلتحكم على الحاكمين بان ينفذوه بنداً بنداً ، وعندئذ ترى الفرق كوجه الصبح

اما القسم الثاني أي النتائج السياسية الخارجية ، فقد ذكرنا منها الاثر الذي حدث في العالم الاسلامي ، وليس من الحكمة أن يغفل العثمانيون الاثر الذي حدث ايضاً في أفكار السياسيين الاوربيين والصحف الشبيهة بالرسمية في الغرب ، فمن ذلك أن وزير خارجية فرنسا ، وجريدة

التان التي تنطق على الغالب بلسان وزارته ، وسائر الصحف الفرنسية والكبرى أخذت تكبر مصالح فرنسا في سوريا وغيرها وتقول إن الجمهورية لا تسمح بحل مسألة اسيا الا بالاتفاق معها . وسفير المانيا في الاستانة التي خطبة أمل فيها ان يكون مستقبل تركيا في اسيا وذكر « ان لالمانيا مصالح عظيمة في اسيا الصغرى » ، وجاءت ايام بعد وصول البلغاريين الى جتالجه سمع فيها العثمانيون اقتراحات تمجها آذانهم إشفافاً وتحقق منها قلوبهم ففرقاً ، فكان بعضهم يقترح تحويل الاستانة الى امارة مستقلة ، وأناس يتوقعون ان تأخذها روسيا ، ثم زادت الاقاويل وتنوع التخمين بعد أن أرسلت الدول المذكورة التي حضت فيها الحكومة العثمانية على قبول شروط الصلح والممت الى خطر يهدد الاستانة والبلاد العثمانية الاسيوية اذا اصررت الدولة العلية على رفض تلك الشروط بيد ان الدول العظمى رأيت بعد التنافس والتنافر أن تبقى باب المسألة الاسيوية مقفلاً فسكنت الخواطر واطمأنت القلوب في السلطنة

ومما يصح ادخاله في نتائج الحرب البلقانية أن الحكومة الالمانية لما رأيت النصر يكال هام البلقانيين ورأت روسيا وسائر دول الاتفاق الثلاثي تشد أزرهم ، قالت ان توازن القوات الاوربية أصبح مختلفاً بعدما اظهرته ممالك البلقان ، فقررت أن تسن قانوناً جديداً يقضي بزيادة الجيش الالمانى العامل من ٦٠٠ الف الى نحو ٩٠٠ الف جندي ، فما ترمى هذا الخبر الى فرنسا حتى اضطربت من شرقها الى الغرب وجنوبها الى الشمال

وهبت جرائدها تلح في وجوب تعزيز الجيش الفرنسي العامل لانت قوة الجيش الألماني الممدد للصدمة الاولى ستربو بعد زيادته نحو ٣٥ في المئة عن قوة الجيش الفرنسي الممدد للغرض عينه . ومما زاد الفرنسيين قلقاً وتطيراً أن الحالة المالية في المانيا لم تكن تسمح بائصال عائق أمته ولا سيما بعد أن قامت بمشروعات حربيين في سنتي ١٩١١ و ١٩١٢ فتركاً عجزاً مذكوراً في الميزانية العامة — لذلك كله لم يصدق الفرنسيون أن غرض المانيا الوحيد هو حفظ التوازن العسكري بعد ما أبدته الممالك البلقانية من القوة بل خافوا أن يكون غرض المانيا المستور ما نسب إلى اركان حرب الجيش الألماني من عهد قائدهم الكبير مولتي ، وهو أن تجعل المانيا جيشها العامل قادراً على ضرب الجيش الفرنسي العامل ضربة سريعة قاضية فيخترق صفوفه من ثلاث جهات حتى يصل إلى الانحاء التي يعبأ فيها الاحتياطي فيمزقه قبل تعبئته وحشده

وبعد مناقشات قوية وحملات قليلة ، أعادت فرنسا خدمة ثلاث السنوات في جيشها لان أعادتها تبلغ جيشها العامل إلى نحو ٧٢٠ ألف رجل ثم زادت روسيا جيشها من جهة أخرى وحسنت طريقة التعبئة وضاعفت الخطوط الحديدية الحربية في عدة انحاء فصار في وسعها أن تعي جيشاً جراراً في عشرين يوماً أو أقل

ثم قامت النمسا تعزز جيشها أيضاً بمجاراته لحليفها المانيا وحذراً من دول البلقان التي ظهرت أولاً في مظهر المحترم لمشيشة روسيا والمحقق لرغباتها بيد أن الحوادث الآتية ستبرهن لنا على أن البلقانيين وخصوصاً البلقانيين ظهوروا قبل فوزهم في مظهر المحترم « لكبيرة الممالك الصقلية » ثم

اعرضوا عن مشيئتها بعد فوزهم ، فقامت الحرب البلقانية الثانية بين الحلفاء
انفسهم كما منشرحه (١)

(١) بعد الفراغ من طبع هذا الفصل اصدرت الحكومة العثمانية اوامرها باصلاحات
تشتمل على بعض ما جاء في الاتفاق الذي أكد رجال الامر كزية عقده و ابرامه بين
مندوب الحكومة الاتحادية والمؤتمر العربي السوري الذي اجتمع في باريس . أما بقية
تلك الاصلاحات فتختلف عما جاء في ذاك الاتفاق ، واهم وجوه الاختلاف الاقتصار
على التدريس باللغة العربية في المدارس الاعدادية والمدارس الابتدائية مع ان المطلوب
اقامة المساواة بين اللغتين العربية والتركية . وهناك بعض عبارات مبهمه تحتمل التأويل
ويمكن معها التماس . فاهذا عاد الخلاف بين الحكومة واللامركزيين ، فنرجو ان يكون
هذا الخلاف سحابة صيف ...

المذكرات الحربية

لمحمود مختار باشا

قائد الفيلق الثالث

لما وصلنا في هذا المؤلف الى هنا وقفنا على خلاصةٍ لمذكرات القائد الباسل محمود مختار باشا فلم نشأ أن نختم مباحثنا عن الحرب البلقانية الاولى بدون أن نذكر بمجمل رأي هذا القائد الكبير الذي يمكنه أن يتقلد سيفه وهو مرتفع الرأس وقبل الكلام على آرائه يجمل بنا أن نذكر هنا أنه قدم مذكراته للابطال الذين اتقوا شرف السيف العثماني في تلك الحرب كشكري باشا واسعد باشا ووهيب بك ورضا باشا . ولا عجب فان الشجاع يحب الشجاع أما وجوه الانتقاد التي ذكرها فمن أهمها أن القيادة العامة كانت تبني حسابها على العدد لا على القوة الحقيقية ومقدرة الفرق ، فلما احتشد في ادرنه وغيرها من تراقية نحو ١٥٠ ألف جندي ، ظن ناظم باشا ان الهجوم صار ممكناً ، ولكن سوء حال الجنود ظهر منذ اوائل الحرب ، بدليل أنه بدى بالاعمال الحربية في ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٢ وما جاء ٢٠ منه حتى أصيب قسم من الجنود بهلع شديد تحت جنح الظلام فنفرق شملهم أمام قوة ضعيفة من الاعداء . ثم حدث مثل ذاك الملع في بترافانخلت القلوب ونقهقرت الجنود الى قرق كليسا نفسها بلا موجب ، وبات فريق من الضباط

لا يفكر الا في نفسه واهله فتركوا جنودهم ورحلوا وكان معظم هؤلاء الضباط من القرى المجاورة فاغتموا فرصة الظلام لينسلوا الى قراهم

ثم وصف محمود مختار باشا المنظر الاليم الذي شهده يوم النقهقر من قرق كليسا فقال « اني رأيت المدافع والاسلحة مطروحة على طريق ويزه ، والجنود والفلاحين هاربين هائمين ، ودلائل الفزع والهلع بادية على وجوههم . فاضاعوا نصف مدافع الفيلق وقدرًا كبيرًا من صناديق الذخيرة والامتعة . وكان ذاك المنظر فاجعًا أليماً لا يوفيه حقه من الوصف الا قلم أميل زولا . وليس هذا كله نتيجة كسرة طاردنا العدو على أثرها بل هو نتيجة رعب لم يذكر التاريخ العسكري مثله . فان البلغار بين فازوا فوزًا عظيمًا بلا قتال شديد والجنود العثمانية فشلت وهربت بلا سبب قاهر

ثم روى المؤلف ان احد القواد الذين كانوا تحت امرته كتب اليه يقول « لقد كان من أشد الصعوبات قيادتنا لطواير لا يعرف جنودها كيف يستخدمون بنادقهم ولا يستطيع رؤساؤها أن يأتوا أقل حركة قبل أن تصدر اليهم الاوامر واذهب لتنفيذها . وكان بعض الرؤساء اذا صدر اليه امر رأيته كمن يريد البكاء والعويل وظهر في أدنى مظاهر الذل رجاء أن يتملص من عبء تنفيذه »

ثم تطرق الى تنظيم الفيلق الثالث بعد ذاك الخطب فذكر انه تمكن من تأليفه وازافة فرقتين اليه وقاتل العدو منذ ٢٨ أكتوبر الى اول نوفمبر شرقي بونار حصار فألحق به خسارة كبيرة . وبعد معركة لوله بورغاز نقهقر مع الجيش كله الى جتالجه حيث ألفت القيادة العامة هناك ثلاثة فيالق ثم فيلقاً احتياطياً ، وبقي محمود مختار باشا مستملاً قيادة الفيلق الثالث منها حتى أصيب بجرح بالغ

في ١٨ نوفمبر فنقل الى الامتانة ثم عين سفيراً في برلين وما زال فيها حتى صدور هذا الكتاب

وبعد ان بحث المؤلف في أسباب الفشل التي لا يخرج معظمها عما ذكرناه ختم بالعبارة الآتية

« وصفوة القول أن البلغاريين لم يغلّبونا بل نحن كنا ضحيةً لسوء ادارتنا وغلطاتنا . فيجب علينا ان ننظر نظرة صادقة في احكامنا على انفسنا ، وان نعود الى قواعد متينة سواء كانت من الوجه الادبي أو الاجتماعي أو الحربي أو السياسي . واذا كانت الدروس القاسية التي تلقيناها لا تكفي لتسييرنا في طريق الخلاص فلا شك أنا صاثرون مصير بولونيا »

« كان اجدادنا قبيلة من الرحّل ، فنهض بهم جدهم الى مقام دولة عالمية عظيمة . ثم جاءت عدة اسباب فاودت بالجهد الذي بذله اولئك الاجداد الابطال . فاذا لم نستأصل تلك الاسباب اوشكنا ان نضيع استقلالنا ، بل السلطنة كلها »

تلك صرخة عثماني لم يرض على دولته بالنفس ولا بالنفيس ، جعل الله لصداها رنة في قلوب العثمانيين طرّاً لعالمهم يصلحون فيفلحون

حديث مع الامير عزيز باشا حسن

امير القواد العثمانيين

الامير عزيز باشا هو سليل الاسرة العلوية التي اخرجت قوادا كبارا خلد التاريخ ذكرهم . وهو معروف منذ غلواء الشباب بالميل الى الجندية ، والفيرة على الدولة العلية ، والسخاء على انصار الدستور العثماني، ومعدود من جملة الضباط الذين درسوا الاصول الحربية درسا كافيا في المانيا. واكبر دليل على أن شهرته بقيت كما وصفنا الى يوم قرق كليسا تعينه قائداً لاحدى الفرق العثمانية في ذاك المكان لكن شوئم الطالع قضى بالفشل العظيم في قرق كليسا منذ ابتداء الحرب فاصاب الامير وفرقتة ما اصاب الفرق التي كانت في تلك الجهات ، وأجمع الناقدون الحريون على ان ارسال ادنى طبقات الرديف الى هناك وقلة عدد الضباط كانا السبب الاكبر في ذاك الحادث الاليم

ومن حسن طالع بعض كبار الضباط الذين كانوا هناك وفي مقدمتهم محمود مختار باشا أنهم عادوا جفروا كسر سمعتهم العسكرية في المعارك التالية فقامت أعمالهم فيها برهاناً دامناً على ان ماجرى في قرق كليسا من الرعب الغريب الفجائي بين الجنود لا يصح ان يجعل أساساً لاحكام عادلة نهائية على كبار الضباط ، اذ ليس في وسع ضابط في العالم ان يحرز نصراً حين يكون معظم جنوده من اناس لم يشتموا رائحة البارود ولم تكتمل عيونهم بدخانه ولم يتعلموا كيف يضعون الرصاص في بنادقهم

وعلى ذلك نقول ان المؤرخ الذي ينشد الحقيقة لا يمكنه ان يصدر حكماً
باتاً على الامير عزيز باشا بعد فرق كليسا وحدها ، ولا سيما أن هذا القائد الذي
خدم الدولة حباً في الدولة لا في الراتب الذي اغناه الله عنه أُصيب لسوء
طالعه بالدوسنطاريا بعد مصيبة فرق كليسا فلم يستطع مواصلة الخدمة كغيره
ولقد رأيناه كما رآه سكان القاهرة جلدًا على عظم يوم قدومه للاستشفاء ،
وشهد الاطباء الذين عالجوه بأن حالته كانت شديدة . وكل انسان يدرك
بالبداهة أن من كان مريضاً لا يمكنه ان يواصل القتال ليعتاض عما افقدته اياه
ظروف فرق كليسا : تلك الظروف التي لم يروا التاريخ مثلاً كما قال محمود مختار باشا



قلنا ان دولة الامير عزيز قدم مصر للاستشفاء . وما نفرض عنه غبار
السفر حتى هرع اليه الصحافيون يرجون محادثته فأبى أن ينبس ببنت شفه لان
الحرب كانت لا تزال قائمة فلا يجوز اضابط كبير لم يستقل ولم يُقل ، أن
يبحث في الاعمال الحربية . ولما عقدت معاهدة اندره قصده واضع هذا
الكتاب ورجا من دولته ان يجيبه على بعض الاسئلة المتعلقة بالحرب فتكرم بالقبول
واليك الاسئلة وخلاصة اجوبتها

— سألتناه عن تأليف الجيش العثماني قبل الحرب ويوم انلائها فقال :

« ان الحكومة العثمانية غيرت نظام الجيش سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ فبعد
ان كان سبعة فيالق (اوردو) وفرقين مستقلين ، جعلته اربعة عشر فيلقاً وعدة
فرق مستقلة بعضها في الحجاز والبعض في طرابلس الغرب ثم في اشقودره
ويانيه الخ . وجعلت كل فرقة مؤلفة من ثلاثة الايات وفصيلة من النشاحية

وعدد من البطاريات ، وقررت ان يُزاد عليها وقت الحرب بلوك للهندسة
وكوكتان من الفرسان وعدد من الباشيزق

على ان الفيالق لم تتم اسوء الحظ بل كان الطابور في كثير من الاحيان
لا يزيد عن ٢٠٠ رجل ونزل في بعضها الى ٣٠ أو ٢٠ رجلاً ثم أعلنت الحرب
والحال على هذا المنوال في الجهات التي جرت فيها المعارك ، وكانت معظم
الرديف لا يفهم شيئاً من الحركات العسكرية
فسألناه عن الضباط فقال :

« ان الحاجة كانت شديدة الى الضباط ، وبعض الطواير لم يكن معه الا
ثلاثة أو اربعة ضباط وقلما كنت تجد ستة ضباط في طابور واحد مع أن
الطابور يحتاج الى ١٥ أو ١٦ ضابطاً اذا كان ٨٢٤ بندقية كما يجب ان يكون
وقت الحرب . ومما يُذكر هنا ان الحكومة أرادت ان تتم العدد اللازم للطواير
فدعت الطبقات الاولى والثانية والثالثة من الرديف ، ومع ذلك كله لم يتم العدد
المطلوب ، ولم يكن في الطابور إلا نحو ١٥٠ رجلاً يعرفون كيف تطلق البنادق .
فأحدث جهالة الرديف وقلة الضباط خللاً كبيراً »

ثم أفاض دولته في الكلام على الغلطة التي ارتكبتها وزارة مختار باشا
بصرفها نحو ١٨٤ الفاً من الجنود قبل اعلان الحرب بايام قليلة . وقال انه لما قطع
المتحالفون علاقتهم بالدولة العلية وبدأوا في ١٨ أكتوبر الماضي بالقتال صدر
الامر باتمام الفيالق من الرديف فلم تجد الحكومة اليه سيلاً . وضرب لنا مثلاً
الحلل الذي حدث وقتئذ في ألای حسن عزت بك فقال ان هذا الألای
سافر يوم صدور الامر بصرف الجنود . ولما صدر الامر الى الرديف بالرجوع
قبيل اعلان الحرب شخص حسن عزت بك بجنوده ، وما وصل الى مكان

الحشد حتى صار عدد الایه ۳۵۰ رجلاً فقط لان كل قائد رآه في طريقه كان يأخذ منه عددًا من الجنود حتى نزل الالای الى ذاك الحد من الضعف . واذا أضفنا الى هذا الحلل أن طريق البحر كان مقطوعاً فلم يكن في طاقة الحكومة أن تستقدم جنود سوريا ، أدركنا مبلغ الخطأ الذي نجم عن صرف تلك القوة العظيمة قبیل نشوب الحرب

ثم أدى بنا الكلام الى الحطة الحرية والمصاب الذي حل بالجيش في قرق کلیسا فقال ان عبد الله باشا قائد جيش الشرق قال لجلالة السلطان منذ البداءة ان الجيش لم يكن مستعداً استعداداً وافياً للحرب . ثم جرى حديث بينه وبين جلالته في هذا الشأن أمام المرحوم ناظم باشا ومحمود مختار باشا ، ولكن حدث في ذاك الوقت أن الطلاب وغيرهم تظاهروا والخوا في طلب الحرب ، وقامت الدلائل على رغبة البلقانيين في دفع الخلاف الى أقصى الحدود فأتمر عبد الله باشا بأمر جلاله السلطان واستلم قيادة الجيش في تراقية . وكان من خطته ان يلزم الدفاع ، ولكن ناظم باشا أمره بالمجوم (وقد أيد محمود مختار باشا هذا الخبر في مذكراته)

وكانت الفكرة العامة أن يزحف الفيلق الثالث بقيادة محمود مختار باشا على ميسرة البلغار ، ويزحف الفيلق الرابع بقيادة عبوق باشا على ميمتهم ويهجم الفيلقان الاول والثاني على الجيش البلغاري ، وان تحارب فرقة الفرسان المستقلة في جهة الميمنة ويهجم في الوقت ذاته قسم من حامية ادرنه على الميمنة البلغارية إلا ان الجيش العثماني لم يفلح لسوء الطالع في تنفيذ تلك الحطة لان الرعب الذي حدث ليلاً بين الرديف فكك اوصال فرقة شكري بك وسرى منها الى الفيلق الثالث فتقهقر الجنود الى قرق کلیسا ثم تركوها بلا نظام ولم

يدخلها البلغار الا بعد ثلاثة أيام لانهم لم يعلموا بذاك الخطب العثماني في وقته
وكان دولة البرنس يقود فرقة المشاة الثانية من الفيلق الاول فقاتلت حتى
اضناها التعب والجوع وخسرت خسارة عظيمة . ولكن كثرة الرديف غير
المدرّب فيها أدت الى تدهورها بلا نظام كما وقع للفرق الاخرى التي كانت في
ذاك الموقع

وعلى اثر نكبة قرق كليسا صدر أمر عبد الله باشا بمحشد الجيش على خط
بونار حصار ولوله بورغاز عملا بمشيئة القيادة العامة ، وأخذ يستعد لمركة
لوله بورغاز الكبرى

وهنا أُلْمِع دولة البرنس في حديثه الى وقوع خلاف بين عبد الله باشا
وناظم باشا وذهب الى ان خطة الاول هي المثلى ، ولكن ناظم باشا أصرّ
على رأيه

وما تصرّمت أيام قليلة حتى مرض دولة البرنس بالدوسنطاريا لشدة
ما قاساه من شظف العيش والتعب المضي ، فسافر الى الاستانة فاوروبا
فمصر للاستشفاء

الحرب الثانية

بين البلقانيين انفسهم

اسباب نشوبها

ما أعمدت بلغاريا حسامها بعد لوله بورغاز وجتالجه وادرنه حتى طغت
وبغت وجاشت المطامع الآكلة في صدرها وساد الحزب العسكري في عاصمتها
فضربت الكبرياء على مقاتليه غشاوة كثيفة من الغرور حتى أصبحت كل اقواله
وافعاله تدلُّ على اعتقاده أن جيوش الصرب واليونان والجبل الاسود لم تعمل
عملاً مذكوراً في الحرب الطاحنة التي قامت بين الجيش العثماني والجيوش
البلقانية ، مع ان الناقدين الحريين أجمعوا على ان معركة كومانوفو كان اثرها
في الجيش العثماني الغربي شديداً بأثر معركة لوله بورغاز في الجيش العثماني الشرقي
كما أجمعوا على أن السيادة البحرية التي كانت للأسطول اليوناني ألحقت
بالدولة العلية من الاضرار ما يعادل تأثير احدى المعارك الكبرى التي ساء فيها
طالع العثمانيين ، لان هذا الاسطول حال دون ارسال الوف كثيرة من الجنود
السورية وغيرها الى عاصمة الدولة في ابان الحرب كما شرحنا في فصل سابق
لكن الباغاريين لم ينظروا الى ذلك كله بل أخذوا يطلبون قسمة ضئلى تهضم
حقوق الصربيين واليونانيين معاً . واول ما طلبوه أن لا يُعدَّل شيء في الاتفاق

المتعلق بتقسيم الاراضي بينهم وبين الصرب رجاء ان يكون وادي واردار ومناستر داخلين في حصتهم ، فانكر عليهم الصربون هذا الطمع وقالوا في اعتراضهم عليه ما جوهره « ان الاتفاق عُقد بين حكومتي البلغار والصرب قبل الحرب ، وقد تضمن أن بلغاريا لا تنكص عن ارسال قوة كبيرة من جيشها لتأييد الجيش الصربي اذا هددته خطر داهم من جانب النمسا ، والواقع الذي قضت به الظروف أن الصرب هي التي ارسلت خمسين ألف جندي من صفوة رجالها لمساعدة البلغاريين على قمع ادرنه بدلا من أن نلتقي النجدات يوم اسود وجه السياسة بين الصرب والنمسا . وهناك حجة أخرى لا تبي وجباً وجيهاً لاصرار البلغار على ذلك الاتفاق وهو أن حكومتي صوفيا وبلغراد لم تتوقعا يوم كتابة شروطه أن الدول العظمى ستجعل البانيا امانة مستقلة ، وستجبر الصربيين على تركها ، وستحرّمهم من ثغر حربي على الادرياتيكا كما فعلت اجابة لطلب النمسا . فلو كان في استطاعة الصرب ان تضم اليها جميع البلدان الالبانية التي فتحها لما عارضت البلغار في ابقاء الاتفاق على حاله »

غير ان البلغاريين أبوا أن ينزلوا عن طمعهم في مناستر وسائر ما طلبوه بحجة ان خسارتهم كانت أعظم من خسارة غيرهم ، فاخذت العلاقات تتراخى يوماً فيوماً بينهم وبين البلغار وصار كل فريق ينظر الى الآخر بعين حمراء من الغيظ والحقد

وكان البلغاريون يصرون من جهة أخرى على طلب سلافيك ويدعون دخولها قبل اليونان ويتقاضون معها قوله وارااضي أخرى من البلدان التي يعدها اليونان مهد وطنيتهم من سالف الزمان ، وصرنا نسمع بين حين وآخر انباء مناوشات بين الجنود اليونانية والجنود البلغارية على الحدود الوقتية التي

عنها الفريقان بعد الحرب الأولى ، وحدث أن الجنود البلغارية اجتازت غير مرة شقة حرام كانت بين الجيشين هناك . فاوغر البلغار صدور اليونانيين كما أوغروا صدور الصربين عليهم . إلا أن اليونانيين كانوا يفضلون التحكيم السيامي على تحكيم السيف لان الاخبار التي وردت اولاً عليهم كانت تدل على أن الجيش البلغاري قوي هائل كما روى ولي عهد اليونان لمراسل الثان الحربي

ولكن تهديد البلغار لليونان صار يشتد يوماً فيوماً حتى اقتضت الحكومة اليونانية والحكومة الصربية بان الاحتراس والاحتياط واجبان ، فعقدتا محالفة حربية في شهر مايو سنة ١٩١٣ وأصدرتا الاوامر الى جيوشهما بالوقوف على قدم الحذر والاهبة

وكانت الدول ولا سيما روسيا تحاول في خلال تلك الظروف أن تمنع نشوب الحرب بين الحلفاء ، وتحضهم على قبول التحكيم ، فوافقوا على الرضى به كقاعدة ، ولكن بلغاريا أثبتت الا أن يكون الاتفاق السابق بينها وبين الصرب اماساً للتحكيم ، وطلبت حكومة الصرب اماساً آخر له . ولما رأى قيصر الروس هذا التراوح بين الصقالبة ، ورأى من وجهه اخص أن بلغاريا التي اظهرت اَبان الحرب الاولى انها تحترم ارادة روسيا اخذت لتذبذب وتجنح الى التمساً ، ظهرت دلائل الغضب على روسيا من اقوالها الرسمية والشبهية بالرسمية ، وارسل القيصر الى ملكي الصرب والبلغار كتاباً قال فيه :

« لما بلغني ان رؤساء حكومات البلقان سيجتمعون في سلايك وانه يمكن اجتماعهم ايضاً في بطرسبرج لحل المشاكل بين دولهم ، فرحت فرحاً شديداً لاني حسبت هذا المسعى دليلاً على رغبة الامم البلقانية في الاتفاق على وجه حبي ، وتوثيق روابط التحالف الذي اسفر حتى اليوم عن أجمل النتائج »

« ولكنني علمت مع الحزن الشديد أن ذاك العزم لم يدخل حتى الآن
سبيل التنفيذ ، وإن الدول البلقانية تستعدُّ على ما يظهر لاسمار حرب « أخوية »
حربٍ تسود وجه المجد الذي احرزوه بالتضامن »

« فبناء على الحق الذي لي والواجب الذي عليّ أوجه الكلام الى جلالتم
في هذا الوقت المصيب ، فإن الامتين الصربية والبلغارية فوضتا الى روسيا في
معاهدتهما أن تحلّ ما يمكن حدوده بينهما من المشاكل عند تنفيذ تلك المعاهدة ،
فاطلب الى جلالتم أن تحافظوا على عهدكم وأن تنيطوا بروسيا حلّ الخلاف
القائم بين بلغاريا وصربيا »

ثم ختم القيصر كتابه بأن روسيا تحفظ لنفسها حرية العمل وإن الأمة
التي تبدأ باعلان الحرب على الاخرى تكون مسئولة أمام الصقالية ... »

على ان هذا الكتاب القيصري برغم ما ينطوى عليه من التهديد والسخط
لم يجد نفعاً ولم يحبس طمعاً بل احدث استياء في نفس النمسا لانها لا تريد ان
تسمع تلك اللهجة من القيصر ، وفي نفس الحزب البلغاري المعارض للنفوذ
الروسي (وهو المعروف بحزب ستمبولوف) . ولما قوى تيار الافكار الحربية في
صوفيا سقطت وزارة جيشوف الذي كان ميالا الى السلم واصبحت الحرب
لا مناص منها ولا مندوحة عنها ولا سيما بعد ان نفتحت الجروح القديمة وتنهت
الضغائن الكامنة على اثر الحوادث ، فتذكر الصربون فشاهم في الحرب التي
نشبت بينهم وبين البلغار منذ اعوام . وتذكر اليونانيون الفظائع التي احدثتها
العصابات البلغارية في القرى اليونانية بمقدونيا ممحابة عشر سنوات فهاجتهم
كما هاجت اعمال العصابات اليونانية في القرى البلغارية دماء البلغار بين

فالطمع والحقْد انقِديم كانا اذا يدفعان البلقانيين الى الحرب وكفى بهما
عاملين عظيمين

القتال بين البلغار بين والصر بين

غدر البلغار بين (١)

أدخل الغرور على البلغار بين ان عددا قليلا من جنودهم يمكنه ان يقهر
عددا جمّا من الصرب بين واليونانيين ، وقام في اذهابهم ان ساعة تأليف بلغاريا
الكبرى اصبحت قريبة ، فاصدر قوادهم الاوامر الى الجنود البلغارية المرابطة
أمام الجنود الصربية بأن تتقدم منذ ٣٠ يونيو ، فزحفت على طول خطها
وطردت مقدمات الجيش الصربي واحتلت مواقعها ، وأجمع المراسلون الذين
يعتدّ باقوالهم على ان وزراء البلغار وكبار قوادهم ظنوا ان طرد الصرب بين من
مواقعهم يجعل بين يدي الحكومة البلغارية ضمانات تنفعها في مؤتمر بطرسبرج
إن تم عقده ، كما ظنوا ان هذا العمل سهل على الجيش الذي فتح ادرنه

غير ان الصرب بين لم يكونوا غافلين بل أرصدوا قوة عظيمة من جيشهم
وراء الخط الاول للقتال وما بلغهم اعتداء البلغار بين في ليل ٢٩ — ٣٠ يونيو
حتى ارسلوا النجيدات القوية الى جنودهم . وما جاء ظهر اول يوليو حتى
استردوا جميع المواقع التي احتلها البلغاريون الا ما فقدوه من جهة الميمنة فان
الجنود البلغارية بقيت ناجحة هناك . ولكن هذا النجاح الجزئي لم يعوض البلغار

(١) بعد مطالعة ما حلقه مراسل الثان الحربى الموسيو ريجنالد كان وغيره

ما فقدوه على طول الخط ولم يلبثوا ان شعروا بخرج موقفهم ، ثم تقدم الجيش
 الصربي الاول واجتاز زيتوفسكا في ٣ يوليو ثم احتل كوشانه في ٥ منه وقسم
 جيش الجنرال كوفاتشيف البلغاري قسمين . ولما تمّ هذا النجاح للجيش الصربي
 الأول التفت القائد العام الى تحسين حالة الجيش الصربي الثالث بدلا من ان
 يواصل الزحف الى حدود البلغار ويحصرها مع الجيش اليوناني فانتفع البلغاريون
 من هذا الاحتراس الذي ابداه القائد الصربي العام ونهقروا من وادي سترومجه
 (ستروميتزا). وقد انتقد بعض الكتاب الحربين على القائد المشار اليه انه أضاع
 فرصتين كان يمكنه فيهما أن يفكك البلغار لو واصل الزحف بعد النصر .
 ولكن مكاتب الثان يعتذر عنه بأن هناك سببين حملاه على ذاك الاحتراس
 اولهما ان ارسال معظم قواته للتلاحم مع البلغار بين في جهة واحدة يجعل من
 الصعب ارسال النجدة الى النقط الضعيفة عند اقتضاء الحال ، والثاني ان
 الحكومة الرومانية قامت من جهة أخرى تعي جيشها لتقذف به على بلغاريا ، ثم
 ان الجيش العثماني أخذ من جهة ثالثة يستعد للزحف من بولاير وجتالجه الى تراقية
 كما سترى ، واليونان كانوا يزحفون الى جانب الجيش الصربي — أمام هذا
 الموقف الصعب الذي وقعت فيه بلغاريا لم يجد القائد الصربي حاجة ماسة الى
 الاسراع والحاق الحسائر بجيشه ولا سيما ان المعارك الاولى التي جرت كانت من
 أشد الوقعات هولا وفككا خسر فيها الصربيون نحو ثلاثين الف رجل بين قتيل
 وجريح وخسر البلغاريون اكثر من هذا العدد . فقال القائد في نفسه ان الزمان
 يشتغل لنا ، ثم أخذ ينحصر أمام البلغار بين على مسافة طويلة بدلا من ان
 يهاجمهم ، وصار البلغاريون يتحصنون أيضاً أمام الصربيين وتمكنوا من الوقوف
 عند كستنديل

و بينما كان الصربون على تلك الحال ينتظرون وصول اليونان الى الجهات التي على مستوى مواقعهم التي تحصنوا فيها ، تمكنت يد السياسة من عقد الهدنة التي تلتها معاهدة الصلح . فبقى الجيش الصربي والاثنى عشر الفا من رجال الجبل الاسود الذين كانوا معه محتفظين بمواقعهم حتى صدر أمرٌ بصرف الجيش البلغاري

ولما رأى البلغار فشلهم واعتقاد الناس انهم البادئون بالشر حاولوا ان ينفوا عنهم تهمة الاعتداء ، ولكن الصربيين نشروا اوامر صادرة من قوادهم بالهجوم على الجيش الصربي وعينوا المكان والزمان اللذين كتبت فيهما تلك الاوامر . واليك ما نشرته ادارة المطبوعات الصربية في هذا الشأن

« تشتمل أوراق الايالي البلغاري الخامس والثلاثين التي اخذتها الجنود الصربية على الصورة الاصلية للامر الصادر من القائد البلغاري الى الايالي الثاني من الفرقة الرابعة ، وهي تدلّ دلالة واضحة على أن البلغار يبين عقدوا العزم على مفاجأة الجيش الصربي بجيشهم الرابع كله وهو مؤلف من مئة طابور ومئتي مدفع تحت امرة الجنرال كوفاتشيف وزير الحربية والقائد العام . ونحن نستخلص من ذلك الامر العبارات الآتية بنصها :

اولا — غداً تبتدى الأعمال الحربية بيننا وبين الصربيين من جهة وبيننا وبين اليونانيين من جهة أخرى ويمتد خط الصربيين أمام الايكم على طول نهر زلتوفو

ثانياً — يُبدأ بالهجوم على الاعداء غداً الساعة الثالثة بعد نصف الليل

ثالثاً — يجب على قسبي الايالي ان يحضرا الساعة الثالثة بعد نصف

الليل الى جهة نهر زلتوفو بغير ان يُحدثنا أقل ضجة وان يهجمنا بغتة على مقدمات
الاعداء ويصلا الى المواقع التي تُعين لهما »

فاذا فكر المرء في الوقت اللازم لوضع خطة هجومية كهذه ، ولكتابة
الاوامر واصدارها الى كبار الضباط ، لابقى عنده ريب في ان البلغار بين كانوا
يضمرون الشر للصربيين واليونانيين وانهم أخذوا يستعدون من قبل . وروت
احدى الجرائد ان الحكومة الصربية صورت بالفوتوغراف شكل ذاك
الامر حتى لا يُتنبى مجالا لتصل البلغار بين من ذنب الاعتداء على الحلفاء

القتال بين البلغار بين واليونان

بدأ البلغاريون باعتدائهم على الجنود اليونانية يوم اعتدائهم على الصربيين
فلما أيقن الملك قسطنطين والموسير فنزيلوس كبير وزرائه ان الحرب واقعة
لامناص منها اتفاقا على اصدار الامر بالزحف ثم أمر الملك بنزع السلاح
من ١٢٠٠ جندي بلغاري كانوا في مدينة سلازيك ، فسلموا بعد قتال بضع
ساعات ، وكانت الحرب لم تعلن رسمياً حتى ذاك اليوم بين اليونان والبلغار ،
فاعتزمت الحكومة البلغارية على ايقاع الجيش اليوناني في سلازيك بتلك
الحامية الصغيرة ، والصحيح أن الحرب كانت ناشبة فعلاً لما سبق من اعتداء
البلغاريين على الشقة الحرام

وما كان اليوم التاسع والعشرون من شهر يونيو حتى هب البلغار الى الهجوم
الشديد من جهة اليونان بينما كانوا يهاجمون الصرب . على انهم ما لبثوا
أن تقهقروا أمام الجيش اليوناني الذي زحف بقيادة الملك قسطنطين كما تقهقروا

أمام الصربيين للأسباب التي سنشرحها في الفصل التالي . وأول معركة كبيرة طاحنة حدثت بين الجيشين هي معركة قلفيش (أو كيلكيس) فات مشاة اليونان حملوا حملات هائلة ومعهم جيش آخر من الحقد على البلغاريين ، وكانت هجمتهم^(١) على مسافة ٨٠٠ متر تحت نيران البلغاريين الذين كانوا محصنين متممين حتى زحزحوهم عن مواقعهم وأعملوا الحراب في ظهورهم ، وقد بلغت خسارة اليونان في تلك المعركة على روايتهم الرسمية نحو عشرة آلاف رجل أي نحو الخسارة التي أصابتهم في مقاتلة العثمانيين في جميع المعارك منذ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ إلى أن عقد مؤتمر لندن الثاني

وبعد هذا النصر المبين صرف الملك قسطنطين همه إلى مطاردة البلغاريين حتى لا يبق لهم وقتاً طويلاً لاستئناف معركة كبيرة أخرى ، وحتى يتمكن من وصل جيشه بالجيش الصربي قبل دخول الأرض البلغارية الأصلية ، ولم يكن أمامه إلا طريق واحد صالح وهو وادي ستروما من دمبر حصار إلى جمعه ، فاخذ يتقدم والبلغاريون يتقهقرون أمامه وينسفون الجسور بعد أن يجتازوها فجددها فرق الهندسة اليونانية بعد المتاعب العظيمة

ولما وصلت الجنود اليونانية إلى مضيق قرسنا تفاقمت عليها المصاعب واضطر المشاة إلى الصعود على قمم الجبال التي على جانبي المضيق ليضطروا البلغاريين إلى تركها فافلحوا بعد احتمال العناء الكبير من وعورة الطريق ونيران البلغار . وليس بهم القارىء أن نصف كل معركة ومناوشة فحسبنا أن نقول له على وجه الجملة إن اليونانيين قاتلوا أعداءهم أكثر من عشرين دفعة في مدة زحفهم من سلانيك إلى جمعه بالأوهناك نشبت معركة عظيمة خسر فيها الفريقان خسارة

(١) عن الموسيو رينيه بيو مراسل الطان الحربى

كبيرة وقرر المحققون العسكريون أن أحد جناحي الجيش اليوناني أصيب فيها بالفشل وأن الهدنة التي طلبتها حينئذ رومانيا جاءت في وقتها . وقال الموسيو رينيه بيرو بعد عقد الصلح في بوخارست « يمكننا اليوم أن نذكر أمراً لم يكن في وسعنا أن نبوح به في وقته وهو أن الملك قسطنطين لم يكن تحت أمرته إلا خمسة وثمانون ألف رجل من المشاة ، وكانت مهمته صعبة مخوفة بالخطر لأنه كان يريد أن يمنع عدوه من ضم أطرافه وجمع قواه وأن يضربه ويقهره قبل أن يستريح فاضطر للوصول إلى هذا الغرض أن يطلب من جنوده أكبر جهد ينهك القوى . وكان معظم فرقه بلا احتياطي يؤيده عند الضرورة ، ولشدة تعب الجيش اليوناني عزم أركان حربه على الوقوف مدة من الزمن لتمكن البطاريات من ضم أطرافها ويزدق المشاة راحة لم يكن بد منها ولاغنى عنها ، فجاءتهم الهدنة بها . واجمعت الروايات اليونانية نفسها على أن خسارة اليونان كلها بلغت أكثر من أربعين ألف رجل بين قتيل وجريح ، وأن أقل من ربع تلك الخسارة الكبرى لحق بالجيش اليوناني في الحرب الأولى وثلاثة الأرباع الباقية في محاربتهم للبغار بين

واجه المراسلون الحربيون على أن اندفاع اليونان وتفانيهم في قتال البغار كان من جملة الأسباب الكبرى في زيادة خسائرهم إلى ذلك الحد فهم من قديم الزمان يكرهون البغاري وكثيرون منهم يفضلون التركي عليه ، ثم اشتد عندهم هذا الشعور بعد الفظائع التي ارتكبتها الجنود البغارية أيام فشلها ونكوصها . وكان ولاية الأمور وفي مقدمتهم الملك قسطنطين يفرغون جهداً عظيماً في إثارة خواطرهم وتوطيد قوتهم المعنوية ، وهالك النموذجاً من خطب صاحب التاج اليوناني ، وهو ما قاله قبل معركة قلقيش الكبرى :

« لا يفوتني انه منذ عهد الملك كودوروس الى عهد الملك باليولوغ لم يمت من ملوك اليونان الذين تولوا قيادة الجيوش ملك واحد على سريره وتحت سقف قصره . واعلموا ان المعركة التي سنخوض معمانها غدا لهي من أعظم المعارك شأنًا وخطرًا ، فانا أفكر والقلب حزين في اني لن أرى بعدها عددًا منكم ، وليس في وسعي ان اصالح كل فرد على حدة فاكثفي بأن اقول أيها الضباط كونوا على الدوام في مقدمة جنودكم (وهنا النفث الى ولي العهد وقال له) وأنت كن دائماً في مقدمة فرقك »

فاجابه كثير من الضباط هاتفين « الى الملقى في العالم الثاني » ، وقد دلّ الاحصاء أخيراً ، على أن عدد القتلى من الضباط كان كبيراً
واكد لنا وجيه يوناني ان ضابطاً من انسبائه كتب اليه من ساحة الحرب ان الموسيو فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية اتفق مع ملك اليونان على توزيع كراسة جامعة لأهم ما ارتكبه البلغاريون في القرى اليونانية من هتك الاعراض واحراق البيوت والفتك بالاطفال والابرياء ، فكان لهذا العمل تأثير ساحر في نفوس الجنود وغلت صدورهم غلي المرجل حقداً وسخطاً على البلغاريين حتى ان عشرات منهم انتزعوا باسنانهم خدود بعض الجنود البلغارية في ابان القتال

أما خسارة البلغار في قتالهم للصرب واليونان معاً فتربو على ستين الف رجل . فاذا قدرنا أن خسارتهم في محاربة العثمانيين بلغت تسعين ألفاً في جميع المعارك كان مجموع خسائرهم في الحربين مئة وخمسين الف رجل لم يذهب منهم أحد الى ساحة القتال الا بعد ان شهد له طبيب حكومته بتمام الصحة

جرى كل ما تقدم في شهر واحد ، لان الحرب البلقانية الثانية كانت
سريعة مدهشة فلم يكن أحد يظن ان الجيش البلغاري يذوب ذوبان الشمع
أمام نيران عدوه ، كما انه لم يكن يظن في الحرب الاولى — الا القليل — ان
الجيش العثماني سيفشل

اسباب فشل البلغار

في الحرب الثانية

دهش العالم من سرعة فشل الجيش البلغاري أمام الصربيين واليونانيين
بعد ان ترامت شهرته واكبر الناس قوته . ولكن من يرجع الى اقوال مراسلي
الجانبيين في الجانبين ، ويطلع على الاخبار التي ترد تباعاً ، نزول دهشته
ويعلم أن الاسباب التي أدت الى فشل الجيش العثماني الشهير بصبره وعزمه
وشجاعته هي التي افضت الى فشل الجيش البلغاري
ورأس تلك الاسباب ان القواد البلغار بين بالغوا كما قدمنا في احتقارهم
للصربيين واليونانيين وتوهمهم أن الغلبة مضمونة لدواتهم . ومما يروى ان المعتمد
البلغاري في سلافيك كان يقول ويردد « ان الجيش اليوناني عدم ... » .
فنشأ عن ذلك الاحتقار ان البلغار لم يأخذوا الاهبة التامة للحرب الثانية بل
اهملوا امورهم كما اهملها العثمانيون قبل الحرب الأولى
ومن اسباب فشلهم أن قوادهم وزعوا قواتهم على مسافات طويلة وظنوا
ان الاستيلاء على المواقع التي يطمحون اليها سهل هين لشدة غلوهم في احتقار
اعدائهم . فكان تفريق القوات البلغارية وطول خطوطها الحربية شؤماً عليها

فنالها بسببه ما نال الجنود العثمانية التي هاجت في تراقية بأمر ناظم باشا قبل ان يتم حشد لها العدد والعِدَد

ومنها ان جانباً كبيراً من زهرة ضباط البلغار قتلوا في معارك قرق كلديا ولوله بورغاز وجتالجه فاصبحوا كالعثمانيين وقت اعلان الحرب الاولى محتاجين أشد احتياج الى الضباط ثم نشبت الحرب الثانية وهم على تلك الحال

ومنها انهم لم يستعدوا استعداداً كافياً لتموين جنودهم قبل زحفها بل كانت ادارتهم العسكرية مختلة كالادارة العثمانية في اكتوبر سنة ١٩١٢ . فلم تأتهم الميرة والذخيرة على النظام الواجب في الحروب الحديثة . واذا كان جيشهم لم يصبه من الجوع ما اصاب الجيش العثماني على وجه عام ، فان الفضل في ذلك يرجع الى سرعة نكوصهم وقصر مدة الحرب التي لم تبق الا شهراً واحداً

ومنها ان عدداً كبيراً من الجنود النظامية المدربة قتل في معاركة العثمانيين وقام مقامه كثير من الرديف غير المدرب ، وهو لا يصلح للهجوم كما قرر الاختصاصيون

فظائع البلغاريين

في الحرب الثانية

غالت احقاد البلغاريين في صدورهم من جراء ذلك الفشل الذي اصابهم فنفجرت غيظاً على اهالي القرى اليونانية . واذا صدقنا جميع الانباء والشروح التي نشرتها جرائد اوربا وغيرها ، فان الوحوش الضارية التي يقتلها الجوع ، لاقل فتكا وتوحشاً وفظاعة من البلغاريين . واليك ما نقله أولاً عن

الموسيو جيسن الكاتب الدينمركي الذي دعاه ملك اليونان للحضور مع الموسيو البيرترامبان مراسل الدايلى تلغراف الى قرية نيجريتا ليبصرا الفظائع باعينهما ويأخذا رسوم الضحايا بالفوتوغراف . فانه بعد التحقيق كتب الى عدة جرائد ومنها جريدة الطان رسالة اكد فيها حدوث الفظائع وذكر انه رأى بعينه الجثث العديدة مطروجة على انقاض نيجريتا وان نحو ١٤٠٠ بيت ذهبت طعاماً للنيران التي اضرها البلغار ، وان راحة جثث البشر والحيوانات كانت لا تزال متصاعدة يوم وصوله . ثم روى انه سأل رجلاً اسمه جورجوس فلانشوف عما جرى فقال له هذا الرجل بعد ان أقسم بحياة اولاده انه لا يقول الا الصدق ولا ينطق بغير الحق « هربت مع الهاربين لما علمت ان الجنود البلغارية اجتازت الشقة الحرام على بضعة كيلومترات جنوبي المدينة ، ولكن هذه الجنود تمكنت من القبض على وعلى أحد رفاقي ورمت بنا في السجن حيث لقينا رجلاً ثالثاً . فلبثنا في السجن الى يوم الاثنين ولم يعطنا البلغاريون شيئاً من المأكل والمشرب الا دفعة واحدة سمحابة المدة التي قضيناها ولما كان يوم الثلاثاء ابصرت من النافذة أن البلغار بين يستعدون لاحراق المنزل الذي كنا فيه ، وكان الضباط يصدرون الاوامر للجنود بحلب البترول والمهشم ، ثم دخل علينا ضابط ويده مسدس وتهددنا بالقتل اذا كنا لاندفع اليه ماحوت جيوبنا ، فدفعت اليه اثني عشر دراخماً ودفع اليه رفيقي ستة وقدم الثالث الذي كان معنا اثنين ونصفاً . وبعد خروجه صدر الامر الى الجنود بأن تطلق علينا الرصاص من النوافذ ، فاطاقوا خمس رصاصات فقتلوا أحداًنا وجرحوا الثاني . أما أنا فلم أصب بضرر لاني كنت محبباً تحت النافذة . وبعد قليل دخلت الجنود البلغارية فوجدت أن اثنين منا مبرحا في

قيد الحياة فانحت علينا طغناً بالحراب حتى قتلت رفيقي وأغمي عليّ بعد ثلاث طعنات في الفخذ اليمنى . ثم لما عاد اليّ صوابي شعرت باحتراق في نخذي ، فنظرت فاذا الجنود البلغارية قد صبت علينا بترولا والهبت النار فاطفأتها بيدي - وهالك آثار الحريق فيها - ثم فررت من الباب لآت البلغار بين تركوه مفتوحاً ، ولجأت الى اصطبل لم يتناوله لسان النيران ، ومن هناك كنت أرى الجنود البلغارية تشعل النار في كل جهة من المدينة ، واني لعلّي تلك الحال اذا بانفجارٍ عظيم حدث في المنزل المحترق فهلمت وهربت بالقسر عن جروحي فرآني بعض الجنود واطلقوا عليّ الرصاص فاختأوني ، وما وصلت الى الربوة القائمة جنوبي المدينة حتى وقعت لا أبدي حراكاً . ولما أفتت من غيوبتي وجدني بين ايدي الجنود اليونانية وهم يعتنون بي كما يعتني الاخ باخيه . ثم قال بعد هنيهة « اني فقدت كل ما كنت املك ، واضعت امرأتي واولادي ورأيت جنود البلغار تلتخ عرض امي بالعار والشنار »

فبكى الحاضرون لقصته ثم روى الم كاتب فوق ما تقدم ان الذي رآه مع زميله يؤيد رواية جورج جوس المذكور وانه زار الغرفة التي سجن فيها هذا البائس فوجد على ارضها بقايا جثث بشرية . وقدّر محافظ المدينة ان الذين هلكوا احراقاً وقتلاً من النساء والاطفال والرجال يبلغون نحو ٤٧٠ نفساً

واتصل بجريدة الطان ان الاسقف جوستاف ميشيل رأى بعينه كثيراً من الفظائع التي ارتكبتها البلغاريون ، ومما رواه أن جماعة منهم دخلوا قرية كوركوت برآسة رجل اسمه دونسيوف فجمعوا الرجال الذين كانوا فيها وادخلوهم الى المسجد واغلقوا عليهم الابواب ثم جاؤا بالنسوة وربطوهن حول المسجد ليشاهدن باعينهن ما يجري . وبعد قليل رموا بثلاث قذائف من الديناميت

فقتل كثيرًا من الرجال على أن المسجد لم يتهدم . فلما رأوا أنه مازال قائمًا أضرموا فيه النيران فأحرقوا نحو ٧٠٠ رجل ، وكانوا كلما رأوا أحدًا يحاول الفرار رموه بالرصاص

ونشرت الفيغارو في ٢٤ يوليو بتوقيع الموسيو جورج بودرون أن هذا المكاتب المعروف والموسيو لابلورت مكاتب اللوستراسيون والموسيو لون الذي رافق الجيش اليوناني ومعه قرينته ، رأوا شمالي قرية ليفونوفو جثث عدد من أعيان اليونان الذين ساقهم البلغاريون كرهائن من مدينة سرس يوم نقمهم عنها مدحورين أمام الجيش اليوناني ، فأخذوا الرسوم الفوتوغرافية لتلك الجثث ونشرتها جريدة اللوستراسيون بعد أيام

وكتب موظف روسي — والروس لا يهتمون بالتعامل على البلغاريين — فصلاً طويلاً شرح فيه ما سمعه من الأسرى وغيرهم عن فظائع البلغار بين التي يحمي لها أهل النخوة وتنزل مرتكبيها إلى درك الوحوش الضارية واكدت الجرائد اليونانية أن بعض رجال العصابات البلغارية كانوا يقطعون أصابع النساء وآذانهن ليسلبوا الحلي منها ، وأن بعض الأصابع البشرية وجدت في جيوبهم مع خواتمها

وارسل الموسيو بيلوتوني إلى بعض جرائد لندرا الشهيرة مقالة على أثر تحقيق أجراه بنفسه قال فيها « أني طفت في جميع أنحاء تراقية فرأيت أن الفظائع الوحشية التي ارتكبتها البلغاريون تفوق كل ما تصوره وتوقعته ، فإن تراقية كلها خضبت بالدماء ، وما وقع نظري فيها إلا على جثث أو غربان أو أطلال تدل على القرى التي كانت هناك . وقال لي أناس من الذين نجوا في هالسان أن البلغاريين اضطروا أسرى الأتراك إلى هدم أعمدة الجوامع بأيديهم وأنذروهم

بالقتل طعناً بالحرب اذا ترددوا في تنفيذ امرهم ، وكانوا يصعدون بضحاياهم الى أعلى المآذن ويرتكبون معهم فظائع لا يمكن تصديقها . ولقد رأيت بعيني آباراً مملوءة بجثث النساء والاطفال

ثم روى الموسيولوتي ان البلغار بين كانوا ينوون ان يذبخوا جميع المسلمين في ادرنه وان يأمرؤا الارمن بذبج اليونانيين ، وكانت من جملة فظائعهم انهم قطعوا ذراعي رشيد بك نجل فؤاد باشا المصري وقفأوا عينه

ولو اردنا ان ننشر لقراء هذا الكتاب جميع ما وقفنا عليه من الرسائل والفصول في وصف الفظائع البلغارية لاحتجنا الى مجلد كبير ، لانهم كانوا في الحرب الثانية اولئك الضواري الذين رأيناهم في الحرب الاولى . ولكثرة ما نشره المراسلون من صور الفظائع ألفت الحكومة الفرنسية وقدأ لتحقيق ما نسب اليهم فزار القرى والبلاد التي وقعت فيها الفظائع وشهد الحراب وذوي العاهات والالوف العديدة من البيوت المحرقة ، وقال أحد اعضاء هذا الوفد أن الجنود البلغارية المنظمة ارتكبت من الفظائع مثل ما اقترفته العصابات

أما الحكومة البلغارية فانها تنفي عن جيشها تلك الرصمة ، ولكننا لم نجد كاتباً حريئاً أو واحداً من المحققين يؤيد قولها . وكل ما هناك أن بعض الكتاب يرى شيئاً من الغلو فيما يعزى الى البلغار . على اننا اذا فرضنا أن ثلاثة ارباع ما نسب اليهم تحرّص وتلفيق فان الباقي يكفي لتسويد صحيفتهم التاريخية ، واستهجان غريزتهم الوحشية (١)

(١) أما اليونانيون والصربيون فلم يقرأ أن جنودهم المنظمة ارتكبت أمثال تلك الفظائع التي يندى لها جبين الانسانية خجلاً ، بعكس العصابات اليونانية فانها كانت من « طراز » البلغار القساء

زحف الجيش الروماني

الى بلغاريا

تقدم ان رومانيا طلبت من بلغاريا مكافأة لها على التزامها الحياد مدة الحرب الاولى بين العثمانيين والبلغانيين فأبت بلغاريا أن تتيحها الى طلبها وتراخت العلاقات بينهما حتى خيف من الحرب ، ولكنها لم تنشب حينئذ لسوء طالع الدولة العلية ، لان الدول وفي مقدمتها روسيا ألحت على رومانيا في وجوب قبول التحكيم فقبلته مكرهة واجتمع مجلس دولي في بطرسبرج فحكم باعطاء مدينة سلسτρια لرومانيا

على أن هذا الحكم لم يرض الحكومة الرومانية لانها كانت تطمع في شطر كبير من دوبروجا حيث يقيم عدد كبير من الرومانيين والعثمانيين ولما عبس وجه السياسة بين بلغاريا وبين الصرب واليونان وأخذت تتوالى بين الفريقين حوادث العدوان ابلغت رومانيا حكومة البلغار انها لا تلزم جانب الحياد اذا نشبت حرب ثانية في البلقان وهكذا كان . فان الحكومة الرومانية أمرت بتعبئة جيشها بعد قيام الحرب وارسلت بلاغاً الى حكومة البلغار ذكرت فيها فيه بالبلاغ الاول وسكوت الحكومة البلغارية عليه ، وانتقدت هجوم الجنود البلغارية على الصربيين واليونانيين قبل اعلان الحرب وختمت باعلانها ان الامر صدر الى الجيش الروماني باجتياز حدود البلغار

فلما رأت الحكومة البلغارية أن جيشهم مدحور أمام الصربيين واليونانيين وان الجيش الروماني الذي يمكن ابلاغه الى ٦٠٠ الف رجل عمد الى دخول ارضها ، وان العثمانيين كانوا وقتئذ زاحفين في تراقية ، تولاهما شئ من الدهول واليأس فاكثر من الاستغاثة بالقيصر ، وكتب الملك فردينند الى الملك كارلو في طلب المعونة ، واتمست ملكة البلغار من ملكة رومانيا ان تتوسط لامتها غير ان الجيش الروماني بقي زاحفاً حتى اقترب من صوفيا عاصمة بلغاريا وضيق عليها المنافذ فاصبح البلغاريون محصورين من جميع الانحاء . فالصربيون والجبلليون من جهة ، واليونانيون من جهة ، والرومانيون يحتلون طريق عاصمتهم ، والعثمانيون يطوون بلاد تراقية ويرفعون فيها الراية العثمانية بدلا من الراية البلغارية

فلما بلغ الضيق بالبلغار الى ذاك الحد تركوا العناد والخيلاء ، ثم اشتد الحاح الدول على المنصورين بوجوب المفاوضة في شأن الصلح ، ولانت رومانيا بعض اللين فاقترحت تقرير هدية للمفاوضة الابتدائية فقبلتها حكومات الصرب والجبل الاسود واليونان ، وقد اكدت رومانيا التي كانت صاحبة الكلمة الاولى والقدح المعلى انها لا تريد سحق بلغاريا بل هي ترمي الى غرضين اولهما تعديل حدودها كما يجب لمصلحتها ، والثاني حفظ التوازن بين قوات الدول البلقانية ، ولا غرو فان رومانيا لا يمكنها أن تنام ناعمة البال اذا كانت ترى بجانبها بلغاريا قوية طامعة مبعضة

معاهدة الصلح

في بومبارست

ما تقرر عقد الهدنة عملاً برغبة الدول الكبرى ورومانيا ، حتى أخذ مندوبو المتحاربين يفدون الى العاصمة الرومانية ، فوصل مندوبو البلغار في ٢٧ يوليو^(١) وقابلوا رئيس الوزارة الرومانية . ثم قدم مندوبو الصرب واليونان والجميل الاسود في ٢٩ منه وقابلوا رئيس وزارة رومانيا أيضاً ونحو الساعة الرابعة بعد ظهر ٣٠ يوليو عقدت الجلسة التمهيدية لتقديم المندوبين بعضهم لبعض ، فألقى الرئيس الروماني خطبة وجيزة أفصح بها عن أمله في نجاح المؤتمر وابرام معاهدة مبنية على التوازن العدل ثم اقترح « لمصاحبة الانسانية » عقد هدنة لا تزيد مدتها عن خمسة أيام ، فوقف الموسيو فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية وكبير مندوبي اليونان فشكر بالاصالة عن نفسه والنيابة عن زملائه مندوبي المتحالفين ما رأوه من حسن الاستقبال واكرام الوفادة في رومانيا وتمنى نجاح المؤتمر وابرام اتفاق مبنى على « التوازن العدل » (اعاد كلمة رئيس الوزارة الرومانية بحروفها) ثم وافق على هدنة خمسة أيام . وتلاه المرسو توتشيف المندوب البلغاري الاول وقال ان مندوبي بلغاريا قدموا وهم يرغبون رغبة خالصة في عقد الصلح وأمل أن يتم عقده بين الخصمين على قاعدة ثابتة راسخة ولما مضت خمسة أيام ولم يتم الاتفاق بين المندوبين على تحديد الاراضي

(١) عن مندوب الثان الخاص

التي ستكون نصيب كل دولة بلقانية من تركيا اوربا ، طلب رئيس الوزارة الرومانية تجديد الهدنة ثلاثة أيام ، وكانت مسألة ثغر قوله أهم العقبات ، فدولة اليونان كانت تريد لها بدعوى أن معظم أهلها من اليونان ، وبلغاريا كانت تصرّ على طلبها بحجة أنها لازمة لنجاحها الاقتصادي، وكانت النمسا وروسيا تؤيدان بلغاريا ، وفرنسا وألمانيا تميلان الى ادخالها في حصة اليونان ، وقامت بين الجرائد الفرنسية والجرائد الروسية مناقشة في هذا الموضوع حتى خيل لكثيرين أن قوله ستضعف أساس المحالفة الروسية الفرنسية . وبعد مدّ وجزرٍ وافق مندوبو البلغار على اعطاء قوله لليونان ولا سيما بعد ما أفهمهم الموسيو ماجورسكو ان توقيع المعاهدة أمر واجب في أقرب وقت ، والا اضطرت الحكومة الرومانية الى اصدار الامر الى جيشها بدخول صوفيا

ولقد ظهر أن مندوبي البلغار كانوا يحاولون أن يحدثوا شقاقين مندوبي التحالفين ورومانيا ، وظنوا أن التعجيل بموافقتهم على مطالب رومانيا يسهل لهم سبيل فصلها عن أعدائهم . فقد روى مندوب الثان الخاص الذي نعتمد عليه في هذا التفصيل انهم لم يكتبوا بمحاولة فصل رومانيا عن أعدائهم بل أرادوا خدع مندوبي هؤلاء الاعداء أنفسهم . قال ان الموسيو توتشيف كبير مندوبي البلغار زار الموسيو باشيتش كبير مندوبي الصرب والموسيو فنزيلوس كبير مندوبي اليونان قبل الاتفاق فذكر للاول جامعة الجنسية الصقلية ووجوب اتفاق الصرب والبلغار على مقاومة تيار اليونان . وحادث الثاني في مسألة قوله وأكد له أن البلاد التي تنالها بلغاريا شرقي مقدونيا لا يمكنها أن تستغني عن هذا الثغر فأجابه الموسيو فنزيلوس بأن النمسا تكتفي بتريستا ... فطلب اليه حينئذ المندوب البلغاري أن يفكر في الامر وقال له ان بلغاريا تؤثر أن يكون بلغار

مقدونيا تحت الحكم اليوناني لانها تفضله على الحكم الصربي . ثم قابل الموسيو توتشيف في اليوم التالي بعض رجال الوزارة الرومانية وأكد لهم أن بلغاريا ستوافق على كل مطالبهم بشرط أن لا تدع دولتهم أعداء بلغاريا يقضون عليها . . .

دس المندوب البلغاري دسيسته وهو يظن أنه أتى من البراعة ما يعجز بسمرك . غير أن وزراء رومانيا ومندوبي المتحالفين ما لبثوا أن اجتمعوا فقص كل واحد منهم ما جرى له مع المندوب البلغاري فزادتهم تلك الدسيسة تضامناً ، ولما أفهم البلغاريون رومانيا أنهم قبلوا جميع مطالبها أظهرت ارتياحها الى تسليمهم ، ولكنها أثبت الآل الثبات على تضامنها مع اليونان والصرب ، وأفهمت المندوبين البلغاريين ما صحت عليه عزميتها في هذا الشأن . وكان من أقوى الدلائل على احتفاظها بذلك التضامن انها لما رأت البلغار يريدون المحاولة والمحاولة بعد تسليمهم بمطالبها لم تنكص عن تهديدهم بدخول عاصمتهم كما تقدم ولما ثبت للبلغار أنهم أخفقوا سعيًا وأن دسيستهم بلغت منهم وأخطأت أعداءهم لم يبق لهم إلا أمل واحد ، هو أن تنقح الدول العظمى شروط المعاهدة لان روسيا والنمسا وانكسرتا أظهرن ميلاً الى تقيجها ، فوقعوا عليها وهم لا يعتقدون انها نهائية . واليك ترجمتها

المادة الاولى — يعقد الصلح بين ملك البلغار وملك الصرب واليونان والجل الاسود ورومانيا وورثائهم وحلفائهم

المادة الثانية — تبتدى الحدود البلغارية الرومانية المعدلة (طبقاً للملحق نمرة ٥) من غربي توروكاي (توتره قان بالتركية) على نهر الطونه وينتهي

جنوب اكرنه (اقرانية بالتركية) على البحر الاسود . ويجب على بلغاريا أن تهدم الحصون القائمة في روتشوك (روسبق بالتركية) وسيملا وبالشيك (بالحق بالتركية) في خلال سنتين على الاكثر ، وان تؤلف لجنة مختلطة قبل مضي خمسة عشر يوماً لتخطيط الحدود في مواقعها ، وتقسيم الاملاك التي يقطعها خط التحديد ، واذا وقع خلاف عُين حكم للفصل فيه

المادة الثالثة - تبتدى الحدود الصربية البلغارية الميئة (طبقاً للملاحق نمرة ٩) من جبل باراتريكا على الحدود القديمة وتمتد على خط انقسام المياه بين واردار وستروما ، ويخرج من هذا الخط أعلى وادي سترومجه فانه يكون من نصيب الصرب

ثم تنتهي الحدود المذكورة عند جبل يلاسكا ومنه تتصل بالحدود البلغارية اليونانية . ويجب تأليف لجنة مختلطة لتخطيط الحدود وتقسيم الاملاك ، واذا وقع خلاف يُلجأ الى التحكيم

المادة الرابعة - تحل المسائل المتعلقة بالحدود البلغارية الصربية القديمة بموجب اتفاق بين الفريقين المتعاقدين

المادة الخامسة - تبتدى الحدود البلغارية اليونانية (كما جاء في الملحق نمرة ٩) من اكمة سيلاسينا بلانينا عند الحدود البلغارية الصربية الجديدة وتنتهي عند مصب نهر مستا على بحر ايجه . وتؤلف لجنة مختلطة كالتي تقدم ذكرها للتحديد . وتعذل بلغاريا منذ اليوم عن كل دعوى تتعلق بجزيرة كريت

المادة السادسة - يبايع التوقيع على معاهدة الصلح الى المعسكرات العامة وتبتدى بلغاريا منذ اليوم التالي للتوقيع بصرف جيشها . أما الجنود البلغارية التي يكون معلميها في جهات يحتلها المحاربون الآخرون فترسل الى جهات أخرى من أراضي بلغاريا ولا تذهب الى معلميها إلا بعد جلائهم عن المنطقة المحتلة في هذا الوقت

المادة السابعة - يبتدى الجلاء عن الأراضي البلغارية على أثر تسريح الجيش البلغاري ، ويتم هذا الجلاء في خمسة عشر يوماً على الأكثر

المادة الثامنة - يحق لجيوش رومانيا والمحالين مدة احتلالهم للأراضي البلغارية ان يأخذوا حوائجهم بعد أن يدفعوا ثمنها ، وان يستخدموا السكك الحديدية لنقل الجنود من غير أن يدفعوا غرامة عنها . أما ولاية الامور المحليون والمرضى والجرحى فيكونون تحت حماية تلك الجيوش

المادة التاسعة - يعيد كل فريق أسرى الفريق الآخر في أقرب ما يمكن من الوقت ، وتقدم الحكومات حساب المصروفات التي اقتضاها أسرهم

المادة العاشرة - يصدق على هذه المعاهدة بمدينة بخارست في خلال ١٥ يوماً أو أقل من هذا الزمن اذا أمكن
حرر في بخارست يوم ٢٨ يوليو الموافق ١٠ أغسطس على الحساب
الشرقي من سنة ١٩١٣

*
* *

تلك هي الشروط الاساسية لمعاهدة بوخارست ، وكل من ينظر الى الخريطة
البلقانية يجد أن رومانيا أخذت أرضاً من أخصب أراضي بلغاريا الاصلية
وفصلت عن الامة البلغارية نحو ٢٨٠ ألف نفس ، وأن وادي واردار ومناستر
وسائر الاراضي التي كان البلغاريون يريدون حرمان الصرب منها بقيت للصربيين
مع أراضٍ أخرى كان في وسع بلغاريا أن تنالها لو تساهلت بعد الحرب الاولى
كما أن سلايك وقوله ومرس ومعظم الاراضي المجاورة لها بقيت لليونان . وسرى
أن أدركه وقرق كلايسا ومعظم تراقية عادت ملكاً عثمانياً

أما حلم البلغار بتنقيح الدول العظمى لتلك المعاهدة فقد ذهب كسائر
أحلامهم لان روسيا والنمسا عدلتا عن طلب التنقيح ، فاضطرت بلغاريا أن
تقبل المعاهدة كما ذكرناها والحق قد يغلي في صدر مليكها ووزرائها وقوادها . ولما
أصدر مليكها فرديناند منشوره الى الجيش يوم صرغه ختمه بمبارة تدل على ذلك
الحقد الشديد وهي « أيها الجنود اخبروا أولادكم وأحفادكم عن بسالة الجندي
البلغاري وأعدوهم لاتمام العمل المجيد الذي بدأتم به »

استرجاع ادرنه

ومعظم تراقية

فوز العثمانيين

ماهبّ البلقانيون يروّون بدمائهم البلدان التي فتحوها بعد الخسارة العظمى،
حتى أخذت الحكومة العثمانية تجس نبض السياسة الاوربية وتتأهب للاستفادة
من الحرب الجديدة

ولما كان اليوم الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٩١٣ أي بعد ابتداء
القتال بين البلغار بين وأعدائهم باثني عشر يوماً صدر الأمر الى الجيش العثماني
التأهب في جتالجه بأن يزحف الى تراقية ويطرد منها البلغار بين الذين تركوا
عددًا قليلًا من الجنود في البلاد التي أبقها معاهدة لندرا ملكًا عثمانيًا . وما
حلّ اليوم الخامس عشر من يوليو حتى تجاوز صدر الجيش العثماني خط اينوس
وميديا الذي جعلته تلك المعاهدة حدًا فاصلاً بين أملاك العثمانيين وأملاك
البلغاريين في تراقية ، وعادت الراية العثمانية تخفق على جميع البلاد الواقعة
بين لوله بورغاز وبونار حصار فنظّل عظام ألوف الابطال الذين قضوا هناك في
سبيل الدفاع عن وطنهم . ثم تقدم الجيش العثماني الى بابا اسكي ففرق كليسا ،
ثم دخلت فرقة من الجيش أدرنه بقيادة أنور بك فلم تجد مقاومة جديرة بالذكى

وشاع في ذاك الوقت أن الحكومة العثمانية عقدت اتفاقاً مع حكومتي الصرب واليونان ، وإن هذا الاتفاق هو الذي شدّ ساعدها وبعث فيها الجراءة على نبذ معاهدة لندرا والسعي في سبيل الاستفادة من الحوادث الجديدة ، ولكن الأيام مالبثت أن برهنت لنا على أن اعتماد الحكومة العثمانية كان أولاً على نحو ٢٠٠ ألف جندي ككاملية الإهبة ومتشوقين إلى استرجاع سمعهم العسكرية التاريخية ، ثم على التراوح والتماوج اللذين رأتهما في السياسة الأوروبية ، وعلى صعوبة اتفاق الدول العظمى في مسألة استخدام القوة ، كما ظهر من الأقوال الشبيهة بالرسمية التي نشرت في برلين وتناقلتها جرائد العالم . وربما كان من مشجعات الحكومة العثمانية أيضاً أن روسيا كانت مستاءة من بلغاريا حاققة عليها لتذبذبها السياسي بين بطرسبرج وفيينا

فاعتماداً على ما تقدم قررت الحكومة العثمانية أن تلزم جانب الحزم والحكمة معاً ، فلا تنكص أمام التهديد والوعيد ، ولا تتهادى في المجازفة حين ترى الخطر الحقيقي قريباً داهماً ، ولذلك رأيناها لم تهن عزمها من أقوال سفراء الدول في الاستانة الذين نصحوا لها بأن لا تتجاوز خط اينوس وميديا ، ولم ينخلع قلبها خوفاً من انذار المستراسكويث رئيس وزارة انككرا والسيرادوارد غراي وزير خارجيتها

وليس من فضلة القول هنا أن نذكر أهم ما يتعلق بالدولة العلية في خطبتين شهيرتين نطق بهما ذاك الوزيران . قال المستراسكويث في ١٢ يوليو « وأما ما يتعلق بتركيا فقد كنا نحن — أي بريطانيا العظمى ومعنا سائر الدول فيما أظن — نحسب أن تعيين الاراضي في معاهدة لندرا أصبح أمراً مقبولاً ، وإن سلامة تركيا آسيا ستكون مضمونة مؤكدة بشرط أن تحسن ادارتها . وكنا

مستعدين لتقديم كل عونٍ لتركيا بقصد أن نمضدها في اداء الواجب الكبير الذي أمامها . ولكن تركيا - وهنا أريد أن أكون صريح القول - أخطأت بنمزيها معاهدة لندن ، وصار من الواجب عليها أن تستعد لفتح مسائل ليس من مصلحتها أن توضع موضع البحث والمناقشة »

وقال السير ادوارد غراي في مجلس النواب يوم ١٢ أغسطس أى بعد الخطبة الاولى بشهر « وأؤكد أن عدم إصغاء تركيا الى مشورة الدول في مسألة أدركه يجرُّ على الحكومة العثمانية عواقب وخيمة لا نستطيع انقاذها منها ، وذلك يكون إما بالتضييق المالي وإما بمداخلة دولة أو دول بقوة السلاح . وعندي أن تركيا ترتكب خطأ عظيما اذا لم تصغ الى مشورة الدول في المسألة . أما اذا كانت تسمع مشورتهن فأنا أعتقد انهن يضعن أمامها مشروعا حسنا لانشاء حدود حرية موافقة لها ، ولمساعدتها في انقاذ الخطة التي قلت « انا نريد الاشتراك فيها » أي اعانة الحكومة العثمانية على الاصلاح المطلوب



غير أن الحكومة العثمانية لم تفزع من هذا الوعيد لأنها بقيت تلحظ من وراء ستار السياسة أن الدول العظمى التي اتفقت على الكلام ، لن تنفق على استخدام الحسام ، وكانت تعلم من وجه آخر أن الجيش البلغاري واهن القوى فلا يستطيع وحده أن يخرج الجيش العثماني من تراقية ، وأن الصربيين واليونانيين والرومانيين لم يكونوا يفضلون البلغاريين على العثمانيين بعد ما عرفوه وبلوه من غدر البلغار . فبقيت الحكومة العثمانية على سياسة الحزم ، وأخذت من جهة أخرى تتذرّع بأحسن الذرائع السياسية وتبسط ما عندها من البراهين

الدامغة القوية لتقنع الدول بأن الحق الدولي في جانبها ، وان حفظ النظام في الجيش العثماني ، ورغبة أهالي أدرنه وسائر بلاد تراقية ، وواجب الانسانية وسلامة العاصمة العثمانية — كل ذلك يدعوها الى التثبت بأدرنه وبمحدود موافقة للمصاحبة العثمانية — ويسمح لنا القارئ هنا أن نوضح ما تضمنته دعوى الحكومة العثمانية من لباب الصواب فنقول

أما قولها ان الحق الدولي كان في جانب العثمانيين فرأس البراهين عليه هو أن معاهدة لندن تضمن مادة صريحة جلية تقضي بأن الصلح لا يكون نهائياً إلا بعد تصديق الملوك والحكومات. والمعروف المؤكد أن هذا التصديق لم يتم وأن حكومة اليونان لم توقع على شروط المعاهدة . وهذا هو السبب الذي حمل السير ادوارد غراي وزير خارجية انكلترا على التصريح بأن القانون الدولي لا يحول دون عمل تركيا ^(١) وأن اعتبارات أخرى توجب جلاءها عن أدرنه . ومما ذكره نظامي باشا المندوب العثماني الاول في مؤتمر لندن لمراسل الماتين في الاستانة « انه لما عُرِض علينا نص المعاهدة لتوقع عليها دهشنا عند ما قرأنا في المادة الاولى منها أن الصلح لا يصير نهائياً إلا بعد التصديق ، فطلبنا حذف هذا الشرط وتقد الصلح النهائي في لندن فأجابنا مندوبو المتحالفين بالرفض . » فهل يصح مع ذاك كله أن نتهم الحكومة العثمانية بخرق حرمة القانون الدولي لأنها اغتنتم فرصة موافقةً لمصلحتها قبل التصديق على معاهدة الصلح ؟

واذا رجع المطالع الى ما فعلته رومانيا وجد أن الحكومة الرومانية نبذت قرار مجلس التحكيم الدولي الذي عقد في بطرسبرج لأن حكمه لم يعجبها ثم عبأت

(١) خطبة ألقاها في أغسطس سنة ١٩١٢

جيشها وغزت البلاد البلغارية الاصلية فلم تقل لها الدول صاحبة التحكيم انك
احتقرت قرار مندوبينا وأهنت أوروبا ، كما قال بعضهم للدولة العثمانية حين
نبذت معاهدة غير نهائية لتسترجع قسماً من البلاد التي خسرتها

وأما كون النظام في الجيش العثماني كان يوجب التمسك بتعديل تلك المعاهدة،
فظاهر من أقوال عزت باشا القائد العام للجيش العثماني وأقوال أنور بك وغيره ،
قال عزت باشا وأنور بك انا لا نترك أدرنه إلا بقوة السيف ، وهذا القول مع
دلالة على اشتغال الجيش بالسياسة ، يدل من جهة أخرى على أن الحكومة
العثمانية لا يسعها أن تقاوم تيار الرأي الحربي ان رضيت بالجللاء عن أدرنه ،
وإلا استهدفت للخطر

وكل من ينظر الى مشيئة أهالي أدرنه نفسها يجدها تؤيد مطلب الحكومة
العثمانية أيضاً . فان عدد سكان تلك المدينة التاريخية يبلغ نحو خمسة وسبعين ألف
نفس بينهم نحو خمسة وخمسين ألفاً من المسلمين ، فهل يعقل أن هؤلاء يفضلون
الحكم البلغاري على الحكم العثماني ؟ وما لا ريب فيه أن اليونانيين واليهود في
أدرنه لا يختارون حكم البلغار على حكم الاتراك ، فلا يمكن بلغاريا والحالة تلك
أن تدعي العمل بالقاعدة التي توجب ارجاع البلاد التي يقطنها البلغار الى بلغاريا
وهلم جرأ ، لان دعواها من هذا الوجه تناقض مصلحتها وتتفق مع المصلحة
العثمانية . وهالك فحوى مذكرة قدمها وفد مدينة أدرنه لوزارة الخارجية النمساوية ،
وهو الوفد الذي أرسله الاهالي على اختلاف أديانهم الى عواصم أوروبا ليقنع
الدول العظمى بوجوب ابقاء أدرنه للدولة العثمانية . قال

« مضت ستة قرون ونحن نعيش تحت الراية العثمانية فلم يقيم لدينا مانع في سبيل القيام بواجباتنا الدينية . ولما هجم البلغار بين بحجة تخليص المسيحيين من ظلم الترك هتكوا أعراضنا وقتلوا أولادنا وجعلوا بلادنا أطلالا دارسة فكانوا يعلقون مئات من النساء بشعورهن ، ويقتلون من لا يزيد عمره عن ثماني عشرة سنة ، ويبقرون بطون الفتيات المسلمات بالحراب ويقتلون الأجنة في بطون الوالدات . وبالجملة أنهم أنسوا بفظائهم ما جرى في القرون الاولى . ونحن نجوب عواصم أوربا لنعلن مظالم البلغار ولا نشك في أننا نفوذ بمطف الدول »

ثم قال « أن عدد أهالي تراقية كلها ١٢٢٩٥٨٢ نفساً منهم ١٨٩٠٠٠ بلغاري والباقيون أي نحو ١٢٠٠٠٠٠ نفس هم من المسلمين والبلغاريين والاروام فكيف يسلم هؤلاء كلهم الى أيدي البلغاريين »

« فاذا كانت أوربا لا تشفق على أهل أدرنه بل تصر على تسليمهم الى البلغار فان الادرنيين يؤثرون سفك دماهم الى آخر قطرة ، واذا غلبوا على أمرهم فانهم يهجرون أرضهم لأنهم لا يريدون علماً غير الهلال العثماني »



أما المذكرات التي قدمها الوفد لسائر الدول العظمى فانها لا تخرج بمعناها عما تقدم . وكل ناقد بصير لا يسهه أن يقف عند قول البلغار بين إن القوة العسكرية هي التي أجبرت ذلك الوفد على تقديم تلك المذكرات ، لأن من يسلم جَدَلاً بضغط القوة العسكرية ، لا يمكنه إلا التسليم أيضاً بأن المسلمين واليونانيين والاسرائيليين — وهم الغالبية العظمى — ينفرون من الحكم البلغاري



فكلُّ من ينظر الى ما تقدم ويضيف اليه أن البلغار بين بعد تلوثهم بتلك
الفظائع لا يسعهم أن يدعوا حب الانسانية ولا اتقاذ الاهالي من الظلم التركي،
وأن سلامة الامتانة نفسها توجب تغيير خط اينوس وميديا ، يعلم أن الدولة
أقدمت على العمل بينما كانت دخائل السياسة الاوربية تشجهمها ، والحق الدولي
بجانها ، ونخوة الجيش العثماني تدفعها ، ومشيئة أهالي أدرنه وسلامة عاصمتها
واعادة نفوذها الادبي توجب الحزم عليها ، ثم أضف الى ذلك كله أن القوة
كانت لديها



والأخوذ من الروايات التي يعتمد عليها أن الحكومة العثمانية لما رأت
الظروف مؤيدة لها ، خطر لها أن لا تكتفي باحتلال أدرنه وأن تتأثر من
البلغار ، ولكن اعتراض روسيا اشتد وظهر في مظهر الجد حين تجاوز بعض
الولايات العثمانية حدود بلغاريا الاصلية ، فقد زار عندئذ سفير روسيا بالعاصمة
العثمانية الصدر الاعظم وألح في وجوب اصدار الامر الى أولئك الجنود بالرجوع
من أرض بلغاريا . وذكر السفير الروسي بالعاصمة الايطالية في حديث ان
روسيا لا تحارب تركيا من أجل أدرنه ولكنها لا ترضى باعلان الحرب على
بلغاريا لسمعتها

فعرفت عند ذلك الحكومة العثمانية كيف تقف عند حد الحكمة وأمرت
جنودها بالرجوع من الحدود البلغارية ، كما عرفت كيف تواصل سياسة الحزم
أما بلغاريا فانها لما رأت الدول العظمى لا تساعدوا إلا بالكلام ، وأن
روسيا على الاخص تأبى أن تسفك دماء أبنائها لتعيد اليها أدرنه وسائر تراقية ،

حطّت من كبرياتها ونظرت الى الحقيقة وجهاً لوجه ، وطلبت الى الدولة العلية
أن تتفق معها مباشرة ، فقابلت الدول العظمى هذا الطلب بالارتياح ، ورضيت
به الحكومة العثمانية ، وبناء عليه بعثت حكومة صوفيا وفداً الى الاستانة
برئاسة الجنرال سافوف للاتفاق مع ولاية الامور العثمانيين ، فاتفقوا على المعاهدة
الآتية المعروفة بمعاهدة الاستانة



الملاح العثماني في ادرنه

معاهدة الاستانة

المادة الاولى - تبدئ الحدود الجديدة بين الدولتين عند مصب نهر رزوايا على البحر الاسود متبعة مجراه الى حيث تلتقي مياه نهري « بروغو » و « دليوا » على مقربة من قرية كاميله . ثم تنحرف من مصب نهر رزوايا المشار اليه جنوباً بغرب فتظل « بلاق » للعثمانيين وتقام زاوية في تلك الانحاء تنحرف شمالاً بغرب ثم جنوباً بغرب فتترك قرية « ماجوره » و بلدة « بيرغويلو » داخل الحدود العثمانية . ولما كانت نهر رزوايا يجري في زاوية على بعد خمسة كيلومترات ونصف من بلدة بيرغويلو ثم ينحرف قليلاً الى الشمال ماثراً على الجهة الغربية فتبقى بلدتا « ليكودي » و « وكلادارا » الداخلتين في تلك الزاوية بلغاريتين وتظل « سيكنيفووي » و « ماروديو » و « ولفوه » داخل الحدود العثمانية

ثم يتبع خط الحدود مجرى نهر رزوايا تاركاً « طورني » للبلغاريين وينحرف غرباً فيمر على بعد ثمان مئة متر من قرية « رادوسلاوس » التي تظل في حيازة الدولة العلية ويسير من هناك في خط مستقيم الى مصب نهر « بروغو » فنهر « دليوا » ماراً على بعد اربعمائة متر من بلدة « كامل كوي » التي تبقى للعثمانيين ويتبع خط الحدود مجرى نهر « دليوا » حيث يلتقي بنهر بروغو تاركاً « يامباله » و « قنديلجك » و « ديلي » للعثمانيين . وينتهي شرقي « حقوف صو »

التي تبقى للعثمانيين أيضاً . ويمر خط الحدود بين « حقوف صو » المذكورة و « صوه لي كوى » التي تبقى للبغاريات متجهاً شمالاً بغرب وماراً بارقام ٦٨٧ و ٦١٩ و ٥٦٣ على الساحل

ثم يسير الى ما وراء قمة ٥٦٣ فيترك بلدة « فاجرلق » للعثمانيين وينحرف على بعد ثلاثة كيلومترات من هذه البلدة غربها وينتهي في نهر « غولينا » . وتتبع الحدود مجرى هذا النهر على بعد كيلومترين حتى يصب في نهر آخر اسمه غولينا أيضاً (نمرة ٢) منبعه جنوب « قره يانلر » وتظل متبعة حتى يفصل هذا النهر قمة الجبال شمال نهر غولينا (نمرة ٢) الذي يجري من جهة « ترك الايلي » ثم تنتهي على الحدود العثمانية البغارية القديمة على بعد أربعة كيلومترات شرقي « ترك الايلي » وشمال « ايفرى بول » حيث كانت الحدود البغارية القديمة كثيرة الانحراف

وتفرق الحدود الجديدة عن الحدود القديمة قرب « يالابان باشي » على بعد كيلومترين من كنيسة بلدة « درويشفه موغ » وتهبط على خط مستقيم الى « سرك دره » تاركة بلدة « درويشفه موغ » للدولة العلية ومتبعة مجرى نهر « دكرن دره » الى قرية « يلقارلفكه » التي تظل بيد البغاريين . ويترك خط الحدود مجرى هذا النهر قرب حدود قرية يلقارلفكه متجهاً غرباً تاركة « تونس افله » و « ديمتري كوى » للعثمانيين ثم يتبع خط تقسيم المياه بين « بولا دره » و « دميرخان دره » حيث توضع نمرة ٢٤١ الى أن يصل الى أبعد نقطة شمالية حيث انحراف نهر مرتزا غربي مصطفى باشا . وتبعد هذه النقطة عن مدخل كهري مصطفى باشا الشرقي ٣ كيلومترات ونصفاً . ثم تتبع الحدود خطاً مستقيماً الى « كرون دره » شمال جسر سكة الحديد . وكرن دره هذه

ساقية تصب في نهر مرتزا على بعد ثلاثة كيلومترات شرقي قرية « كرمين » ثم
تتحرف الحدود شمالاً الى « تازه تبه » تاركة « كرمين » للدولة العلية ومتبعة
مجرى نهر « كرمين دره » الى ان تقطع سكة الحديد في الشمال الغربي من قرية
كرمين المذكورة وتحاذي دائماً مجرى هذا النهر الى قمة « تازه تبه » حيث
التمرة ٣١٣ مرة بأعلاها ثم تسير في خط تقسيم المياه بين نهري اردا ومرتزا
تاركة مدينتي « يابللاجف » و « كولجك » داخل الحدود العثمانية وتمر بعد
كولجك بساحل ٤٤٩ ثم ٣٦٧ منحرفة جنوباً على خط مستقيم الى نهر اردا .
ويمر هذا الخط المستقيم على بعد كيلومتر واحد قرب قرية « كيكتناسلي »
تاركاً هذه القرية بيد العثمانيين

وبعد ما تصل الحدود الى ساحل ٣٦٧ حيث نهر اردا تتبع شاطئاً هذا
النهر الايمن الى مطحنة هناك على بعد كيلومترين من قرية « اينجيريلى » ثم تسير
في خط تقسيم المياه شرقي قرية « غيداخور » مرة على بعد كيلومترين منها
وتاركة قرية « دربزنبا » في الحدود البلغارية الى ان تصل الى بعد كيلومتر واحد
من قرية « اتبرم دره » وتتبع بعد ذلك أقصر طريق الى منبع النهر الجاري
بين « اق الان » و « قابلقلى كوى » مرة بنهر « قزل دلى دره » وبعد ما تترك
« كوك بيكاري » داخل الحدود البلغارية تتبع مجرى نهر « قزل دلى دره »
الى منبعه ثم تتبع أقصر طريق الى منبع نهر « ماندارا دره » ونحو بعد ذلك
مجرى هذا النهر حتى نهر « ماريقا » في الجهة الغربية من « ماندارا » فتبقى
مدينة كازانتي لبلغاريا وقرى « اشاغى كبز » و « اخور باينار » و « ماندارا »
للدولة العلية

ثم يسير خط الحدود بعد ذلك محاذياً لمجرى نهر « ماريقا » جنوب قرية

« قالدبر كوز » الى ان ينقسم النهر الى قسمين على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف من القرية المذكورة فيتبع مجرى القسم الايمن من النهر ويمر قرب قرية « فريجك » ثم ينتهي في بحر ايجيه تاركاً مستنقعات « اق صد » و « بحيرني » و « قازلى كوى » و « كبنه لي كولي » للدولة العلية و « طوزله كول » و « درنه كول » لبلغاريا

المادة الثانية — يجب على كل من جيشي الفريقين المتعاهدين أن يعمد الى الجلاء عن الاراضي التي دخلت في ملك الفريق الآخر بعد عشرة أيام من يوم التوقيع على هذه المماهدة ، وان يسلمها اليه بعد خمسة عشر يوماً طبقاً للقواعد والعادات المتبعة ، ثم يُصرف جيشا الفريقين في خلال ثلاثة أسابيع بعد التوقيع

المادة اثالثة — تعود العلاقات السياسية ومواصلات البريد والتلغراف والسكك الحديدية بعد التوقيع وينفذ الاتفاق المختص بتعيين المفتين والمذكور بالملحق الثاني في البلاد البلغارية كلها

المادة الرابعة — انه رغبةً في توثيق العلاقات الاقتصادية بين الدولتين يتعهد المتعاقدان بأن يعودا منذ التوقيع على هذه المماهدة الى تنفيذ الاتفاق التجاري البحري الذي عقد في ٦ فبراير سنة ١٩١١ ، فيبقى نافذاً لمدة سنة منذ اليوم ، وبأن يظهر في جماركهما للحاصلات الزراعية والصناعية كل تسهيل ينطبق على الاتفاقات المعقودة بينهما وبين الدول الاخرى . ويتعهدان أيضاً بأن ينفذا الاتفاق الفصلي الذي عقد في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٩ للمرة نفسها (أي سنة)

ويجوز لكل من الفريقين المتعاهدين أن ينشئ قنصليات جنزالية أو قنصليات أو فيس قنصليات في جميع الجهات التي يقبل فيها وكلاء دوليون من أراضي الفريقين . ثم يتعهد الفريقان بأن يعينا في أقرب ما يمكن من الوقت لجنة مختلطة للمفاوضة في عقد معاهدة تجارية واتفاق قنصلي

المادة الخامسة — يسلم كل فريق أسرى الحرب أو الرهائن الى الفريق الآخر في خلال شهر واحد منذ التوقيع على هذه المعاهدة أو أقل من شهر اذا أمكن الامر ، ويكون تسليمهم الى مندوبين أخصاء يعينهم الفريقان . وتحتمل الحكومة التي وقعوا في أسرها نفقات هذا الاسر ، ولا تدفع حكومتهم إلا رواتب الضباط

المادة السادسة — يمنح الفريقان عفواً تاماً للذين اشتركوا في القتال أو كانوا موضع الشبهة في الحوادث السياسية التي سبقت هذه المعاهدة ، ويشمل ذلك العفو سكان البلاد المنازل عنها ، ولا ينتهي مفعوله إلا بعد انتهاء اسبوعين يعينهما ولاية الامور الشرعيون عند احتلال الاراضي التي صارت ملكاً للبغار ، ويجب اعلان هذا الميعاد لجميع الاهالي

المادة السابعة — يُعطى أهالي البلاد التي تنازلت الحكومة السلطانية عنها لبغاريا مهلة أربع سنوات ليختاروا بين التابعة العثمانية والتابعة البلغارية ، ويكفي من يريد البقاء عثمانياً أن يبلغ رادته ولاية الامور البلغاريين ثم يكتب اسمه في قنصلية الدولة العلية ، واذا كان الطالب مقيماً في بلاد خارجية يكفيه أن يبلغ عزمه الى قنصلية البلغار ويكتب اسمه في القنصلية العثمانية . وكل طلب من هذا القبيل يُعَدُّ شخصياً ولا يُوجب على الحكومة العثمانية أن تقبله . أما القصر فتمطى لهم مهلة أربع سنوات منذ بلوغهم سن الرشد ليختاروا تابعيتهم

ولا يحق للحكومة البلغارية في مدة المهلة أن تدعو المسلمين للخدمة العسكرية .
ويُلزَمُ المسلمين الذين أبوا إلا الرعوية العثمانية أن يتركوا البلاد المنارل عنها بعد
نهاية أربع السنوات ، غير أنه يحق لهم أن يتصرفوا بحقوق ملكيتهم هناك ،
فيبقوا ملاً كآ وينيطوا ادارة أملاكهم بغيرهم سواء كانت ثابتة أو منقولة

المادة الثامنة — ينال الرعايا المسلمون في البلاد البلغارية كلها جميع الحقوق
المدنية والسياسية التي ينالها الرعايا الذين من أصل بلغاري ، ويتمتعون بحرية
العقيدة وحرية القيام بفروضهم الدينية ، وتكون عاداتهم موضع الاحترام ،
ويذكرون اسم جلالة السلطان في صلواتهم بصفته خليفةً للمسلمين ، ولا يُقام
أي حائل دون الجمعيات الدينية الاسلامية وعلاقاتها بروؤسائها

المادة التاسعة — يتمتع البلغاريون في البلدان العثمانية بحقوق سائر المسيحيين

المقيمين في بلاد السلطنة

أما البلغاريون التابعون للدولة العثمانية فيمكنهم أن يحفظوا أملاكهم الثابتة
والمنقولة ، ولا يُمس حق ملكيتهم ولا حقهم الانساني ، ويمكن الذين تركوا
بلادهم على أثر الحوادث الاخيرة أن يعودوا اليها في خلال سنتين على الاكثر

المادة العاشرة — تحترم جميع الحقوق التي كان الحصول عليها قبل ضم

الاراضي (الى بلغاريا) كما تحترم العقود القضائية التي أبرمت على أيدي الموظفين
العثمانيين ولا يمكن نقضها إلا اذا قام برهان قضائي على فسادها

المادة الحادية عشرة — تعترف بلغاريا بصحة الملكية العقارية في الاراضي

المنازل عنها طبقاً لما تقرر بموجب القانون العثماني من قبل ، ويظل اصحاب
الاملاك المنقولة والثابتة متمتعين بحقوق الملكية اذا أقاموا موقناً أو دائماً خارج

البلاد البلغارية ، ويمكنهم أن يؤجروا أملاكهم أو يديروا شؤونها بواسطة آخرين

المادة الثانية عشرة — (خلاصتها وجوب احترام الاوقاف على اختلاف أنواعها وسائر ما يتعلق بها)

المادة الثالثة عشرة — تحترم أملاك جلالة السلطان وسائر أعضاء الاسرة السلطانية في الاراضي المنازل عنها ، ويمكن جلالة وسائر أعضاء أسرته أن يبيعوها أو يؤجروها بواسطة مفوضين من قبلهم . وكذلك أملاك الحكومة العثمانية الخاصة . واذا عرضت للبيع يُفضل الرعايا البلغاريون بشرط أن يدفعوا ثمناً معادلاً لما يعرضه الآخرون

المادة الرابعة عشرة — يصدر الفريقان المتعاهدان أوامرها الى أولياء الامور في الولايات بأن يوجبوا احترام المدافن ، وخصوصاً مدافن الجنود ، ولا يمنعون الاقرباء والاصدقاء من زيارتها

المادة الخامسة عشرة — يمكن رعايا كل فريق من المتعاهدين أن يقيم ويتنقل بحرية في أراضي الفريق الآخر كما كانوا في الزمن السالف

المادة السادسة عشرة — تلتقى جميع الحقوق والواجبات التي كانت للحكومة العثمانية الى الحكومة البلغارية فيما يتعلق بقسم الخط الحديدي (الممتد في الاراضي المنازل عنها) من خطوط شركة السكك الحديدية الشرقية . وتتعهد الحكومة البلغارية بأن تُعيد الى الشركة المشار اليها جميع المعدات التي استولت عليها

المادة السابعة عشرة — كل ما يقع من الخلاف في تفسير أو تنفيذ المواد (١٢ و ١٣ و ١٦) أو الملحق (نمرة ٧) يحال على محكمة « لاهاي » لتفصل فيه

المادة الثامنة عشرة - تُعتبر جميع الملحقات بهذه المعاهدة جزءاً منها
لا يفصل (١)

المادة التاسعة عشرة - يُحافظ الفريقان على بنود معاهدة لندن ، إلا
ما ألغى أو عُدّل منها بموجب هذه المعاهدة
المادة العشرون - تُعدّ هذه المعاهدة نافذةً منذ التوقيع عليها ، ويصدق
عليها في خمسة عشر يوماً اهـ

وقد وقع عليها مندوبو الفريقين وكتبت منها نسختان في ١٩ سبتمبر

سنة ١٩١٣

وأجمع مراسلو عدة جرائد أوربية ومراسلا المقطم والاهرام في الاستانة
على ان كبير قومه سليمان افندي البستاني وزير الزراعة والتجارة كان له فضلٌ
مأثور وسعيٌ مشكور في عقد هذا الاتفاق الذي انطبق على مصلحة الدولة العثمانية
وكفائها مؤونة حرب ثانية ،

ونشرت جريدة البرلينر تاجبلاط حديثاً للموسيو ناشوقش المندوب
البulgاري الذي أوفدته حكومته الى الاستانة لاجراء المفاوضات التمهيدية قال
فيه « ان البستاني افندي أظهر في المفاوضات التمهيدية براعةً ووطنيةً كبيرةً
ودلّ على انه الرجل الخبير الذي يعرف كيف يدافع عن مصلحة وطنه ، فاهني
الوزارة العثمانية به ، وأرى انه يجدر بها أن تفخر بمثله »

(١) أما الملحقات التي ورد ذكرها في المادة الثامنة عشرة فهي خمسة. أحدها يتعلق
بالحدود . والثاني منوط بتعيين المفتين والقضاة الشرعيين واختصاص كل فريق وماله من
الحقوق . والثالث مختص بالتحكيم واختيار المحكمين . والرابع بمحدود ماريتزا والسكة
الحديدية . والخامس بحقوق الافراد التي تقدم الاملاخ اليها في المادة العاشرة . وجميع
تلك الملحقات ايضاحية ليس فيها ما ينقض شيئاً من بنود المعاهدة

أما الأساس الذي وضعه البستاني للمفاوضات فهو أن تبقى أدرنه وقرق
كليسا للدولة العلية . وأما بقية الشروط فقد تم الاتفاق عليها بعد وصول الوفد
البulgاري الرسمي الى دار الملك

وايس هناك ريب في ان الحكومة العثمانية فازت فوزاً كبيراً بعقدها
تلك الشروط وانقضاها ما جاء في معاهدة لندرا التي ماتت عند ولادتها وانقلبت
سيفاً وناراً على البلقانيين . أما وجوه الفوز فأولها أن الدولة العلية نالت بدلاً
من حد اينوس وميدياً حدياً حرياً يمكنها من الدفاع عن عاصمتها . والثاني انها
استردت أدرنه ومعظم تراقية . والثالث أن مقامها الادبي ارتفع على أثر هذا
الفوز لدى الدول الاوربية والامة العثمانية والعالم الاسلامي

قيمة البلدان

التي خسرتها الدولة العلية

نعقد هنا فصلاً للولايات التي خسرتها الدولة العلية بعد ما ذكرناه من الحوادث الفواجع ، وسيرى المطالع ان الولايات الخمس التي فقدناها ، والبلاد الالبانية التي فصلتها الدول عن جسم السلطنة ، والجزر التي لم يُجزم في أمرها حتى صدور هذا الكتاب ، هي مملكة واسمة طالما كانت مطمح انظار الفاتحين من الملوك والسلاطين

ولاية سلايك — أشهر مدنها ثغر سلايك ، وسيروز القائمة على مقربة من نهر ستروما والشهيرة بزراعة التبغ والارز والقطن ، ومدينة أورفاني وهي ميناء على خليج باسمها ، وكوبريلي ، وقوله التي ولد فيها محمد علي باشا رأس الامرة الحديوية . ومساحة الولاية خمسون الف كيلومتر . وجوها على ثلاثة أقسام بارد على جبالها ، وتوسط على روابيها ، وحار في سهولها . وتجارها البذور والثمار والعنب والتبغ والقطن ، وعدد أهلها ١٢٠٠٠٠٠ نفس بينهم نحو اكثر من ٥٦٠ الف بلغاري والباقون من المسلمين والاسرائيليين والفلاخ واليونان^(١) وهي وطن الاسكندر ذى القرنين

(١) عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى

أما مدينة سلا نيك ، فهي قائمة داخل خليج يسمى باسمها ، وعدد أهلها نحو ١٥٠ ألف نفس نصفهم من الاسرائيليين والباقيون من المسلمين واليونان والبلغار والصرب . ومركزها من أفضل المراكز البحرية لأنها قريبة من اسيا وأفريقية وقناة السويس ، ومشملة على خط حديدي يصلها بالطونة واوربا . وكل من ينظر الى موقعها الطبيعي الجميل يتكهن لها عن مستقبل جميل . وهي أهم ثغور تركيا أوربا بعد الاستانة

أما آثارها فأخصها سور ممتد على ثمانية كيلو مترات ومشيد منذ القرون الوسطى ، ثم مسجد كان كنيسة للقديسة صوفيا وهو مبني على طراز مسجد اجيا صوفيا الشهير في الاستانة لكنه أصغر مساحة منه . وهناك مسجدان آخران أحدهما يسمى جامع اسكي جمعه والثاني جامع القديس ديمتري لأنه كان كنيسة باسم هذا القديس

وهي قديمة العهد عظيمة التاريخ رأت الحروب المقدونية القديمة وأصبحت بالخراب ، ثم جدّد كاساندر بناءها سنة ٣١٥ بعد المسيح وسماها تسالونيك . ولقد بلغت شاهقة المجد في عهد الرومانيين وكانت محط رحال التجار ، وسقطت تحت سلطان اليونان غير مرة ، ثم فتحها السلطان مراد الثاني سنة ١٤٣٠ وبعد معاهدة برلين اشتدّ طموح اليونان والبلغار اليها ، وما برحت موضوع التنازع بينهم حتى الساعة

ولاية مناستر — مساحتها ٢٧٣٠٠ كيلومتر مربع وعدد أهلها نحو ٨٥١ ٣٠٠ نفس ، كان بينهم قبل الحرب نحو ١٨٠ ألف مسلم . وأشهر مدنها مناستر وهي مدينة تجارية خطيرة ، فيها معامل للأسلحة ونسيج الحرير واللباد .

ثم مدينة بريزرن (أوبريزرند) ، ومدينة ايلبسان التي فيها مياه كبريتية حارة ،
واوخر يده القائمة على بحيرة تسمى باسمها ، وبراييه المعروفة باتقان صنع المفصلات
والمدى ، وكاستورا القائمة على بحيرة تسمى باسمها

ومدينة مناستر تعدُّ من المواقع الحربية المهمة بالنظر الى ملتي عدة طرق
تصلها بسلانيك واسكوب وادرنه . وما يذكر ان هناك خطاً حديدياً نال امتيازَه
جماعة من المالين الالمانيين فدوه في أراضي خصبية جداً بين سلانيك ومناستر

ولاية قوصوه — يبلغ عدد أهلها نحو مليون نسمة ، ومساحتها ٢٧٥٦١
كيلومتراً وهي عظمة الشهرة في تاريخ السرب ، لان الاتراك قهروهم في سهاها
سنة ١٣٨٩ وقتكوا بهم فتكاً ذريعاً . وأشهر مدنها اسكوب وبرشتينا واشقيب

ولاية ادرنه -- رأى المطالع من نص معاهدة الاستانة ان الدولة العلية بعد أن
خسرت ولاية ادرنه كلها على التقريب بمقتضى معاهدة لندرا عادت فاسترجعت
مدينة ادرنه وقرق كليسا وشطراً كبيراً من تراقية . فكان استرجاع مدينة ادرنه
التي بقيت عاصمة للسلطنة مدة سبعين سنة قبل افتتاح القسطنطينية ربحاً كبيراً
كما أوضحنا في فصل سابق

أما أشهر المدن الاخرى الباقية للدولة من ولاية ادرنه فهي كليولي على
بحر مرمر عند مدخل الدردنيل ، ورودوستو على بحر مرمر أيضاً ، واينوس عند
مصب نهر مريتزا (مريج) وغيرها مما يراه القارئ في خريطة تراقية المفصلة
والمنشورة في غير هذا الموضع . ومساحة ولاية ادرنه كلها ٤١٤٠٧ كيلومترات
مربعة

ولاية اشقودره - مساحتها نحو ١٠٧٠٠ كيلومتر مربع وعدد أهلها نحو ٣٢٢٠٠٠ بينهم نحو ١٤٠٠٠ ألباني كاثوليك و ٨٠٠٠٠ ألباني مسلم و ١٢٠٠٠ تركي و ١٠٠٠٠ من الفلاح و ٥٠٠٠ من البوهيمين و ٥٠٠٠ من الاسرائيليين
أما عاصمتها فمدينة اشقودره ، وهي واقعة على ٧٣٥ كيلومتراً من الاستانة ومشيدة في سهل ، تكثر عندها المستنقعات فتجلب الحمى ، وتبسط لديها بحيرة تسمى باسمها . وهي تشبه من بعض الوجوه مدينة جنوى بالنظر الى بحيرتها والنهر الذي يتسرب هناك والجبال التي أمامها ، وقد فتحها الرومانيون والصربيون والنعوطيون والفينيقيون والمجريون ثم الفينيقيون أيضاً ، وفي سنة ١٤٧٧ فتحها الاتراك وبقيت في قبضتهم حتى خسروها في هذا الزمن (١)



تلك هي البلدان التي خسرها في هذا الزمن السيئ الطالع علينا ، وحسبنا انظهر ارباح خصوصاً أن نذكر للطالع احصاءاً تقرئها حديثاً نشرته الجرائد الاوربية بعد الحربين البلقانيتين وبعد معاهدة بوخارست ، وهو :

كانت مساحة بلغاريا ٩٦٣٠٠ كيلومتر مربع وكان عدد أهلها ٤٣٨٠٠٠٠ نفساً فصارت مساحتها بعد ما أخذته رومانيا من أملاكها بمقتضى معاهدة بوخارست ٨٨٨٠٠ كيلومتر مربع وصار عدد أهلها ٤١٠٠٠٠٠ . أما الاراضي التي أخذتها من بلاد ترافية فمساحتها ٣٢٧٠٠ كيلومتر مربع وعدد أهلها ٩٧٠٠٠٠ فتكون مساحة أرضها اليوم نحو ١٢٩٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها ٥٠٥٠٠٠٠ نفس فهي اذاً لاتزال رابحة

عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى

وكانت مساحة اراضي اليونان ٦٤٦٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها نحو ٢٨٠٠٠٠٠ . أما الاراضي التي ضمتها اليها بعد الحربين فتبلغ مساحتها نحو ٥٦٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها نحو ١٩٠٠٠٠٠ نفس فيكون مجموع أهلها الآن نحو ٤٧٠٠٠٠٠

وكانت مساحة اراضي صربيا قبل الحربين ٤٨٩٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها ٢٩٥٠٠٠٠ نفس . فصارت مساحتها بعد الاراضي التي غنمها ٨٤٤٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها ٤٢٤٠٠٠٠ نفس

أما رومانيا فقد كانت مساحتها قبل الحربين ١٣١٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها ٧٢٦٢٠٠٠ نفس . وأما الاراضي التي اغتصبها من بلغاريا فتبلغ مساحتها ٧٥٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد أهلها نحو ٢٨٠٠٠٠ نفس . وعليه يكون مجموع مساحة رومانيا بعد الحربين ١٣٨٨٠٠ كيلومتر مربع ، ومجموع أهلها ٧٥٥٠٠٠٠ نفس

على انه يجدر بنا أن نكرر هنا ان هذا الاحصاء تقريبي ، ولكنه قريب جداً من الحقيقة . ثم يجدر بالمطالع ان يُسقط من اعداد الاهالي ألوفا كثيرة ذهبت فريسة الجوع أو سالت نفوسها على ظبي السيوف وتحت نيران المدافع ومما لا ريب فيه ان ربح اليونان كان أعظم من سواء بالنسبة الى عديدهم وخسارتهم ، ولا سيما انهم سينالون عدة جزر لها شأن حربي كبير وأخصها جزيرة كريت المشتملة على خليج الصودا الشهير ، وسيكون لتلك المواقع اذابقيت لليونان شأنٌ يحمل الدول التي يهملها البحر المتوسط على خطبة مودتهم . وأضف الى هذا كله الارباح الاقتصادية ، فان الموسيو فنريلوس رئيس وزارتهم يرى دخل الولايات المكتسبة سيكون في العام المقبل نحو ٤١٧١٠٠٠ جنيه عثماني

افضل الى سائل

لانهاض السلطنة

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء نخبة من أكابر العلماء وفحول الكتاب ، عن أفضل وسيلة تنهض بالسلطنة بعد كبوتها وتزيد في يقظة الامة بعد غفوتها . فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه قبل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتلبية الطلب ، أدامهم الله زهراً نضيراً في بستان العلم والأدب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

رأى سبأى شبر

كتب اليّ عالم كبير لم يشأ أن يُنشر اسمه قال « ان الامر عويص جداً لان في السلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي . ولقد سمعتُ مرة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقى عليه سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أن يرتأي رأياً أو يضع مشروعاً نافعاً للسلطنة العثمانية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبتُ « أن يُنشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوى من المأمورين فتحاكمهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم »

فما أدقّ هذا الانتقاد ، وما أرقّ هذا التهمك

رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير

سعادة فتحي باشا زغالول

أقرئك السلام وبعد فسوئك هام ومطلبك أهم
الدولة العلية رعاك الله مجموع يحتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة
عالية وبصر بالأمر كبير فاذا غلب الرأي الهوى وبطل التفاضل بين
العناصر وأقيم وزن العدل وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات
واذا خلصت نيات أهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ففضلوا مصالح
الامة على المنافع الفردية وجدد الكُل في طلب الاصلاح فنشروا التعليم
وعنوا بالأمر الاقتصادي فاستبقوا لانفسهم مرافق البلاد وكنوزها وذلّلوا
السبل وأمنوا السابلة وقربوا المسافات ثم ازدرعوا واحترفوا واتجروا
فأحرفوا واذا أحكموا نظام الجند وهذبوه لا يشك أن الدولة ناهضة من
مقطعتها وان الامة ناشطة من عقالها وانها نائلة من الحضارة والمناعة مكانا عليا

رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي الخبير

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقتطف والمقطم

حضرة الفاضل ، ان كان المقصود من « السلطنة » في سرّ الكم « الحكومة
والامة » في حالتهما الحاضرة أي الدستورية فوسائط انهاضها متعددة منها مادي
ومنها أدبي. ولكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها وخصوصاً وسائط العلم والمال
على أن في الحكومة وفي الامة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يعوزهم

ادراك ولا يسار، ولكن الذي ينقصنا هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة
والصفات المنظمة والمراقبة لشؤون الهيئة الاجتماعية حتى نستطيع الاتحاد
والتعاون على تدبير أمورنا وانجاح أعمالنا ونحن جماعات كما يستطيع كثيرون
منا اليوم تدبير أمورهم وانجاح أعمالهم وهم أفراد

رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء

عمادة اسماعيل صبري باشا

التوظيف - اذا أراد التركي أن يستبقى ما بقي له من ملكه فلا يفرق
بين التركي وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه ان
يفضل في التوظيف في كل بلد أهل الكفاءة من بينها ، فلا يوظف التركي في
بلد غير بلده الا اذا كان يتعسر وجود اكفاء مثله من أبناء ذاك البلد
فتعود جميع العناصر التي تتألف منها الدولة حب الراية التي تظلمهم والاراضي
التي تقلهم فيقوم عندئذ وطن عثماني حقيقي يحبونه ويزبون عنه في اليوم العصيب
التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لهوض الشعب العثماني مما هو فيه
ولا يُراد بالتعليم أن يصبح جميع الافراد من العلماء بل يكفي أن يكون هناك
عدد وافر من المعلمين يسرون بالدولة الى مقام الشعوب الراقية وأن يتعلم باقي
أفراد الامة ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم
العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تنفيذه بين الافراد . وأكبر
آفاته الغرض والرشوة . فاذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلتصرف كل
جهدها في ملاشاة هاتين الآفتين وتحذر من أن تستعين بالاجانب في سن
قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لاقامة

العدل وسن القوانين ، والآ تَهْذَرُ عليها أن تجد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق
أمتها وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة ، وإذا
كانت الحكومة لا تجد مندوحة عن الاستعانة بالأجانب الاكفاء فلا تطلبهم
من حكوماتهم بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختبارهم لحالة البلاد ثم تأخذ النافع
والموافق لعادات الاهالي من تلك التقارير دون أن تجعل أصحابها موظفين
رسميين

رأي العالم الاجتماعي الشهير

الدكتور سبلي التميمي

الدولة لا تنهض الا بثلاثة : رجال ومال ووقت ، والرجال بالعلم والتربية ،
والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولا سيما الوقت وحالنا في الاجتماع كما هي
من قلّة التكافؤ مع ما هو عليه اليوم من شدة النزاع ؟ والجواب على ذلك
يدل على المصير

رأي الاستاذ الفاضل الشهير

ابو شادي بك

رئيس تحرير جريدة المؤيد

رأيت أن الدولة لا تنهض من سقطتها ولا تعود الى سابق مجدها الا اذا
توفر لديها ما يأتي

أولاً تعميم التعليم في انحاء البلاد وجعل الاولي منه اجبارياً

ثانياً ازالة التنافر بين العناصر ولا يكون ذلك الا بمنح كل ولاية

استقلالاً ادارياً داخلياً حتى يعلم كل فرد ان اجتهاده منصرفٌ
الى بلده وإلى نفسه

ثالثاً إيجاد الاكفاء من الموظفين اذ بغير شك ان قوانين الدولة عادلة
ولكن تنفيذها معدوم

رابعاً اصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متسلطة على الاعيان
لا على الحاصلات وتنظيم أوقات تحصيلها

خامساً نزع السياسة من أفكار الجيش

سادساً تعميم اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع أخص
وذلك لان مظهر الدولة اسلامي والقرآن عربي

رأي العالم الاسلامي الكبير

السيد رشيد رضا

صاحب المنار

الدولة كائن حي يُحفظ وجودها بالسنة التي تُحفظ بها حياة ساثر الاحياء

وهي سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يمدو عليه من الخارج

فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فأنما يكون باقامة الشرع العادل

في القضية ، والمساواة في الحقوق بين الرعية ، وبناء ادارة المملكة على أساس

اللامركزية ، وجعل السلطة العليا شقّ الأبلّة بين العنصرين الكبيرين فيها —

العرب والترك — بحيث يكونان منها كالعنصرين اللذين يتكون منهما الماء والهواء .

وأما وقايتها مما يمدو عليها من الخارج فهو الآت منوط بدول أوربة الكبرى

لهم أصحاب المطامع فيها ومطامعهم متعارضة . وما دامت كذلك كانت

الدولة آمنة على نفسها من اقتسامها اياها بالقوة فيجب ان تثقي استيلاءها على البلاد بقوة المال والسياسة أي بالفتح السلي، وان تقوي مزاج الامة بالمال والعلم واعدادها للدفاع عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبها وأملأها فباعتها للاوربيين وبقيت على تبذيرها وتوهمها انها تستطيع ان تحمي نفسها منهم بقوتي الدولة البرية والبحرية الرسميتين ولم تجعل كل اعتمادها على الامة فالخطر عليها من الفتح السلي أقرب واغوى من خطر الفتح الحربي

رأي الكاتب التحرير الشهير

داود افندي برطات

رئيس تحرير جريدة الاهرام

رأبي في اصلاح السلطنة العثمانية ان تُقسم مناطق وان تكون كل منطقة مؤلفة من العناصر المتفقة في التقاليد والعادات واللغة ، فتُعطى الاستقلال الاداري تبث من أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . ويُعين لكل منطقة مندوب سام يعاونه مجالس ادارة يؤلف من الفنيين في الامور المالية والادارية والقضائية والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ، وتُلقى الضرائب العشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين للشركات على اختلاف أنواعها ، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة أو مناطق متحدة

ذلك رأيي في انهض السلطنة بسرعة

رأي العالم المؤرخ

ميرحي بك زيراده

صاحب مجلّة الهلال

العلّة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم فقر المملكة واضطراب الحكومة.
والحكومة الدستورية في أيدي الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاخلاق ، عريضة
في الانقسام بسبب ما توالى عليها من أعصر الفساد
أما المملكة ونعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس فقرها أصلًا فيها
وكل ولاية منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها فالعراق كانت
وحدها مملكة البابليين والاشوريين وبها اعتز العباسيون في ابان دولتهم وكانت
جبايتها ثلث جباية مملكتهم الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ
الانلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفة من عدة دول ثم اعتز بها السلوقيون
اجيالاً وكذلك آسيا الصغرى وظلت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية
فهذه الولايات اذا أحسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم
والامة كما تقدم ، فالوسيلة المثلى للنهوض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب
وهو لا يقدر ان يرقى نفسه رغم استعداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم
عادل عاقل انما يشترط أن يكون مستبدًا وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية .
فلا بد من الاستعانة بالاجانب وأسلم الطرق أن تحالف الدولة العثمانية مع
دولة تثق بصداقتها فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها
من مطامع الدول الاخرى بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار
فاذا وُفقت الى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها .

رأى الشاعر الكاتب الطائر الصبث

فليل افندى مطرا

أخي - سألتني عما ارتئيه لاصلاح الدولة العلية . فالذي ارتئيه انما هو
أمر واحد يلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستقري ما يجري فيها . فالذي
بدالي من شأنها في كل حال : ان الحكام كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً
منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل ، وان المحكومين كانوا
فاقدي الحيلة في التماس ما هو خير لهم وكانوا صابرين على مضض ، وربما أومض
لهم بارق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ
فهؤلاء المحكومون ما لم يتعلموا لا يقيمون لانفسهم وزناً ولا يفرقون بين حق
لهم وحق عليهم ، كما ان أولئك الحكام أياً كان جنسهم ودينهم يلبثون أبد الدهر
متنكرين لامتهم جانين عليها الا حيث تضطروهم الى الاصلاح اضطراراً وتأخذ
منهم قسراً ما يابونه عليها اختياراً
وكل ذلك لا يتم شيء منه الا بالتعليم

رأى الكاتب الشهير

محمد افندى مسعود

حياة الدولة في مستقبلها ، ومستقبلها في حكومة كفيلة باسترجاع مجدها
المضيع ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم ، فوضعوها
فوق عبث الاحزاب

رأي الصحفي الخبير والكاتب الالماني

سامي افندى قصبرى

المحرر في المقطم

لما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضعف بضعفه وتساعد بسعده وتشقى بشقائه .
أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لاحوال الزمان والمكان .
وتبدلت حكومة الفرد بحكومة الامة فصلاح الحكومة قائم بصلاح الامة . ولا يكون ذلك في رأيي الا بنشر التعليم الحر بين طبقاتها والفصل بين دنيها ودينها والتأليف بين عناصرها وطوائفها حتى تصح جميعها كتلة واحدة يحركها من أعلاها الى أسفلها عامل واحد هو عامل الوطنية وتجمعها من أقصاها الى أذناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية

رأي الكاتب الشهير

فرح افندى انطونه

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل الى جعل التطور في السلطنة لها لا عليها ؟ لا أظن أن صديقي المؤلف يكافني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على ان كل ما يقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تنقصنا الاقوال ولكن تنقصنا الافعال . فقد يقال « البديل والسواء ونوسيع سلطة الولايات

وقطع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وشدة مراقبتهم واصلاح المحاكم وتنظيم
البوليس وتقويته وانشاء الطرق الحديدية واستثمار الارض ظهرها وبطنها
(الزراعة والمعادن) واحياء الصناعة والتجارة والمستشارون الاجانب وتنظيف
الدوائر العليا والدنيا الخ الخ « وكلها أشياء جميلة . ولكنني أرى أمراً آخر مقدماً
عليها وإن وجد المال وقوة الارادة لانفاذها وهو ما أسميه « الانسلاخ » أعني
به انسلاخ الرجل الشرقي القديم — وكلنا ذلك الرجل — من جلده القديم
وروحه القديمة واتخاذ جلدًا جديدًا وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد
من الزخرف والخيال تغيير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيتيفيست
(positiviste) وهنا المشكلة العظمى . فإنه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه
السياسة من غير أن يصدّم هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي
سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير أن يؤدي الى كسر في أعضائها .
ورأس سياسة الوزيتيفيست أن يفصل الدين عن السياسة الدنيوية عند جميع
العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الالتجاء الى موحدة الامة وبانية
أساس مستقبلها أعني بها المدرسة الابتدائية الالزامية — واحدة لجميع أبناء
الامة وبمعزل عن المذاهب الدينية لتوحيد أغراض الامة واهوائها ما أمكن
التوحيد وجعلها أمة واحدة لا أمماً مختلفة كما هي الآن

رأي الاستاذ القانوني الشهير

عزيز خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة باعطاء ولاياتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تجعل
الصلة بينها وبين ولاياتها كالصلة بين ممالك ألمانيا والامبراطورية أو كالصلة بين
الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية ثم تتعاون جميع الولايات على تكوين
قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها
هذا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها . أما رقي الولايات فلا أمل
فيه إلا بإنشاء المحاكم ، ووضع القوانين النظامية على الطريقة العصرية ، وإقامة
المدارس ، ومد السكك الحديدية ، وتوطيد أركان الأمن العام ، وإجراء
الإصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل إنشاء السكك الزراعية وبناء القناطر
للري وتسهيل المواصلات البرية والبحرية وتعميم بعض النظمات الغربية مثل
التلغرافات والتلفونات وتنظيم البريد داخل الولايات وتشجيع الأهالي على إنشاء
الشركات للاستثمار بخيرات هذه الاقطار التي يقال إنها كلها كنوز لا تنفد

رأي الاستاذ الفاضل الشهير

اسكندر بك عموره

أصلح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات العثمانية من التباين في
الحاجات ، والاخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، وعلى ما بين أهلها من
التفاوت في الحضارة ، أن نجعل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها
الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها مع ارتباطها جميعاً
في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الاميركانية أو الممالك

الجرمانية ، قسّمى حينئذ الولايات أو الممالك العثمانية المتحدة
ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : أنه النظام الوحيد الذي
يمكنه أن يجمع بين الولايات والامارات العربية في جزيرة العرب وسائر
الولايات الاخرى الممتازة وغير الممتازة

رأي الكاتب العالم

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

أهم ما يجب لاهياء امر الدولة العثمانية واعلاء شأنها انما هو العدل الصحيح في
الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وبهما قوام الدول : ذلك بأن تشترك
جميع عناصر المملكة في الامر على نسبة كل منها الى المجموع فيعهد في الوظائف
الى ذوي الكفاءة وتؤدي الرواتب في مواقيتها ، وتوضع المكوس على ما تطبق
الرعية ، وتستثمر المعادن ، وتقام أعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السواء
في جميع اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الاصلاح وتعميم التعليم العلماء الرامخين
من الشرقيين والغربيين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل ملة العدد النسبي
من الاعيان والنواب دون محاباة أو تفاضل . فتمت حصل ذلك توفرت الاموال
واتحدت كلمة الجيش وساد الامن واستوثقت الرعية من الوازع وانتظمت
الشورى وحصلت الالفة بين الامم المختلفة وانصرف هم القائمين بالامر الى
استصلاح الزراعة وترقية الصناعة والعناية بأسباب العمران ونبذوا الشقاق
وصدقوا في حب الوطن وتعاونوا على الامر مخلصين منزهين عن المطامع الشخصية
بما يزيد هبة الحكومة ويؤيد سلطانها

يتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تعكير الامر على العثمانيين
وجرى هؤلاء نحو ما تقدم ربع قرن أو ما يزيد لتنال الناشئة ، وعليها المعول
في الاحتفاظ بعمل الاصلاح ، من العلم والمدنية والمران على الاعمال ما يضمن
للدولة كيانها وعظمتها وللعثمانيين اتحادهم واستقلالهم

رأي الكاتب البليغ

الاستاذ امين افندى البستاني

سألني رأيي في الدولة ومصيرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبرى
اذا لم تعتبر بها نالها ما هو شر منها ، وللدولة الآن بقية ملك هو أبعد مدى
وامنع حمى واطيب بقعة من جل الممالك الاوربية فهل لها ان تعدل في الباقي
من هذا الملك وتمنحه حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على ان الدولة لاتجهل اشراط
الملك على الممالك وما هو مبق له وما هو ذاهب به حتى لقد أصبحت الدلالة
على وجوه الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام وملوكات الافواه والاقلام
فهل للدولة ان تعمل بما عليها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسعى
اليه من ترميم هذا الملك العزيز ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع
منه وحسبكم الاشارة يا ألباء هذه الدولة . فاعدلوا بين ضروب الرعية لان
دولكم مستمدة من جلتها لا من ابعاضها وقدموا الكفو على غيره مهما كانت
نبعته ومنبت اسلته واستعملوا الاجنبي في تدبير ما اتم ضعاف عن تدبيره
واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا تفريط وخذوا بالجديد الصالح
واخلعوا القديم المبتذل ثم اعدوا للملك عدته من رجال ومال ، والله الوافي في
هذا الباقي

رأي استاذنا الاجتماعي الكبير

احمد لطفي بك السبر

مدير الجريدة

(وصل في آخر ساعة لغياب حضرته عن القاهرة)

راجعت نفسي فوجدتني غير حاصلٍ على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكوين رأي صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وإن الذين يستطيعون معرفة هذه الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بأنفسهم على ما أجهله من المقدمات الضرورية لتكوين رأي صحيح . غير أن لرقى الأمم وهبوطها قوانين قد تكفي لتكوين رأي اجمالي ونظري في الاصلاح مهما كانت الأسباب التي حملت أوروبا على اضطهاد الدولة العلية فلا شك في أن وقوعها في الضعف والهرم هو أهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع الدولة بعد أن مسها الهرم من استعادة شبابها بالأخذ بالتعاليم الحديثة من حيث الحكم والتربية والتعليم وتدير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست اجد في هذا الحاضر ما يرجح كفة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظار الخير . فاذا قام العنصر الحاكم باحترام أطماع العناصر المحكومة والنهضة بالأمم عن الجمود الى التسليح بجميع الاسلحة الحديثة إن في التربية وإن في الاقتصاد ، أمكن الحكم بهذه الدلائل على الاصلاح المنتظر . نعم ان للظروف الخارجية دخلاً في اصلاح الدولة ولكن العثمانيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل ما في قدرتهم والله يتولى أمر ما لا يقدرون عليه

رأيت بعد التحقيق ومراقبة الحقائق مدة طبع هذا الكتاب أن أنشر للطالع
هنا الملاحظات الآتية

١ - حمل مراسلا التمس والتان وغيرهما حملات شديدة على الموسيو وجنر
مراسل الريشبوخت الذي اعتمدنا عليه في مواضع قليلة من هذا الكتاب.
وسبب تلك الحملات أن وجنر تفوق على جميع المراسلين في ارسال
الاخبار الى جريدته حتى اضطر أعظم جرائد العالم الى النقل عنها. ثم
حدث لسوء طالع أنه أخذ عن جريدة « مير » البلغارية الشبيهة بالرسمية
خبر معركة غير صحيح في أواخر الحرب الاولى فتوسع في وصف
تلك المعركة الوهمية . فهب المراسلون يرمونه بصواعق غضبهم من كل
جهة ، وكانوا على حق

إلا أن هذا الخطأ لا يفيد أن كل ما قاله الرجل مكذوب . فهو لا يزال
ظافراً بثقة جريدته على الرغم من أهفوته بدليل أنها أوفدته الى
بلغاريا عند نشوب الحرب البلقانية الثانية . ومعروف أن الريشبوخت
هي الجريدة المقربة الى ولي عهد النمسا والى كبار الجيش النمساوي ، فلو
كان وجنر أفاكاً كما بطبعه كما قال بعض خصومه لما بقيت له منزلة عند
تلك الجريدة الشهيرة

وهناك أمر آخر معروف ، هو أن وجنر كان مقرباً الى الموسيو جيشوف

الذي كان رئيساً لوزارة البلقار أيام الحرب الاولى . وأقوى دليل على ذلك أن الموسيو جيشوف نفسه كتب رسالة بخطه الى وجرز فشرها في صدر مؤلفه كما رأى مطالع هذا الكتاب ، ثم إن وجرز نفسه تلغ في كتابه الى أن أخبره مأخوذة من التقارير الرسمية التي تلقها حكومة البلقار ويقول إن من يعرف فحوى تلك التقارير يمكنه أن يحيط بما يجري في كل جهة خلافاً للراسل الذي يقيم في جهة معينة من مواقع القتال فانه لا يرى إلا جانباً مما يحدث

ومع ذاك كله فان القليل الذي اعتمدت فيه على رواية وجرز لم يدحضه . راسل بل ارى بالعكس أن الروايات الاخرى تؤيده . فلو كان مكذوباً ملفقاً لفضحه المراسلون كما فضحوه بنقد الوصف الوهمي الذي نشره بعد معركة لوله بورغاز

٢ - صدر هذا الكتاب قبل أن تصدر جميع الدول البلقانية احصاءات رسمية دقيقة لحسائرها فاتبعنا في تقدير الحسائر أفضل طريقة تقرّبنا من الحقيقة وهي ذكر التقدير الذي أجمع عليه معظم المراسلين الحربيين الموثوق بأقوالهم . وما يدل على حسن تلك الطريقة أن حكومة البلقار أصدرت منذ أيام إحصاء رسمياً فاذا هو لا يختلف عما نشرناه الا قليلاً . وخلاصته أن قتلها والمفقودين من جنودها بلغوا في الحريين ٥٢٧١٦ رجلاً وعدد جرحاها ٥٣٦ ١٠٤ أي ١٥٧٢٤٢ رجلاً بين قتل وجريح

٣ - قال مراسل التيمس البلقاني إن دولة اليونان كانت أول من حرك السواكن لتأسيس الاتحاد البلقاني

٤ - رأيت في الترجمة الفرنسية لكتاب محمود مختار باشا أنه أهدى كتابه الى الألاي الألماني الذي تعلم تحت رايته لا الى شكري باشا بطل أدرنه وسائر الابطال العثمانيين كما نقلتُ عن بعض الجرائد الاوربية ثم رأيت فيها أنه لم يُهدد الدولة العلية بمثل ما أصاب بولونيا كما رأى المطالع عند الكلام على آرائه في الفشل العثماني . فهل اختلقت تلك الجرائد هاتين العبارتين ؟

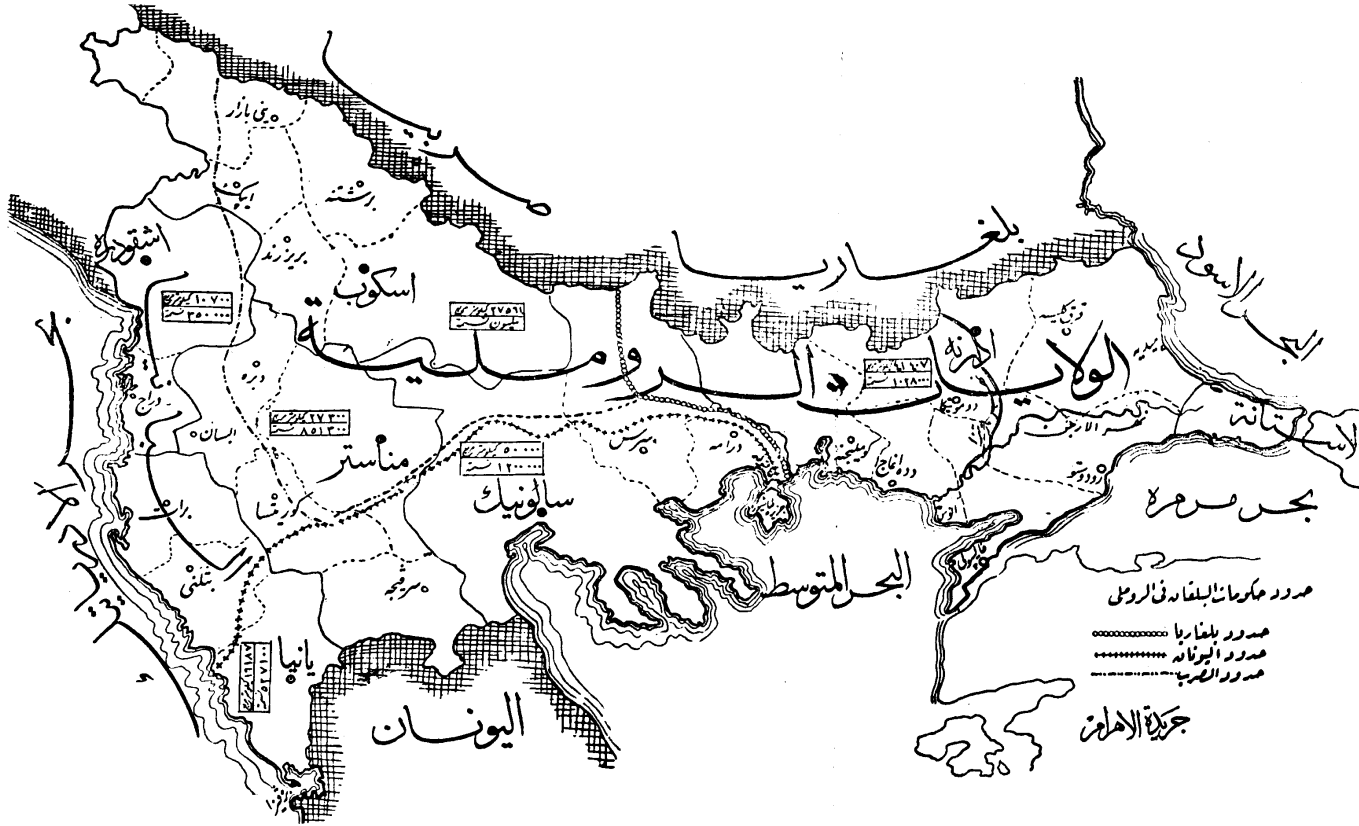
٥ - ذكرنا في المقدمة أن المساحة الباقية للدولة العلية هي مليون و١٥٦ الف ميل مربع . والصواب أن هذه المساحة هي مساحة الاملاك العثمانية قبل الحرب ما عدا البلاد الممتازة ، فاذا حذفنا منها مساحة الولايات التي خسرناها بقيت مساحة الباقي لها في آسيا وأوربا أكبر من مساحات فرنسا والمانيا وانكترا وإيطاليا واسبانيا مجتمعة

٦ - كان الجيش العثماني قبيل الحرب ١٤ فيلقاً ، فلما قامت الحرب ارادت وزارة الحربية أن تجمع له ٢٤ فيلقاً فلم تفلح لقلّة الضباط والجنود ولشدة الخلل

٧ - أسعد باشا الذي أسره اليونان في يانيه حيث كان قائداً لحاميتها ، هو غير أسعد باشا الاباني الذي كان في أشقودره ، والذي يعاكس الآن الحكومة الابانية الوقتية

٨ - قال السير ادوارد غراي وزير خارجية انكترا ما يفيد أن سلوك جيش اليونان كان مدة الحرب أفضل من سلوك بقية الجيوش البلقانية

وقعت غلطات قليلة من مطبعية وغيرها مما يسهل إدراكه ولا يهدم معنى
من المعاني الجوهرية . فلذلك نكلُ اصلاحها الى فطنة القارئ



خريطة قدمها سليل بيت الفضل جبرائيل بك نقلا صاحب الازهرام لصديقه مؤلف هذا الكتاب . وهي توضح للمطالع مساحة كل ولاية من الولايات التي خسرتها الدولة العلية ، وعدد الذين خرجوا من دعوتها وهم ٤٩٥٦٤٠٠ نسمة على التقريب . قلنا « على التقريب » لان الحديد والنار فتكا بالوف كثيرة فلا يمكن الحصول على احصاء دقيق الا بعد مدة اما ادرنه وسائر تراقية فالهلال العثماني لا يزال طالما عليهما حتى الساعة . والرجو أن يبقى هناك الى ما شاء الله

